

في هـــذا العـــدد :

صفحة

1 دعوة الحق في سنتها الحادية عشرة — دعـــوة الحـــق

دراسات اسلامية :

4 ملاحظات سريعة حول التكوين العقلي الاسلامي في المجتمعات الاسلامية المعاصرة — للاستاذ المهدي البرجالي
10 مفهوم التربية الاسلامية — للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
15 بشرية الاسلام في المغرب — للاستاذ الحسن السائح
17 التخصص في الاسلام — للعميد محمد عزيز الحبابي
22 اتجاهات ومجالات — للاستاذ عبد الكريم التواتي

ابحاث ومقالات :

28 نظرة في تجديد الآداب والعلوم — للاستاذ عبد الله كنون
32 تقويم اللسانين مستقيم — للدكتور تقي الدين الهلالي
38 عود الى التقويم — للاستاذ صاحب الامضاء
42 العربيات عن الفارسية — للاستاذ محمد بن تاويت
49 مستقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي — للاستاذ محمد محي الدين المشرفي
60 نحن والشعر — للاستاذ عبد العلي الوزاني
67 الوجود وتكثره — تعريب الدكتور عبد اللطيف السعداني
71 من صيغ « التثنية » في النحو العربي — للاستاذ عبد القادر زمامة

ديوان المجلة :

75 دم العروبة قال — للشاعر محمد الحلوي
78 في لاتحزنون — للشاعر عبد الله العمراني
80 كلمات طفل — للشاعر عبد الكريم الطبال
82 انفجار — للشاعر مفدي زكرياء
83 غدا ستلتئم الجروح — للشاعر محمد الميموني

دراسات مغربية :

84 مؤلفات علماء غرب افريقيا في المكتبات المغربية — للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
88 انعكاسات في ادب القرنين العاشر والحادي عشر — للاستاذ محمد حجي
92 وثائق اندلسية — تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة
97 ابو اسحاق ابراهيم التادلي من خلال اقواله — للاستاذ مصطفى الغرسي

من روائع شكسبير :

108 هاملت — للاستاذ عبد الله العمراني

معرض الكتب :

116 الامثال البغدادية المقارنة — تعليق ابي سعيد

ادب وفكر :

118 في اجواء التربية — للاستاذ مبارك ربيع

ثمن العدد درهم واحد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

العدد الأول
السنة الحادية عشرة
شعبان 1387
نونبر 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب ، الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد



تدخل « دعـــوة الحـــق » بهذا العدد سنتها الحادية عشرة ، وهي أشد ايمانا مما مضى بالرسالة المثلى التي اضطلعت بعبئها الثقيل من أول يوم ، وأكثـــر تطلعا ، في عقدها الثاني ، لتحقيق مكاسب كثيرة لمستقبل الثقافة وقضية الفكر في هذه البلاد بنفس العزيمة الصادقة ، والارادة المصممة التي تغمر أسرة تحريرها ، وكتابها الاوفياء لمواصلة السير قدما في السبيل القويم الذي انتهجته ، والعمل على ابـــراز انتاج مغربي أصيل ، يساير مدنا التقدمي في ربوعنا الخضر ، ويتطور نحو الجـــودة والتركيز والاصالة ، ويواكب نهضة الامة المغربية العريقة في مسيرتها العلميـــة ، ووثباتها الثقافية والاجتماعية ، وانطلاقاتها نحو التبلور الناضج ، والاكتمال السريع ...

لقد سلخت « دعـــوة الحـــق » من عمرها عقدا كاملا وهي تواكب نهضتنا الثقافية المباركة ، وترعى حركة الفكر التقدمية التي تلاقحت في مناخهـــا الآراء ، وساعدت على خلق جو ثقافي ملائم ، تفتحت فيه الامكانيات وتحققت معه أحـــلام المواهب كما ساعد على تشجيع ابراز الطاقات الكامنة على الظهور .

وان مما يشحذ العزائم ، ويهدي الى شرف الغرض ، ونبل الغاية ، اننا تلقينا في أثناء عطلة المجلة الصيفية المعتادة ، كثيرا من المراسلات والمكاتبات سواء من الداخل أو الخارج ، وكلها اشادة وتنويه ، وتهنئة وتقدير بفوز جهادنا ، ونجاح « دعوتنا » واكبار للعبء الفادح الذي ننهض به في سبيل التعريف بالثقافة ، وتقديم الانتاج المغربي الذي يتسم بالاصالة ، ويجمع بين نبل العاطفة ، وسمو الفكرة .

كما نوهت الاذاعة والتلفزة في بعض مناهجها الادبية بالدور الذي قامت بـــه « دعـــوة الحـــق » خلال عقدها الاول ، في خدمة قضايا الفكر والثقافة ، والدعـــوة للفكرة الاسلامية ، والدفاع عن قيمها ومثلها .

ولم تخف بعض هذه الرسائل ملاحظاتها البناءة ، وانتقاداتها الهادفة ، في بعض ما تراه يحقق خطوات أخرى جديدة للمجلة يتسنى معها أن تؤدي دورها الكامل في بناء صرح سامق لثقافتنا الاسلامية والعربية .

ويمكننا أن نجمل تلك الملاحظات فيما يلـــي :

اولا : يلاحظ بعض السادة الادباء على المجلة في حسن نية ، وكامـل اخـلاص وموضوعية ، انها تخلت عن خطتها التي درجت عليها فيما يتعلق بالنقد عموما ، أو على الاقل فيما كانت المجلة تدرجه في باب « قرأت العدد الماضي » أو « العدد الماضي في الميزان » مدعمين وجهة نظرهم هذه بان كل حركة فكرية لا تتفتح براعمها ، ولا تنمو أفنانها الا في جو نقدي منعش تتبارى فيه الآراء الخصبة ، وتتلاقح معه النظريـات والافكار ، لان النقد وسيط بين المنتج وجمهور القراء تربطهما لحمة النتاج ، وتصلهما وشائج الآثار الفكرية والادبية ، بل أن بعض الرسائل تقول بان النقد في مجلتنا بات يشكو ندرة وضمورا ، وضعفا وهـــزالا ...

— والحق اننا لا نكون مبالغين أو مغالين اذا قلنا بأن مجلتنا ، كما لا يخفى على المتتبع المنصف قد ساعدت في اعوامها الاخيرة على خلق جو نقدي استقطب نخبة من رجالات الفكر في المشرق والمغرب ، والتقى عنده مجموعة من الكتاب والمفكرين ..

فقد دأبت المجلة منذ نشاتها على تشجيع كل نقد بناء يتميز بالصبغة العلميـــة ، ويقوم على التحري والمقابلة ، والتحليل والموازنة ، وسبر غور الفكرة التي يرمي اليها الكاتب أو الشاعر ، كل ذلك مساهمة منها في العمل على ربط الاتصال بين الكتـاب المثقفين ، وخلق حركة ثقافية شاملة تخرج بنا من الضمور الفكري الـى باحـات المناقشات الواعية لابراز الطاقات الفكرية ، وما تكنه من ملكات ذهنية ، وتضاريس شعوريـــة .

لقد رحبنا في أحد اعدادنا الماضية بالنقد الباني ، والمناقشة الهادفة ، كما رجونا من حملة الاقلام في هذه البلاد ، ورجال الفكر فيها أن يمتد أفقهم ، ويرحب صدرهـم لتحمل النقد الذي يقوم على الدرس والتجديد والتجويد ، ويخلو طبعا من التجريـح والتلويح ، والخصومات العنيفة ، والتبجح بالعلم ، والمباهات بالعمل ، والشعور المفرط بالتجني والصلف والاستعلاء الذي يندرج في نطاق الاغراض والاهواء الشخصية

اذ أن لكل انسان عيبا !!

وأي الناس تصفو مشاربه ؟!

والكمال لله وحده .

لقد شهدت الاعوام الاخيرة في مجلتنا حركة نقدية واعية بلغت حدا دل على أن كتابنا في الاعم الاغلب يعرفون للنقد قيمته ، ويراعون للرأي حرمته ، ولكن بعضهم كان يطغى به القلم ، ويشتط في الاحكام ، ويتجاوز الحدود المرسومة المعلومة التي تواضع على وضعها النقاد ، مما دعا هيئة تحرير المجلة الى أن تضع حدا لبعض الانحرافات في النقود التي تصل اليها ، لا لاننا نكره النقد او نفرق منه ، ولا مراعاة لمن يؤثـرون السلامة والعافية من بعض الكتاب الذين لم تتسع صدورهم للاخذ والرد ، والمطارحة والحوار ، بل لاننا احوج ما نكون في حياتنا الثقافية ، والظروف التي تجتازها بلادنا في الحقل العلمي بخطى حثيثة ، واهتمام متزايد الى دراسات بانية ، ومقـالات تتسم بالابداع والجدة ، والطرافة والابتكار ...

ثانيا : لاحظت بعض الرسائل على المجلة بانها بقيت مغلقة على نفسها ، وذلك بمحافظتها على كتابها القدامى الذين الفهم جمهور القراء ، فلم تشجع ذوي الكفايات الجدد من الشباب ، ولم تفسح لهم اسباب الاتصال والظهور ، ولم تقـدم انتاجهـم لجمهور القراء ، ولم تطعم مواد المجلة بعناصر حيوية جديدة تمطيها نكهة التجـدد والاستمـــرار ...

— وأي ضير في أن تحافظ مجلة متفتحة ، كدعوة الحق ، على أسرة وفية لها مقام معلوم ، ومكانة علمية مرموقة موموقة تعتبر لب اللباب فيما عند المغرب من كتاب .

والمجلات الراقية الملتزمة في انحاء الدنيا لابد لها من أن تتوفر على أسرة دائمة من كتابها تعتمد عليهم ، وتحافظ على اجود عناصرهم ، وتقدم انتاجهم لقرائها في أطباق شهية كاشهى ما يقدم بين يدي نجوى موادها ... ولم تكن دعوة الحق على شكلهـا المعهود ، وموضوعاتها الجادة الملتزمة الا لتوفرها على أجود ما في المغرب من علماء ومفكرين وكتاب ...

ومع هذا فلم نكن في يوم من الايام نقف حجر عثرة لنحجب كل موهبة عن التفتح والعطاء ، بل اننا ناخذ بضبع كل كاتب صاعد ، ونرحب بباكورة انتاجه ، ونمد له يد العون والمؤازرة ، ونمهد له سبل الاتصال بجمهور القراء ، بل لا يخلو اي عدد مـن أعدادنا من كتاب جدد نعلم أن الناس يرضون ، مسبقا ، عن انتاجهم فنقدمه للقراء ، ونتمنى لهم مخلصين أن يبارك الله خطواتهم في مستقبلهم الواعد .

ثالثا : وهناك ملاحظة ثالثة تقول :

ان المجلة لفرط ما يحشر فيها من مواد قوية ، وما تدرجه من موضوعات دسمة قد تشق على القارىء الذي قد يجدها احيانا عسيرة الهضم .

من أجل ذلك يرى بعض هؤلاء المقترحين أن تنوع ابواب المجلة ، وتطعم ببعض المواد والنقل ، لارتشاء رغبة القارىء واستمالته ، ولاستزادة شوقه واقباله .

— ان دعوة الحق وان كانت مرصودة على طبقة خاصة من الذين ألفوا الجلـد والصبر على قراءة الكتب الجادة ذات المستوى العالي الذي يتطلب الاناة وطول النفس فهي مفتوحة امام كل المثقفين المجيدين الذين يقبلون على قراءتها ، لما تشتمل عليه من ابواب متنوعة ، واطباق شهية ، تبتدىء من الدراسات الاسلامية الى باب الابحاث والمقالات ، فرياض الشعر في ديوانه ثم الى الدراسات التاريخية ودراسة القضايـا الفكرية التي تشغل الراي العام المعاصر ... مما يجعل موضوعاتها في متناول كل الذين يرغبون في اشباع رغباتهم الفكرية عن طريق قراءة مجلة محترمة جادة ... كدعوة الحق.

ولعلنا قد وفقنا الى ما قصدنا اليه ، بفضل رعاية المسؤولين وعنايتهم بقضايا الفكر وخدمة الادب ، وحماس المثقفين بقداسة رسالتهم الخالدة الذين نسترشد بآرائهم النيرة ، ونستفيد من توجيهاتهم السديدة ...

فان استنارة المرء برأي أخيه ، من عزم الامور ، وحزم التدبير .

دعوة الحق

دراسات اسلامية

ملاحظات سريعة : حول أحوال التكوين العقلي الإسلامي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

للأستاذ : المهدي البرجالي

عصرنا الحاضر ، عصر امتحان القيم بدرجة اولى ، ويقوم الحوار اليوم على اشد ما يكون بين القيم الثقافية والحضارية على صعيد العالم أجمع ؛ واخشى ما تخشاه امة واعية فى الوقت الحاضر ، انينتزع من ابنائها الاقتناع العقلي بقيمهم التي يقوم عليها وجود الترابط بينهم كامة من الاساس ، وبقدر ما يخاف من ذلك ، بقدر ما يزداد الحرص فى المجتمعاتالاسلامية على حماية القيم فى عقلية الناشئة وعموم الناس ، عن طريق التوجيهوالتوعية المستمرة ، لكن الا يحق لنا ان نعنى من اجل انجاح ذلك ــ نعني بتحسيناساليبنا فى هذا المضمار وجعلها اكثر علمية وموضوعية .

لا يستطيع احد منا ان يدعي ان المواضيع الدينية لا تطرق بكثرة واطناب ، فيما ينشر على الناس من كتب وصحف ودوريات ، وفيما يلقى اليهم عن طريق السمع من احاديث ومحاضرات وندوات . فالموضوع الديني ــ كما نلحظ جميعا ــ له مجال واسع فى دنيا التوجيه والاعلام سواء ذلك بمشرق او بمغرب ، وان كان هذا التاكيد لا يعني بالضرورة ان الباحث الديني او الناشر الديني لا يجدان نفس الصعوبات المادية والتنظيمية التي يجدها الكتاب والناشرون فى مجالات اخرى من مجالات الكتابة والنشر ؛ فالمصاعب فى مثل هذه الميادين هي قدر مشاع لانقصده عندما نشير الى الامكانيات الموجودة التي تتوفر امام سبل الاشعاع الثقافي ، بما فيها السبل المتيسرة لنشر المعرفة الدينية والدعوة الى الدين والتبشير به ، وابراز محاسنه ، والرد على خصومه ، الى غير ذلك مما تخوض فيه اقلام عديدة بالشرق العربي والمغرب العربي ، وتختص به بعض الدوريات الشهرية تحفل بالكثير من هذا القبيل ؛ ووجود مجالات لنشر المعرفة الدينية هكذا بين عموم الناس فى الاقطار العربية والاسلامية ، هو وجه ايجابي لقضية الدعوة الدينية فى عصرنا الحاضر ، واداة لا يستهان بها لخدمة هذه القضية ، وتقريبها من الاذهان ، بقدر ما يمكن ؛ غير اننا نجد ــ من وجهة اخرى ــ ان القائمين على الترويج للفكر الديني ، والمعنيين بانتشاره والتمكين له ، هم شديدو الشكوى ــ كما يلحظ ــ من حالة ازدياد الجهل بروح الدين وتعاليمه ومقتضياته بين الناس وبالاخص منهم الاجيال الجديدة التي تجد ان البعض منها لا يجهل شيئا اكثر مما يجهل فى الدين ، تسوده من

هذه الناحية روح عدم الاكثرات وتفاهة النظرة التي له عن الامر من اساسه ؛ القضية هذه لا يلحظها احد بقدر ما يلحظها رجال الدين انفسهم ؛ وهم يكررون من الحديث عنها بلهجة تنم – بحق – عما يرونه في هذا الامر من اهمية كبيرة توجب الالتفات اليه ، اكثر ما يجب الالتفات الى شيء والعناية به ؛ وقد لاتجد عند البعض من الغيارى على الدين ما يفعله ، اكثر من ان يستمر في الشكوى والاستعاذة من الزمان واهله . بينما ترى آخرين اكثر واقعية وايجابية ، يشعرون بان الامر يتطلب مواجهة مستمرة ، تقوم على مضاعفة الجهد للتعريف بروح الدين وتعاليمه لدى النشء والكبار على السواء . وقد يذهب البعض من هؤلاء ابعد من ذلك ، فاذا بك تجدهم قد يعمدون الى تناول المذاهب والافكار اللادينية الحديثة محاولين نقضها وتفنيد اسسها على ضوء المبادىء الدينية ، والقيم السليمة التي يقوم عليها العقل والمنطق الخلقي المرتكز على الامتزاج بين الاعتبارات المادية والروحية على السواء ؛ وقد يسلك بعض الغيارى على الدين من العلماء طريقة اكثر اتصالا بمعطيات العصر والمفاهيم السائدة فيه ، تقودهم رغبة ملحة في التوفيق بين الدين والعلم والحضارة ، لاقناع اولئك الذين يرون الفرق شاسعا بين علم ودين – يذهب مثل هؤلاء الغيارى على الدين مذهب الموفق بين نظرية علمية ، وآية قرآنية ، بين قول نبوي ماثور ، وبين ظواهر علمية او احوال تقنية واقعة اليوم ؛ وقد شاعت هذه الطريقة في بعض تفاسير القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية الاخرى ، الا انه وجد في عدة احيان من يعترض عليها ، ولا يرى فيها نفس الجدوى التي ينتظرها منها اصحابها . بل ذكر كذلك – في معرض الحديث عن هذه الطريقة ، انها تؤدي في كثير من الاحيان الى تمحل لا مبرر له ، وتتسبب في جعل مقاصد الآي الشريفة وكأنها خاضعة لاعتبارات العلم وتقريراته ، وهي اعتبارات ومقررات غير ثابتة في الكثير من الاحيان ، ومعرضة للتعديل والتجريح ، بشكل غير محدد ، مضافا الى ذلك ، ان القرآن هو كتاب هداية وتنوير قبل كل شيء . عنايته متركزة حول المبادىء والمثاليات التي يجب ان تقوم عليها حياة انسانية سليمة وامينة ومتوازنة ، وما هو وارد من آيات في الطبيعة وعلم الحياة وغيره ، فالمراد به التمثيل ، لا الاستقصاء . اما الاجتهاد بجزئياته الاستقصائية فهو متروك في كل شيء للبشر سواء في امور دينهم او دنياهم ، شرط ان يكونوا مهتدين بهدي سليم كهدي الدين ، والا انحرفت بهم نتائج اجتهاداتهم الى مهاو خلقية وحضارية ، مثل ما يوجد عليه امر العالم اليوم ، امام تقنية عملاقة ، غير مقيدة بوازع روح قوي .

ومن خلال وجهات العمل هذه ، من اجل ابراز المفاهيم الدينية ، وتقريبها الى الاذهان ، يحاول المرء تبين اهمية التاثير الايجابي الذي يحدثه ذلك على عقول الناس عموما ، فيجد – كما اسلفنا – ان هذا التاثير لا يحقق القدر من التغلغل العقلي المراد منه ، بل ان الشقة تزداد بعدا – بعض الاحيان – بين ما يراد من تقريب مفاهيم صحيحة للدين الى عموم الناس ، وبين ما هو حاصل فعلا في هذا الميدان من نتائج عملية ؛ ولكي نبلور جوانب الموضوع ، علينا ان نركز الكلام في طبقتين من طبقات المجتمع ، يتخذان – في العادة – كمحور للتوجيه الديني والخلقي ؛ وينصب عليهما بالتبعية ذلك المجهود التوجيهي الذي ياخذ به المجتمع ضمن الفلسفة او الرسالة التي يومن بها ، وهذا على اعتبار ان كليهما يشكل الهيكل الانساني الاساسي الذي تقوم به بنية المجتمع في الحاضر وفي المستقبل . وهذان العنصران الاجتماعيان اللذان نريد ان نركز الموضوع حولهما ، هما (1) سواد الناس او العوام (2) عنصر الناشئة والشباب الذي يكون الجيل الجديد .

اما سواد الناس فيجب التمييز في شأنهم بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ، فهناك فرق كبير في الاحوال الفكرية والتكوين العقلي السائد عند العموم هنا وهناك تجب مراعاته واعتباره ، ذلك انه اذا كان افراد العموم في البلدان المتقدمة ، تتراوح مستوياتهم الفكرية بين الامية التي هي ذات انتشار محدود نسبيا ، وبين حالة شبه الامية ، بين التعلم ، حالة شبه التعلم ، فان العموم في البلدان المتاخرة ، تختلف حالته عن هذه الحالة التي ذكرنا اختلافا بينا . اذ ان حالة الامية الضاربة اطنابها في العالم المتخلف ، تستغرق – فعليا – السواد الاعظم من الناس ، ولا يتبقى من وراء ذلك في الكثير من الاحيان الا ما نسميه بالنخبة التي استطاعت لسبب او لآخر : ان تحصل على تطور عقلي حقيقي يرفعها عن مستوى التفكير المتخلف ، الذي يسود المجتمع ؛ وعموم الناس هؤلاء يشكلون الجزء الاضخم من الهيكل الانساني للمجتمع ، يقوم بهم ، ويعتمد عليهم بدرجة اولى ، فلذا يعتبرون اساس المجتمع الحاضر ، وحقيقته الكبرى . اما العنصر الآخر ، عنصر الناشئة والشبان ، فهو المؤهل مبدئيا ، لان يصبح متعلما وان كانت الصعوبات الكثيرة التي تلاقيها الاقطار النامة في آسيا وغيرها لا تسمح

دائما بجعله متطلما الى حد الثقافة العميقة الناضجة ؛ وعلى كل ، فالناشئة تعتبر في العادة ــ الاساس المستقبلي للمجتمع ، لانها تشكل البديل الرئيسي لجيل الكهول والشيوخ ، اي اجيل الآخذ في الزوال . ولهذا فان اكبر آمال التنمية الحديثة تقوم عليها اساسا ، باعتبار انها تعد مؤهلة ــ جسميا وفكريا ــ لتحمل اعباء التنمية ، وتفهم مقتضياتها اكثر مما يتفهمه الجيل الآخذ في الانقراض . وتعتبر التربية في شتى ميادينها من مقومات التنمية الحديثة . بل عليها ترتكز من حيث المبدأ عمليات الانماء والتطوير الاقتصادي والاجتماعي وغيره ؛ وليس هناك ما يخرج التربية الدينية عن هذا النطاق . اذ ان التربية الدينية هي مظهر من مظاهر التربية العامة التي يتلقاها الفرد ، وعن طريقها يحصل على حالة التوازن المنشود عند الكثيرين ، اي التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية بكل ما تحمله كلمة « الروحية » من معنى . فالتربية الدينية داخلة حتما في عموم التربية العامة للمجتمع ، التي تعد بدورها اهم مقوم لعملية الانماء في اي مجتمع ينشد الانماء بمفهوم شامل ومتوازن ومتكامل .

❊ ❊ ❊

ويراودنا السؤال من جديد : هل تؤدي عمليات التوجيه الديني دورا حقيقيا وفعالا ، يضمن لسواد الناس صلة حية بالفكر الديني ، ويجعل من الفكرة الدينية قوة معنوية صحيحة ، تساهم في تقويم تربيتهم الاجتماعية وغيرها ، وتشارك ــ بقدر ما ــ في اعدادهم لعملية الانماء المنشود ؟

واذا كانت الفاعلية هذه موجودة . فما حدودها والمظاهر التي تدل عليها ؟

ان بذور الوعي الديني التي يتلقاها الناس في مجتمع اسلامي ، ليس لها مصدر واحد تتأتى منه ، فمصادرها كثيرة متنوعة . وهذه المصادر اما غير مباشرة ، كالايحاء الديني الذي يفرضه المظهر الديني العام في المجتمع . واما مباشرة على صعيد الخلية الاجتماعية ؛ كالتوجيه مثلا ــ الذي يتلقاه الافراد عن بعضهم البعض ، داخل المحيط العائلي ، او ضمن حالة الصداقة وغيرها ؛ او بالتوجيه الذي يقوم به المعنيون برعاية المجتمع ومراقبة كيانه العقائدي ــ الحضاري كمصادر التوجيه الرسمية التي ينيط المجتمع بمهدتها الحفاظ على مقوماته الفكرية والروحية . والمصادر من هذا النوع ؛ تستمد موضوع التوجيه ، الذي تقوم به من فلسفة المجتمع وقيمه الاعتقادية سواء منها ما كان دينيا صرفا ، او ممتزجا بالافكار الدينية على نحو او غيره .

والافراد من عوام الناس في مجتمعاتنا الاسلامية، يتلقون عادة منذ الصغر ، بذور وعي ديني يستقونه من محيط الاسرة والمسجد والحفلات الدينية والمظاهرات الموسمية كرمضان وغيره ؛ كما يتشبعون بالكثير من هذا القبيل ؛ يستمدونه من مسموعاتهم من حكم واقوال وسواها ، ومن مشاهداتهم المختلفة لعمليات الوضوء واخراج الزكاة وما الى ذلك من مؤثرات عقلية ووجدانية ، تاتي الى الفرد من عالمه المباشر الذي ينشأ فيه ويترعرع تحت تاثير اجوائه ، وكل هذه المؤثرات هي في حد ذاتها مؤثرات عميقة ، وشديدة المفعول بقدر كبير ؛ وينشأ عنها في الغالب تجذر قوي للفكرة الدينية في اذهان الافراد ، ممتزجة هكذا بمشاعرهم كأقوى ما يكون الامتزاج ؛ ومن ذلك نرى صورة المسلم العادي ، كما نعهدها في شتى المجتمعات الاسلامية : شخص متمسك بدينه عادة تمسك الضنين بماله على غيره . الا ان المعضلة مع ذلك ــ تبقى قائمة ــ نتيجة الانفصام الموجود بين اسلامية المسلم ، وبين سلوكه الواقعي في ميدان الحياة ، ومفاهيمه عن الناس والمعاملات ، والمستقبل والحياة والعالم عموما . اننا لانذهب الى وصف ذلك ، والاتيان بالامثلة عنه . لان صورة المسلم العادي عندنا هي في الغالب ــ صورة اي مسلم عادي في المجتمعات الاسلامية الاخرى بالشرق او بافريقيا او بغيرها . صورة شخص يعيش في كثير من الحالات على الاوهام ، وتسود عقليته قيم فكرية تقعد به غالبا عن تصور اساس صحيح دائما يستجيب به لواجباته الدينية والزمنية ، وتتحكم فيه الطقوسية بدرجة كبيرة ، وغالبا ما تكون هذه الطقوسية مجردة من محتواها المعنوي الايجابي ، ومتخذة عوض ذلك ، شكلا احتذائيا لا تعرف بالضبط مصادره وقواعده الصحيحة . فالاحتذاء او الاتباع ، يتم بدون ميل الى التعرف على مصدر الشيء المحتذى ، هل له استمداد من اصل عقائدي سليم ، ام يعود فقط الى ينابيع خرافية ، قد تكون مناقضة للاصل الديني ، بل وربما مهدمة له ، بشكل او بغيره .

صورة انسان من هذا الطراز من عوام الناس في الاقطار الاسلامية ، هي صورة نموذجية كما اشرنا ، لا تتخلف الا في حالات نادرة جدا ، اذا قسنا هذه الحالات النادرة بضخامة الكتل الانسانية من سواد الناس في العالم الاسلامي ؛ وليس منتظرا لهذه الكتل الهائلة من الناس ان يتطوروا سريعا ــ من ناحية

عقلياتهم الدينية المتخلفة ـ الا اذا تصورنا امكانية تطويرهم سريعا كذلك من الناحية العقلية العامة ، التي توجه اذهانهم ومشاعرهم فى شتى آفاق الحياة ، فالجهل كل لا يتجزا ، اذا كان جهلا علميا واجتماعيا وغيره ، فهو مرتبط كذلك بالجهل الديني ارتباطا عضويا لا يقبل انفصاما ، وما دام الامر كذلك ، فالقضية ستبقى دائما ماثلة امامنا بكل خصائصها وملابساتها المتمثلة فى هذه المفاهيم التي لعامة الناس من علاقتهم بالدين ، وكيف ان هذه المفاهيم تمتزج بالميل الطبيعي العادي عند العامة الى احتضان الخرافة، والتشبع بها كسند فكري يسلي ويمتع ، بل وينقذ من المآزق عند الاقتضاء ، ولو اتقاذا خياليا .

على انه اذا كان سواد الناس فى الاقطار الاسلامية متاثرين باحوال عقلية من هذا القبيل ، تؤثر فى مفاهيمهم عن الدين تاثيرا سيئا الى حد ما ، فان علينا ان نضع فى حسابنا كذلك ان هؤلاء العوام هم اساس الحياة الدينية الحية النشيطة فى الاقطار الاسلامية . فهم مظهر اقامة الشعائر فى مختلف المجتمعات الاسلامية ، وعن طريق ارتباطهم الشعوري ـ العقائدي بالدين يبقى للفكرة الدينية وجودها المستمر فى حياة الناس بالعالم الاسلامي ، بصرف النظر عن انحراف الفكر الديني عند الناس او استقامته . المهم فى الامر ان الوجود العقائدي والشعائري الاسلامي يتمظهر ـ الى حد كبير ـ فى هذه الكتل من العوام التي يتمثل من خلالها هذا الوجود الاسلامي على مسرح الحياة اليومية الدائمة . ومن هنا تاخذ القضية صبغتها المهمة ـ الى اقصى درجات الاهمية فى هذا المضمار ؛ فالناس العاديون فى الاقطار الاسلامية هم مادة الاسلام الانسانية الرئيسية ، هم مظهره الانساني القائم ، والصورة التي تكرس الوجود الديني المستمر ، وهم فى نفس الوقت صورة منحرفة عن الدين فى عدة احيان ، ويعطون عن العقائد والشعائر امثلة قد ياباها العالمون بالدين ، وقد ياباها حتى انصاف او ارباع العالمين بالدين ، والمتشبعين ببعض قيمه ومثالياته الصحيحة. وهذه حالة تاخذ باهتمام جميع المفكرين الاسلاميين الواعين بالبلاد الاسلامية ، اذ ان الامر هنا فى تقدير مثل هؤلاء ، يتعلق بقضية الاسلام لا فى الاقطار الاسلامية الخالصة فقط ، بل يتعلق ايضا بمستقبل الانتشار الاسلامى فى المجتمعات الاخرى التي لا تنتسب حاليا الى الاسلام ؛ ان التبشير الاسلامي فى حاجة دائمة الى اعطاء المثال لغير المسلمين عن الحياة الاسلامية القائمة ذاتها . ومن ثم يجب ان تكون هذه الحياة الاسلامية القائمة ،ممثلة لبعض روح الاسلام الصحيح ، لكي تكون اداة اغراء وجذب للاسلام ، لا سببا لتنفير آخرين منه ، خاصة وان مستلزمات الدعوة لايجزيء فيها ان تجذب الى الاسلام ، مجرد بسطاء العقول او الباحثين عن مجرد الطمانينة الروحية او غير هؤلاء او اولئك ، ممن يمكن ان يعتنقوا الاسلام ، بل ان روح الدعوة لاتفرق بين مثل هؤلاء البسطاء ، وبين اصحاب الذهنيات المترفعة من العقلانيين والعلميين والمتفلسفين وغيرهم ممن يعنينا ـ بموجب روح الدعوة ـ ان تجتذبهم ، اذا كان من الممكن اجتذابهم ـ ؛ لكن ، يجب قبل ذلك ان تكون المجتمعات الاسلامية من الناحية العقائدية على الاقل ـ فى مستوى قد يثير عناية العلميين والعقلانيين ، ويحملهم على الاهتمام ، مجرد الاهتمام بالفكرة الاسلامية ، من خلال ما يبدو منها ـ واقعيا ـ على صعيد الحياة الجماعية الاسلامية .

كل هذه المقتضيات تضع امامنا فى الاعتبار اهمية تهذيب الفكرة الاسلامية القائمة فى عقلية عموم الناس بالعالم الاسلامي ، باعتبار ذلك امرا حيويا يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية والروحية للجماعات الاسلامية ، وايضا على اعتبار ان الامر ، يمس قضية الاسلام كحقيقة حية ونزاعة بطبيعتها الى تحقيق مزيد من الازدهار والتوسع .

لكن المشكلة فى الامر ، تبقىممثلة فى السؤال التالى : كيف يمكن تهذيب هذه الجماهير ، وهل يجزيء فى ذلك وعظها ، وان كان الوعظ له وظيفته التي لا تنكر فى ايقاظ شعور المسلم ، واثارة حماسه ، الحق ان تهذيب الفكرة الاسلامية عند عوام المسلمين ، تحف به مصاعب ، كما تتوافر له امكانيات ، وان كانت ذات مظهر سلبي . وهذه الامكانيات السلبية تتجلى فى كون هؤلاء العوام هم اسلس قيادا لموحيات التوجيه اكثر من المتعلمين ؛ فالعوام ـ بحكم عدم احتكاكهم بالتيارات الفكرية الداعية للحيرة والريب ، يكونون عادة فى غير حاجة الى اخذ ورد جدلي فى شؤون الدين والروح . الا ان سلاسة قيادهم من ناحية فكرية على هذا النحو ، تجعل تاثرهم بالدين تاثرا غير واع ، ومستعدا للتوقف دائما فى نقطة واحدة ، لا يبرحها ، ليمكن من اجتهاد فى النظر ، وتفتح فى الفكر على اقل ما يكون عليه الاجتهاد والتفتح بالنسبة لانسان غير متعلم بقدر كاف .

وذلك ما يخلق اشد المصاعب التي اشرنا اليها فى علاقة العوام بالدين ، واستفادتهم منه الاستفادة التي

تضمن تطورهم العقلي والاجتماعي على اساسه . ذلك ان سطحية العقلية الدينية عند العوام ، تفقد الدين في عالمهم الذهني بعضا من ديناميته وحيويته وتبقيه بالنسبة اليهم محصورا في دائرة غير فعالة الا بقدر محدود جدا .

فاذا ما استعملت الوسائل المالوفة في ايقاظ الوعي الديني عند مثل هؤلاء ، لم تستطع تلك الوسائل ان تتغلغل فيهم التغلغل الكافي ، لما اشرنا اليه آنفا ؛ وهكذا تبقى المواضيع الدينية التي تقترح على العوام تدور في جو عقليتهم دون ان تنفذ اليها النفوذ الفعال الذي يستهدف من وراء اقتراح هذه المواضيع .

* * *

لا ابتغي من التعرض لهذه المشاكل التوجيهية في حياة المسلمين الحاضرة ، اقتراح كذا او كذا من السبل الاكثر صلاحية والتي يجب احتذاؤها في هذا المجال ؛ فالواقع ان القضية هي على اعلى مستوى من التشعب ، نظرا لكونها تمس عموم الحياة الفكرية في مجتمعات مترامية الاطراف ضمن العالم الاسلامي الفسيح . مضافا الى هذا ان هذه الظاهرة الفكرية الدينية ، تتداخل عواملها مع مركب من العوامل النفسية والاجتماعية المختلفة . الامر الذي يلزم عنه استبعاد فكرة المعالجة – بالمفهوم البسيط للكلمة – الذي يعني وجود داء والبحث له عن دواء ؛ ان الاحوال الفكرية الدينية عند عامة المسلمين في عصرنا قد نشأت ونمت بذورها ببطء تحت تاثير القرون الطويلة التي مرت على العالم الاسلامي خصوصا في قرون الانحطاط ، وما لابسها من تراجع في المد الفكري الاسلامي بما فيه الفكر الديني كذلك ، وهذا امر يجب اقامة الاعتبار له عند محاولة تقويم الفكر الديني عند المسلمين ، والنظر الى الموضوع هكذا بما يجب فيه من موضوعية وواقعية ! ولا يفهم هذا ان قروننا مقبلة (اذا شاء الله) هي التي تستطيع ان تنهي حالة الجمود الفكري الديني عند سواد الناس في دنيا الاسلام ، ان المقصود فقط ، ان ينظر الى الامر على حقيقته ، كما هو ، وان يعتبر تغييره داخلا في عموم التغيير الفكري الذي يجب أن يمس الانسان العادي في شتى المجتمعات الاسلامية ؛ اما كيف يمكن حدوث هذا التغيير الفكري العام ، فمرد ذلك مجموع حركة التطور الثقافي والاجتماعي القائمة الآن في شتى اطراف المحيط الاسلامي بالعالم ؛ وحركة التطور هاته التي نشير اليها هي ذات نطاق شامل ، وتتحكم فيها الاغراض الدنيوية الصرفة بقدر كبير ، غير ان الفكر الديني يجب ان يكون له دوره الاساسي في هذا المعنى بصفته عاملا مؤثرا في تيار التطور الجاري تياره في المجتمعات الاسلامية ؛ ومتاثرا ايضا بهذا التطور في حدود الملاءمة بين المصالح الدينية والدنيوية للمسلمين .

ان مراعاة مختلف هذه المقتضيات ، تضع على المعنيين بالاقناع الديني في عالم اليوم – جملة من الاعباء الدقيقة ، قد تكون في مستوى اعباء الباحثين عن مكنونات الذرة او سر المادة ؛ ان الاقناع الديني مهمة معقدة ، تتطلب استيعابا كبيرا وشاملا لنفسية العوام الذين يراد لهم تشبع عميق بروح الدين واهدافه ، رغم ما يتسمون به من سطحية تفكير ، وجمود في التصور والادراك ؛ (والاقناع هنا لا يقصد منه اقامة الحجة والاتيان بالدلائل ، وانما يراد به فقط مساعدة العقلية العامية الضيقة على التشبع بقدر كاف بمقتضيات الروح الدينية الفعالة الواعية المتفتحة) .

فالمعنى بالاقناع الديني بالنسبة للعوام ؛ هو كالمعلم الابتدائي في فصل تحضيري يحاول ان يجعل عقولا قاصرة جدا تدرك التجريدات الرياضية ادراك الذي يلمس الاشياء باليد ، ويتحسسها بالذوق او بالشم . ان هذا المعلم لا يعدو ان يكون معلم هجاء ابجدي وارقام تتعلق بالوحدات والعشرات ، ولكن مهمته – مع ذلك – قد تكون – من بعض الوجوه – اشد تعقيدا من مهمة هؤلاء الذين يدرسون فروعا عالية من المعرفة . فالعبره هنا بالمتعلم الذي يراد صياغة فكره من البداية ، والمتعلم هنا صعب المراس ، سواء بالنسبة لتلميذ التحضيري او للرجل العامي الذي يراد له ان يتكيف تكيفا مرنا ومتفتحا في مضمار الدين وما يتعلق به .

ولنبق في نطاق الفصل التحضيري فنرى ان المتصدر لاقناع العامة دينيا ، قد يكون من الانسب له ، ان يراعي في مبادراته الاقناعية نفس الاسس السيكولوجية والتعليمية التي تراعى في مثل هذا الفصل . فليكن لذلك اقل تجريدا ، واكثر التصاقا باهتمامات الناس ، وقضاياهم الروحية والمادية الملحة . والاسلام من مميزاته الكبرى التي ينفرد بها عن اي دين آخر ، انه – كما يقال عنه دائما – دين ودنيا . فالمادة الدينية المستمدة من الاسلام يمكن ان تنطبق من حيث المبدا ، على مختلف اهتمامات سواد الناس ، وما يشغل اذهانهم ، واي اسلوب من هذا القبيل ، لابد ان يساعد تصوره على تقريب المفهوم الديني من العامة . والاهم من ذلك ، جعله اداة فعالة

جدا فى مجال التهذيب العام ، والتوجيه على مختلف الاوجه ، التي ينصرف اليها التوجيه ، الوجه الاقتصادي والوجه الاجتماعي وغيره .

ان الغاية من بث الروح الدينية ، يجب ان تكون من بعض جوانبها غاية عملية ، مثل ما ينتظر من تكوين الطفل فى المدرسة اهدافا عملية ايضا ، اما المرمى البعيد من كل ذلك ، فهو صهر العقلية الشعبية فى الاقطار الاسلامية على اساس اسلامي ، غير ان هذا التعبير « تكوين عقلية اسلامية » سيبقى مجرد تعبير مثالي ، اي سيبقى دالا على مثالية متسامية بقدر ما يعسر تحصيلها فى الواقع ، الا اذا اصبحت المفاهيم الاسلامية داخلة فى صميم التفكير اليومي عند الافراد العاديين ؛ وهذا لايتم ــ كما اسلفنا ــ الا اذا روعيت فى تكوين هذه العقلية الاسلامية عند الناس ، المقتضيات البيداغوجية التي تتبع توجيه الصغار ، وتكوين عقليتهم على الاسس التي ينشدها المجتمع ، مستمدا اياها من واقعه ، وضروراته الحياتية ؛ اما غير هذا فهو محدث دائما هذه الحالة من الانفصام الموجود بين المثالية الدينية كما يعتنقها الفرد المسلم بعواطفه وبعض ميوله ، وبين السلوك اليومي الذي يأخذ به نفس هذا الفرد ، مستوحيا اياه من واقعه المعاش ، ومن جملة القضايا التي يواجه بها هذا الواقع المعاش ، ولا يلتمس حلولا لها الا على ضوء مصالح عارضة قد لا تكون متفقة مع المبدا السليم . وقد يكون الحافز اليها مجرد صفات تتحكم فيها الغرائز غير المراقبة اكثر مما يتحكم فيها شيء آخر .

* * *

واذا كان علينا ان نأخذ « احتياطات بيداغوجية » فى تربية العوام من ناحية دينية ، فان علينا ــ بنفس القدر ــ ان نتخذ احتياطات كذلك فى زرع بذور الفكرة الدينية عند افراد الجيل الناشيء . واقصد بذلك ، هؤلاء الذين بلغوا درجة من النضج والرشد ، خولها لهم تجاوزهم سن المراهقة ، والقدر من التعلم الابتدائي والثانوي الذي حصلوا عليه ؛ ان مثل هؤلاء ــ وان يكونوا قد تجاوزوا دور المراهقة الفسيولوجية ــ فانهم ، بولوجهم سن الشباب ، ووقوعهم فى عنفوانه ، يكونون عادة فى حالة طور مراهقة عقلية ، شديدة التاثير على نفوسهم وافكارهم ونظرتهم الى كل شيء ، وبالاخص نظرتهم الى القيم المعنوية ، التي تتيه فيها اذهانهم كل التيه ، دون ان يستمروا على شيء ثابت نسبيا الا بعد ان يصلوا الى درجة النضج العميق الشامل . ومن الملاحظ ان التربية التقليدية ، كانت تنزع بطبيعتها الى اقامة سدود المعاكسة ضد هؤلاء، باعتبارهم متنطعين ، او منحرفين او ما هو فى معنى هذه الاوصاف ؛ وكان النظر الى الشبيبة هكذا ، نظرا سطحيا ــ ولا شك ــ يكتفي باستبانة الامور وعواملها من ملاحظة الظواهر الخارجية ؛ ومن بين اهم التحولات فى النظرة الى الانسان ، والتحول الذي يفرض الآن ضرورة التغلغل الى اعماق السلوك الانساني ، بما فيه طبعا سلوك الناشئة ، وما يتسم به سلوكها هذا من عقلية متقلبة ، يجب ان تفهم حق الفهم ، حتى يستطاع ادراك التيارات النفسية والمؤثرات البيئية ، المحيطة بها . ومن ثم يمكن ان يحاط بهذه التيارات والمؤثرات ، على نحو يمكن من الاخذ بزمام الشباب وتطعيم عقليته بما يعينها على ادراك موقف صحيح ومعقول من الحياة ؛ ومن هذه الوجهة من النظر ، يمكننا ان نتناول موضوع العلاقة بين الشبيبة والقيم المعنوية الثابتة التي يجب ان تاخذ بها اساسا (ومن اهمها وفي طليعتها القيم الدينية . ففي هذا الميدان ، كما فى غيره من ميادين التكوين الفكري الاساسي للانسان ، انسان الجيل الناشيء ، يتحتم دائما ان نجتنب الحملات الصاخبة على الانحراف الذي قد نلاحظه ، متلافين مجرد الاعتماد على النقد السلبي الذي قد لا يفيد فى مثل هذه الامور، الا بشيء ضئيل جدا ، وربما لا يفيد اطلاقا ؛ وقد يكون اجدى من ذلك ــ على العكس ــ الاسلوب المعتمد على دراسة هادئة وموضوعية لـ « المشاكل الاعتقادية والروحية » عند النشء وتصور صيغ المعالجة على ضوء مثل هذه الدراسات الهادئة الموضوعية ، التي لا تغفل من الحساب ، والمعضلات الناشئة عن مفارقات العصر ، وتصادم القيم عند انسان هذا العصر ، وبذلك يمكن التوصل فى شأن الناشئة الى حلول جدية تقيها بقدر ما ، مزالق هذه المفارقات ، والتصادم الذي تفرضه بين القيم ؛ ولا نحتاج الى التاكيد على ان صاحب الدعوة ، المناط به مثل هذا العبء ، يجب ان يكون فى مستوى الاضطلاع به من المام بالدراسات السيكولوجية والاجتماعية وما يتصل بها ، ومن احاطة له ــ ولو نسبية ــ بقضايا العصر ومشاكله الى جانب الثقافة الدينية الاساسية .

سلا : المهدي البرجالي

مفهوم التربية الإسلامية

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

مدلول التربية في حد ذاتــه مدلول يقتضـــي الدراسة العميقة المتواصلة التي لا تعرف الكلــل ولا الملل لانه مدلول مرتبط بوجود الانسان منذ نشاته على البسيطة ولا ينتهي الا بانتهاء الحياة ؛ وقد دفع كثيرا من الفلاسفة الى البحث عن حقيقته والى البحث عــن مرجعه وهل يتصل بالعقل أو بالفطرة ، وبلفظ آخــر هل يتصل بالوراثــة أو بالبيئــة .

ونحن وان كنا لا ننكر اثر الوراثــة في تهــذيب النفس وفي التاثر ببعض الغرائز ، فاننا لا نستطيــع باي حال من الاحوال ان ننكر فضل التربية التي بهــا تستطيــع ان تقــوم النفــس من اخطائها وان نمهد لهــا الطريق الرشيـــد .

وحيث ان العقل احيانا قد يكون عاجزا وحده عن معرفة الخطة الرشيدة ، فقد يسر الله لعباده طريــق الوحي فارسل رسله وكتبه لتكــون هدايـــة للناس وارشادا لهم تبين لهم ما صلح وتنهاهم عــن المضار وآنذاك اصبح الانسان عالما بطريق الهداية فلم يبق لــه الا البحث والتفكير والتامل فيما جعل الله بين يديه ، به يسترشد وعلى نهجه يسير ، فمن لم يفكــر ولم يتامل ضل ســواء السبيل .

وهنا اصبح الانسان مسؤولا عن التفكير والتامل والبحث عن الطريق التي تمهد له الطاعة وتمهد لــه السعادة وتيســر له الاطمئنان في الحياة ، بل اصبح من الضروري أن يبحث عن كنه هاته الحقيقة التي منحت له ليهتدي الى اعماقها ويسترشد بمغزاهــا الحــي الثابــت .

الانسان اذن مسؤول امام نفسه وامام الاجيــال المقبلة التي تنتظر ما يقوم به الفرد والجماعات في هــذا العصر حتى لايجد السبيل مظلما والطريق مقفلا .

ومن المعلوم اننا نحن الذين نكون الاجيال المقبلــة فاذا عشنا في اضطراب وقلق وشك وارتياب ، فقــد نجعل هؤلاء الذين سنمنحهم ثقافتنا وتربيتنا في اضطراب وقلق ايضا ، ونكون نحن مسؤولين عن شقائنا وتمهيد الشقاء لهم .

لهــذا ارى من الضروري ان نبحث عــن اسس فلسفية نبني عليها اتجاهنا ، وهذه الاسس لا تكــون مبنية على اوهام ، انما يجب أن تكون مبنية على أسس الفطرة الانسانية التي جبل الانسان عليها والتي يركن اليها كلما شعــر بعجز ، الا وهــي فطرة الايمان بقــوة اسمــى وملكــوت أعلــى .

وان هذه الفطرة هي التي تجعل الانسان خانعــا لهذه القوة العليا ، ولكنها في الوقت نفسه تترك لـــه حق التفكير في تحقيق رغبات غرائزه وفق ما يتفــق مع مصلحة الانسان كنوع وكمجموعة افراد تتكون منهم المجتمعــات .

فكيان الانسان يرتكز على نقطتين :

النقطة الاولى : نقطة الضعف امام القوة الهائلة التي يشعر بها كلما حزبه امر او مســه سوء أو اضطربت احواله او لم يستطع ان ياتي بتعليل ارضي يحيط به ، انها قوة الله في النفس .

اما النقطة الثانية فهي نقطة بشرية تربط بينــه وبين البشر جميعا ، وهذه يمكن أن تدخل في اطــار

الفلسفات العقلية التي تعتمد على المنطق والتاريخ والاجتماع والاوضاع القانونية التي يمكن بواسطتها للانسان ان يسعى فى الخير له ولغيره ، ولكننا رغم ذلك لا نستطيع ان نفصلها عن النقطة الاولى فى روحها وفي اهدافها .

ففي النقطة الثانية يجب على الانسان ان يستحضر القانون الديني الذي يوجب عليه ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه . ومن هنا نجد ان النقطة الاولى لم يكن من ورائها نفع للذي دفعنا الى الايمان بها ، وانما النفع فيها راجع للبشر انفسهم ، وعجيب لمن يجد النفع فى طريق ثم ينحرف عنها الى طريق اخرى قد تجر عليه الويل والثبور .

واساس الارتباط بين النقطة الاولى والثانية ، انما يظهر فى العمل والجزاء .

فالله تبارك وتعالى ارسل رسله ثم اقتضت حكمته العميقة ان ينسخ بعض الاديان ويعوضها باديان اخرى الى أن أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم مصدقا لمن جاء من قبله ، ثم قدم اليه تشريعات عامة تهتم بالعقيدة من جهة وبالانظمة الاجتماعية والمعاملات العامة من جهة اخرى ، وطلب من الناس ان يؤمنوا بها وأن يتبعوها ورأى ان خلاص البشرية لا يكون الا على يدها .

وجعل الله تبارك وتعالى تطبيق هذه الشرائع مرتبطا بالنية والقصد ، فاذا كان القصد حسنا ولم تكن النتائج منسجمة معه لم يكن الانسان مسؤولا عما حدث ، وفي هذا رفع للانسان واعزاز لكرامته لانه لا يعاقب على ما اظهر ، وانما يعاقب على ما ابطن ، وبذلك يرتفع الامر من العقاب الى الثواب ايضا فلا يكون الثواب على ما ظهر وانما يكون على ضمير الانسان ونيته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هجر اليه » .

وبهذا القانون الديني لايمكن للانسان ان يطغى او يتجبر ولا يمكنه ان يماري وينافق ويخاتل لانه يعلم ان فى الوجود الاها لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه شيء فى الارض ولا فى السماء .

وقد نجد بعض الناس لا يابهون بهذا القانون لانهم كلما ذكروه عقبوا عليه بانه مناف لاسس الخلقية المثالية التي تفرض على البشر ان يفعلوا الخير لذاته من غير انتظار الجزاء .

وانا ارى ان امر الله تبارك وتعالى للعباد بفعل الخير ونهيه عن ارتكاب الآثام لا يستفيد منه الا البشر ولا يجني ثمراته الا المجتمعات .

والفرد حين يعمل الخير أو يجتنب الشر يمثل جانبين : الجانب الاجتماعي ، والجانب الذاتي الانتفاعي

فأما الجانب الاجتماعي فهو ما نرمي اليه من مساندة العمل الخيري ومن المطالبة به . واما الجانب الذاتي فهو امر يتعلق بحيثية ذلك الفرد الذي يعمل الخير او يبتعد عن الشر ، فانه ان عمل الخير رجاء فى الجنة أو عمل الخير خوفا من النار أو عمل الخير من اجل الخير فان الغاية الاجتماعية لا تتغير لان المجتمع استفاد على كل حال من عمل الفرد .

فالاعتبارات الدافعة الى فعل الخير بالنسبة الى الجزاء اعتبارات ذاتية محضة قد تكون صالحة لتقدير درجات الفرد عند الله فقط ، ولكن الغاية لا تتغير لان الخير مرغوب فيه لذاته ووسائل الترغيب والترهيب تختلف باختلاف النفوس ، فاذا ارتفع الباعث فى نفس المؤمن حتى بلغ الى درجة سامية تجعل الطاعة لاجل الطاعة ، والخير لاجل الخير ، كان عند الله من المقربين .

وقد روي عن علي بن ابي طالب انه قال : « ان لله رجالا يعبدونه عبادة العبيد ـ اي خوفا من عقابه ـ ورجالا يعبدونه عبادة التجار ـ اي املا فى جنته ـ ورجالا يعبدونه عبادة الاحرار ـ أي متحررين من قيود الثواب والعقاب وانما يعبدونه حبا فيه .

وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » بأن المراد بحقيقة التقوى تنزيه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة (1) .

وقد تنبه بعض المتصوفة لذلك حين حاولوا ان يجعلوا الطاعة لله طاعة ناتجة عن الحب لا عن الرجاء والخوف ، وذاع فى هذا الشأن قول رابعة العدوية في ابياتها الشهيرة :

---

1) سورة آل عمران الآية 102 ، وهذا التأويل وجه من وجوه التفسير ذكره ابو السعود فى الجزء الاول من تفسيره صفحة 257

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
او بأن يسكنوا الجنان فيضحوا
في رياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار راي
انا لا ابتغي بحبي بديلا

لا شك ان هذا التفاوت انما هو راجع الى درجات العبادة لا الى الاثر الذي تخلفه في المجتمعات لان الاثر في الحقيقة واحد ، فاني اذا انفت من ان اكون لصا مثلا خوفا من الفضيحة او حبا في السلامة او لانني قدرت ما في هذا العمل الدنيء من الاضرار الاجتماعية فان النتيجة بالنسبة الى المجتمع لا تتغير لان الابتعاد عن السرقة قد حصل بالفعل .

قد يكون الخير من اجل الخير ضروريا بالنسبة الى الذي يخاف من العقوبات الارضية ، بحيث كلما وجد الفرصة سانحة له ارتكب الاثم لانه يأمن من العقاب ، اما اذا كانت هذه الرقابة التي يجعلها الانسان على نفسه رقابة دائمة ، فليس لديه اي فرصة للانفلات من قبضتها لانه يومن بها ويجعلها داخلة في عقيدته وفلسفته ، ولذلك كان الايمان بالله ، وكان الايمان بالغيب ، وكان الايمان بالجنة والنار ، خلاصا للعباد من الجرائم ومن الظلم والتسلط والفساد .

لهذا نعزو ما نراه من تعفن في تربية بعض الافراد في مجتمعنا الى انحلال هذه العاطفة الدينية من انفسهم ومن اعمالهم .

ولا يكفي في اذكاء هذه العاطفة أن ندعو اليها ، وانما يجب ان يكون هناك منهاج تربوي هادف يتولى تربية الفرد منذ طفولته الى ان يتحمل مسؤوليته في الحياة .

وهذا المنهاج لا تنفرد به المدرسة ، بل يعم جميع طبقات المجتمع ، ويتولى البيت قسطا منه كبيرا ، لان البيت يمثل الحلقة الاولى في تربية الطفل وتوجيهه .

وهناك وسائل عملية كثيرة نستطيع بها ان نرفع من المستوى الخلقي للاسر ، فنستغل مثلا الاجهزة الفنية العامة التي اصبحت تلعب دورا كبيرا في هذا العصر ، ونجعلها مدارس عملية توجه وترشد وتربي وتقوم مقام المصلحين خصوصا بعد ان اصبحت كثير من الاسر تملك اجهزة التلفزيون والاذاعة ويتيسر لها التوجه الى قاعات السينما ومشاهدة كثير من الافلام وقراءة عدد من الصحف ، فاذا استطعنا ان نجعل هذه الوسائل خاضعة لمنهاج تربوي موحد يرفع من مستوى الاسرة ، وحققنا لهذا المنهاج وجودا في المناهج الدراسية ، امكننا أن نكون جيلا صالحا يتحمل المسؤولية باعتزاز ويطبق عمليا ما التزم به دينيا وخلقيا واجتماعيا ، لان التطبيق هو اساس التربية ، ولهذا كان الاسلام يحرص كل الحرص على ان يكون المسلم متصفا بأحسن الصفات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

هذه الوصايا النبوية تعد من اسس التربية الاسلامية التي تطلب من الانسان ان يكون نزيها بعيدا عن النفاق والرياء ، بعيدا عن كل الشرور في السر والعلانية ، فيحسن النية للحق والعلانية للخلق .

ومن المعلوم ان التقوى اجهاد للنفس على الالتزام بالطاعة والابتعاد عن المعصية ، وحرص على الايمان بالفضيلة والتحلي بها ، وهي حفظ للنفس من الانسياق مع اهوائها وتدريب لها على الصالحات .

ولا تتجلى التقوى الا مع تربية الارادة الانسانية وتقوية عزيمة الفرد حتى لا يظل لعبة في يد هواه .

وهذا ما يفهم من قول البوصيري رحمه الله :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

ولما كان للتقوى هذا الفضل كانت هي شعار التفاضل البشري عند الله . قال تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير . » (1) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « كلكم لآدم وآدم من تراب اكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » .

ما اعظم هذا المفهوم في التربية التي جاء بها الاسلام ، فمن بعد التفاضل بالقبائل العربية رغم تقاربها العرقي اصبحنا نرى العربي الذي كان يضيق قلبه على ان يحمل شعورا موحدا مع جنسه يتسع لهذا التسامح المطلق الذي لا يعترف بحدود التعصب الجنسي وانما يجعل اللقاء بين البشر فكرة قيمة

1) سورة الحجرات 13 .

تربط بين المسلم واخيه كيفما كان جنسه واينما كان موطنه . ان الفكرة الموحدة دين سماوي لم يوجه للعرب وحدهم وانما وجه للانسان على اختلاف اجناسه وطبقاته .

ولما اطمأن المسلمون الى دين الله ، وشاعت اللغة العربية فى الاصقاع الاسلامية ، وارتبطت علوم المسلمين بعلوم غيرهم ، وسهر خلفاء الاسلام على حماية العلم ، تكونت آنذاك حضارة عربية اسلامية لا تمثل جنسا ولكنها فى الحقيقة تمثل فكرة وتمثل لغة وتمثل دينا .

فالحضارة العربية الاسلامية هي وليدة هذه الثقافة التي ارتبطت بغيرها من الثقافات ، ولم تكن ابدا وليدة جنس بعينه ، وبهذه الظاهرة فى التربية الاسلامية نستطيع ان نخنق الاضطرابات التعصبية التي تفرق بين الاخ واخيه وبين المتساكنين فى ارض واحدة او فى جوار واحد .

ويجب ان نعلم ان الحضارة العربية الاسلامية تتصل بالفكرة ، وان مساندة العرب لغيرهم من المسلمين او مساندة المسلمين من غير العرب للجنس العربي ، لم يكن الفضل فيها راجعا الا للتسامح الديني الذي محا العصبيات وكون وحدة جديدة كانت هي العنصر الاول فى مفهوم التربية الاسلامية والحضارة العربية .

ولم يكن مفهوم التربية الاسلامية مرتبطا بالمظاهر التعبدية الظاهرة فقط ، وانما هو فى الحقيقة مرتبط ايضا بالجانب التعبدي العام الذي يقيد الفرد فى جميع اعماله بطاعة الله وباستحضار جلاله وتصور ثوابه وعقابه .

الاخلاص فى العمل عبادة .
عدم اذاية الناس عبادة .
القيام بالواجب عبادة .
تربية النشء تربية صالحة عبادة .

كل عمل يقوم به الفرد او تقوم به الجماعة وليس فيه ضرر فهو عبادة .

اليس هذا المفهوم للتربية الاسلامية يعد اسمى ما تطمح اليه البشرية فى هذا العصر المليء بكثير من الاضطرابات .

والانسان يحس بهذا المفهوم العظيم للتربية الاسلامية كلما اطلع على الاصول العامة التي ينبني عليها الاسلام . ونظرة تأملية فى كتاب الله وفي أحاديث الرسول تشعرنا بهذه الظاهرة الجليلة التي تعد انقاذا للبشرية من الضلال والدمار .

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ايضا : « وقد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده ، كتاب الله وسنة رسوله . الا هل بلغت اللهم فاشهد . »

لقد بلغ الرسول اذن الى البشر ما يجب عليهم ان يطلعوا عليه وأن يعملوا به ، فالمسؤولية الآن مقتصرة عليهم ، يجب ان يعوها وأن يتحملوها بكل نزاهة واخلاص وعزم وهمة .

فلننظر مثلا الى آيات الاحكام فى القرآن ، نجد فرقا واضحا بينها وبين القوانين الوضعية .

فالقوانين الوضعية تنص على القانون دون ان تعلله او توجهه ، وما على الفرد الا الطاعة والا كان عرضة للعقاب . اما الاحكام القرآنية فغالبا ما تأتي ومع تعليل الهي او توجيه يحبب الانسان فى الخير او يخوفه من الله او يرغبه فى رحمته ، وبذلك يكون العنصر الايماني فى التطبيق اقوى من العنصر الفرضي الالزامي . ولتوضيح ذلك نذكر ما يأتي :

لقد جعل الله امر الطلاق بيد الرجل ، وللرجل فى الطلاق الرجعي ان يراجع زوجته دون اذنها ودون ولي او صداق جديد ، اذ يكفيه ان يشهد على نفسه الارجاع فيتم ذلك شرعا .

هذا الحق واضح الدلالة ويمكن لكل رجل ان يستفيد منه دون أن يجد عارضا أرضيا ، ولكن الله تبارك وتعالى حين جعل هذا الحكم بيد الرجل خشي ان يستغل فى حيف أو ظلم ولا يمكن لمن يتعهد تطبيق الشريعة فى الارض ان يعلم نية الرجل حين ارجاعه لزوجته وهل يقصد بها اضرارا كاطالة عدتها مثلا او انما يريد الاصلاح .

ولما كان هذا الامر متعذرا لم يجعل الله تنفيذه خاليا من التوجيه الديني ومن التوجيه التربوي ، بل ذكر الله المسلم بدينه وبأن الله يعلم السر وما يخفى، فاذا كان الرجل يرجو من وراء تطبيق هذا الحكم

الاضرار بالمرأة ، فليعلم بأن الله سينتقم منه يوم الجزاء . قال تعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم . » (1)

فنحن نلاحظ أن أساس التربية الاسلامية مرتبط أقوى الارتباط بعلم الله الشامل العام .

ان الله بكل شيء عليم اساس تربوي يدفع الانسان الى تطبيق روح التشريع والى عدم الاكتفاء بالظواهر اللفظية التي يمكن ان يكون مدلولها بالنسبة الى الرائين والملاحظين واضحا موافقا ولكنه بالنسبة الى التنفيذ الشخصي يكون الفرد فيها آثما لان القصد سيء وفيه تبديل لكلمات الله وتزييف للحق الذي بني الدين على اساسه .

ان هذا العلم الشامل الذي يجعله الله رقابة دقيقة على افعال العباد ، يجعل المؤمن يتوخى الحق في اعماله والعدل في تصرفاته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما انا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضكم يكون ابلغ من بعض فأحسب انه صدق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها او ليتركها . » (2)

وهذا الامر الاخير تهديد للمدعي الجائر لئلا ينساق مع شهوة التغلب دون أن يتدبر روح العدل في المعاملات البشرية ، فهو قد يستطيع أن يخدع الحكام والقضاة ، ولكنه لا يستطيع أن يخدع الحاكم الاكبر والعادل الجبار ، فهو له دائما بالمرصاد .

هكذا نتيقن مرة اخرى بأن التربية الاسلامية ترتكز على تشريع يفيد البشر جميعا ، وترتكز في تطبيقه على مقدار العلاقة بين الفرد والله ، فمن جعل الله متجليا في نفسه كل حين كان أقرب الناس الى الخير وابعدهم عن الشر .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) سورة البقرة 231 .

2) هداية الباري لترتيب احاديث البخاري ج 1 صفحة 223 ، ذكره البخاري في كتاب المظالم وروته ام سلمة.

عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

(5)

لقد نسج تاريخ المغرب الحديث من لحمة العروبة والاسلام ، ولا تكاد تلوح فى الافق الدولي احداث الا ويظهر المغرب مدى استجابته لفكرة العروبة والاسلام ، وليس معنى هذا ان المغرب لايعرف التيارات الغربية او لا يتاثر بها مطلقا ، ولكنه كشعب اصيل لا يقتبس منها الا ما يوافق اسس ثقافيه اسلامية ويخضعها لمقاييس دقيقة من النقد دون ان يسير وراء الشعارات المزيفة ؛ وللمغربي قدرة خارقة على النقد الفطري الذي يميز به ما يساير اصالته او يبعده عنها .

وقد رحل المغربي منذ قرون الى ارض الرجل الغربي ، وكتب الرحالون مآت التاليف عن ارتساماتهم وآرائهم فى الحضارة الغربية ؛ وكادوا ان يتفقوا على مادية الغرب ومطامعه ، ويحمدونه فى نفس الوقت على نشاطه وتنظيمه . . . وحملوا منذ قرون تقارير الى بلادهم عن حضارة الغرب ومزايا تمدنه وادركوا منذ قرون ان قوة الرجل الغربي فى تنظيمه وتقنيته ، وضعفه وتكالبه المادي ومطامعه غير المشروعة وانحرافات الكنيسة .

ولذلك بادروا بدعوة المغرب الى ان يعبيء قواه لمقاومة المتطلعين الى ارضه وخيراته ، ووقفت الدبلوماسية المغربية تراوغ الرجل الغربي وتلقي فى الماء الكدر فتاتا ليتصارع الطامعون ، واعترف الغرب بدهاء الدبلوماسية المغربية فلم يجدوا غير القوة بديلا ، وهذا ما كان ينقص المغرب او ما لم يستطع ان يعاجل بتنظيمه .

وتحرك تاريخ المغرب الحديث بفعالية الاسلام ونشاط وعيه فى النفوس وكانت الحركات الوطنية تعتمد على البعث الاسلامي باعتباره طريق الخلاص وموقد جذوة الشخصية المغربية الاصيلة ، لان المغربي لا يعمل الا فى اطار اسلامي سليم .

ولا يجحد تطور المفهوم الاسلامي فى الاحزاب الوطنية التي اقتبست عن الحركة السلفية اساليبها الوعظية ومناهجها الدراسية وكانت هذه الحركة القوية تعبر عن النشاط الاسلامي الخلاق وتشحن النفوس بعزة الشخصية الاسلامية وتتحدى الاستعمار الفكري، كما كان زعماء الفكر الاسلامي يلوحون بذلك اليوم الذي يتاح للمغرب ان يقود نفسه ليرجع الى اسس حضارته غير منحرف عنها الى حضارة الغرب ، وكان الاستقلال فرصة لهذه التجربة الجديدة . واذا كان المغرب متمسكا باسلامه فان حاجته اكيدة الى اعطاء مفهوم للاسلام السلفي حتى نتغلب عن المتناقضات الفكرية بين الواقع والامل وحتى لايبتعد بعضنا عن الواقع لينتظر اليوم الذي لا نعمل له اليوم ولا ينسلخ آخرون عن الامل ليسلموا بالواقع دون ان يكافحوا ليوم انتصار الاسلام .

ان تيار الفكر الماركسي يغزو العالم الاسلامي لتحويل بناء الغد عن الاسس الروحية الاسلامية الى الاسس الماركسية ويعوض على العالم الاسلامي اوضاع التاريخ الغربي الذي تولد عن صراع الطبقات بل يذهب بعيدا حين يقارن بين الاسلام والكنيسة التي ساندت

الطبقية وحاربت التقدم العلمي باعتبـاره دينا يؤخـر الشعـــوب .

كما تتقارب الكنيسة من اليهودية ذلك التقـارب الذي يبرىء اليهود من دم المسيح لمواجهة كل قـــوة جديدة روحية او مادية ، كل هذه الاحداث تؤثر على الثقافة الاسلامية فى المغرب بوسائلها الدعائية .

والواقع ان المكاسب الاسلامية تفرضها مرونـة الاسلام وقوته على تخطي الجزئيات الى وعي الحقيقـة ذاتهـــا .

فالتطور الفكري فى الكنيسة يلتقي دائما مـــع الاهداف الاسلامية مما يدل على قوة الاسلام وصلاحيته وفهمه العميق لمشاكل الانسان وشمولية ربطه فى قـوة بين مختلف مظاهر الحياة ومركزتهـا فى اساس كونـي عـام . وهذا سر قوته رغم ركود العالم الاسلامـــي وتقاعس المفكرين عن اداء رسالتهم التوجيهية .

والمغرب كقطر مسلـم يتصدى لاداء رسالتـــه الاسلامية فى تحليل الاسلام وشرحه أو فى تبليغـــه لدعوته فى انحاء القارة الافريقية والاسيوية والاوربية بتجاربه الحديثة التي لم يستند عودها بعد .

ولم يكن المغرب بعيدا عن موقفـه مـــن صراع فكرتي العروبة والاسلامية بعد الاستقلال . فالعروبة لم تفهم طيلة تاريخه الا على أساس حركتها الاسلامية، ولم يكن مفهوم العروبة ذا صبغة جنسية او سلالية ، وانما كان مفهومها يمتزج دائما بالاسلام ، فلم يعـرف المغاربة الا العرب الذين حملـوا الى ارضهم الاسـلام ولذلك بقي الفكر المغربي لا يستطيع ان يفصل بيـــن العروبة والاسلام ، وهو يدخل عامل اللغة وحده فـي مفهـوم العروبة معتمدا على ما جاء فى تعاليم الاسلام من ان من تكلم العربية فهو عربي ، واذا كانت المصالـــح الاقتصادية والتاريخ المشترك والاهداف المشتركـــة كذلك عناصر تدخل فى تدعيم الفكرة فان المغرب ليزداد اتصالا بالعروبة والاسلامية كما فهمها طيلـة تاريخه .

كما ان سكان المغرب ينتمون جميعا الى ارومـة من جزيرة العرب وردت الاولى من اليمن فى التاريـخ العريق وتكلم اللغـة البربريـة ذات الاصل العربـي القديم ثم وردت الثانية بعد ظهور الاسلام تحمل الدين الجديد ، وعاشا معا فى المغرب يخدمان الفكر والثقافة ويناضلان من اجل وحدة البلاد ، وتبدو وحدتهمـــا اقوى ما تكون كلما تكتـلا لصد المغيـر والمستعمـر ، فالاسلام دينهما والمالكية مذهبهما واللغة العربيـــة وسيلة التعبير عندهما معا .

ويبدو نشاط المغرب فى حركة النشر والدعوات المبدئية فى المجلات والصحف اليومية ، ومن الحـــق ان نذكر ان مجلة دعوة الحق حملت امانة تبليغ الدعوة الاسلامية وتحليل الاسلام وقوة المغرب على اداء رسالته فى جراة وتفهم واقتحام للميدان ، كما ان مجلة البينـة رغم قصر عمرها ادت رسالتها فأحسنت الاداء ، امـا على الصعيد التربوي فالتعليم المغربي بصفة عامـــة وجامعة القرويين بصفة خاصة وما اسفر عنه الاستقلال من تطور عميق فى مناهجها الدراسية لدليل على القوة التى يتزود بها المغربي المسلم ليؤدي رسالته الاسلامية التي هي رسالة انسانية سليمة ، كما لايمكن ان نتجاهل دور التلفزيون والاذاعة واثرهما فى تبسيط المفاهيـم الاسلامية وتلقين الجماعة المسلمة المباديء الاسلامية القادرة وحدها على توعية عقليتنا المغربية ،والسمـو بوجداننا الصادق لتحقيق عالم الاسلام الذي نصبـو اليــــــه .

وليس من شك ان شخصية جلالة الملك الحسن الثاني لما تتصف به من عمق فكري والتزام ديني واطلاع واسع على فلسفة الاسلام وفلسفة الغرب مما يجعل المغرب يحتل قيادة الفكر الاسلامي المعاصر ، ويجعل علماء الاسلام المغاربة يعملون بثقـــة ومسؤولية لاداء الرسالة الاسلامية وتحقيق العالم الاسلامي المنتظر .

الرباط : الحسن السائـح



«3»

فى العدد السابق من دعوة الحق ، ابدينا تساؤلات وتحفظات يوردها البعض ليعارض وجود « شخصانية اسلامية » ، فحللنا مفهوم « التعالي » ومفهوم « الوحي » واليوم نقدم تحليلا للالحاد لنرى هل الايمان يعارض ، حقا ، الحرية البشرية .

فكرة الالحاد

مشكل : الالحاد .

يؤمن المسلم بوجود الله ، وتلك تجربة ذاتية . فمن حيث انها شخصية ، لا شيء يثبت لنا ان تجربة المنكر لوجود الله غير حقيقية . اليست هي ، كذلك ، تجربة شخصية يحياها الملحد ، ذاتيا وبصدق ؟ اذا كان الله موجودا ، فهو موجود بالنسبة للجميع . فكيف جاز حصول انكاره ؟ لقد اكد القرآن ان الله قد شاء ان يكون خافيا عن البعض ، وجليا بوضوح للاخرين : « هو الاول ، والاخر ، والظاهر ، والباطن » (57 : 3) .

فالله هو « الاول » ، اي منبع كل الموجودات (والملحد احدها) . وعن مشيئته تعالى تصدر كذلك الاراء والتجارب (كالشك فى وجود الله) ، والله هو « الظاهر » ، اي بآثاره الدالة على وجوده (وهل الكفر الا مظهر لعمليات تفكير شخص يفكر ؟) . فالملحد ليس بمسؤول عن الحاده ، لان الله « باطن » ، لا تحيط به الحواس ، ولا تصل الى ادراك حقيقته العقول ، لانها حقيقة متعالية . والقرآن يقر بان امكانية الشك والانكار ضرورية لامتحان الانسان . والسماح له بالحياة والتعبير عن حريته الكلية . وليس رفض «المطلق» الا تاكيدا لحرية المرء ، تلك الحرية التي يرتضيها الاسلام : « وقل : الحق من ربك ، فمن شاء فليؤمن ! ومن شاء فليكفر !» (18:9)

وهل من حرية اذا لم يكن بمستطاع المرء ان يرفض كل فكرة قطعية تعسفية يسلم بها لانها مسايرة للعادات السائدة ؟ فالقرآن يوبخ كل امة : « ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على امة ، وانا على آثارهم مقتدون » (43 : 23) . ويضيف القرآن ، ساخرا من التقليد والمقلدين : « قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . » (5 : 104) « ... بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ! » (26 : 74) . فالاسلام ، اذ يمقت التقليد ، يمقت « الايمان » الذي يسربله العماء الفكري . ان وظيفة الوحي أن يبلور تجاربنا ، ويذكي الحدسيات والذوقيات ، ويعقلن ما هو من طبيعة البرهنة العقلية : « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحي من

حبى عن بينة » (42 : 8) .

* * *

ليس من ادلةعلمية على وجود الله ، أو نكرانه ، ولا يمكن ذلك . فالعلم ، على مستوانا ، لا يطمع في اكثر من معرفة العالم (الذي هو موضوع العلم) . ان النسبية تسيطر على مجموع قدرات العلم ، فلا تترك له اي مجال ولا اية طاقة لينزع الى المطلق . يتخذ الباحثون الكون بمجموعه (نعني الطبيعة والانسان) موضوعا لدراستهم . لكن الانسان والعالم كلاهما يمثل معضلة في نطاق ذاته ، وفي علاقات كل منهما بالاخر : الانسان ، والعالم لا يحملان تفسيرهما في ذاتهما ، بل يتضحان معا ، ويتجليان الواحد بالاخر .

من هنا ، نستنتج ان من كان لا يستطيع الاقل ، فبالاحرى انه عاجز عن الوصول الى الاكثر . وامام هذا العجز المركب المربك ، ماذا يتبقى للانسان لتهدئة قلقه الميتافيزيقي والفكري اذا لم يكن يعترف بأن الله هو « الذي خلق السماوات والارض ، وجعل الظلمات والنور » ؟ (6 : 1) .

يجتهد العلم ، ما وسعه الاجتهاد ، ليبرهن على صلاحيته الخاصة ، ولكن طبيعته الوظيفية تمنعه من ان يبرهن على ما هو اجنبي عنه . فالعلم ، اذن ، محاصر في ميادين خاصة ، بالرغم عن تعدد جوانبها ، لا تستطيع ارواء ظمئنا الميتافيزيقي ، ولا شحن ذهنيتنا بالسكينة ، ولا ابادة القلق من وجداننا . فانى لهذا العلم ان ينفذ الى استكناه المطلق فيثبت او ينفي وجود الله ؟ .

يدعو الاسلام الى التأمل والحدس واستعمال النظر كي يصل الانسان الى ان يمارس التجربة الباطنية لوجود الله .

« الذي خلقكم والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الارض فراشا ، والسماء بناء ، وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم . فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » (2 : 21 و 22) . ويضيف القرآن : « وفي الارض آيات للموقنين ، وفي انفسكم . افلا تبصرون ؟ » (51 : 21) .

* * *

ان هذا النوع من التامل الذي يدعو له القرآن تامل خاص . فهو ، وان حض على المشاهدة ، يتعمد عدم مخاطبة العقل المنطقي ، لان المعقولية مكتسبة ، بوصفها حصيلة لتمرينات ، كما ان العقلانية ، هي ايضا ، صناعة مكتسبة ، فانى لهما حق التشريع في ميدان اصيل كميدان الصميمية ؟ الحب لا يعترف باي منطق ، ولن يستطيع احد ان ينكر وجوده (باسم المنطق) ، والايمان هو ايضا ، حب يحيا ، وليس معادلة رياضية او قضية منطقية : انه كالحب ، يعاش من الداخل ، في تجربة شخصية فذة ، تجربة مساهمة ، ما دام ليس فكرة مجردة يلزم ادراكها . فيجب ان نحس ونحب ما نريد ادراكه ، قبل العمليتين الاساسيتين لكل تفكير مفهومي : التجريد ، والتعميم .

ان نقطة البداية ، في الحب وفي الايمان ، هي الاستبطان : الشهادة المنبثقة من اعماق الكائن البشري . اننا نبني معارفنا التاريخية على شهادات الغير ، فلم لا يجوز لنا ان نؤسس اللاهوتيات على شهادات حية نعيشها ، مباشرة ، او نشاهدها مجسدة في سلوك وحياة الاخرين ؟ المحب لا يحتاج الى برهنة ليقتنع بانه يحب ، فالمحبوب هو الذي قد يتشكك في حب محبيه ، فيطالب بحجج على صدق الحب . والمؤمنون يحبون الله ، والله لا يحتاج الى برهنة ليقتنع : « او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين ؟ » (29 : 10) . فالشعائر الدينية لا ترمي الى البرهنة على وجود حب وايمان ، ولكنها تغذيهما باللحظات الممتازة التي يشعر فيها المحبون بحضور المحبوب ، بمتعة الاقتراب والحوار .

* * *

من ذا الذي يستطيع ان ينكر (باسم العقلانية) ، وجود « الحنين الى الوطن » ؟ انه شعور مشترك يثور ، هو ايضا ، على التمنطق ، فلا يشك في وجوده الا من لا وطن له . كذلك الحنين الى الله . فالله وطن المؤمنين : « الذين اذا اصابتهم مصيبة ، قالوا : انا لله وانا اليه راجعون » (3 : 153) .

فالذي لم يمارس ، مباشرة ، تجربة الايمان ، لن يؤمن ، ابدا ، ولكنه كذلك ، لن يستطيع البرهنة على ان الايمان عبث او ليس واقعا معاشا .

ومن جانب آخر ، اذا لم يحي المرء وجود الله ، من باطنه ، ومن خلال تفاعله مع آيات صنعه تعالى ، لا بد من ان تجابهه معضلات ميتافيزيقية ، فتلاحقه وتصارعه ، ويضطر للاجابة على مثل هذا السؤال :

« من يحيي العظام وهي رميم ؟ (36 : 78) . ويعقب القرآن السؤال بالجواب الاتي :

« يحييها الذي انشأها اول مرة ، وهو بكل خلق عليم (...) . او ليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهن ؟

بلى ! وهو الخلاق العليم » (36 : 79 الى 81) .

فوجود الله يتطابق والمعنى الذي نعطيه لحياتنا عند ما نعرف كيف تكون انفسنا : انه السلام ، والرحمة، والحكمة : « عالم الغيب والشهادة . هو الرحمان الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن (. . .) هو الله الخالق ، البارىء ، المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السماوات والارض ، وهو العزيز الحكيم » (49 : 22 الى 24) .

قد تبلغ بعض المرئيات حدا من الضآلة او الصغر حتى لا يقدر البصر علىأن يراها. فهل ننكر ، مثلا،وجود الجراثيم لمجرد غيبتها عن الحقل البصري لا ان بعض الآلات ، لقوة حركتها تتراءى لنا كانها جامدة . فمثلا ، يقل ، عند الركاب ، الاحساس بسير الطائرة النفاثة بقدر ما تزداد سرعتها . فسرعة الحركة لا تنفي وجود الحركة ، بل على العكس ، تؤكد تزايدها ، لانها تخرج عن نطاق ادراكنا المباشر . فوجود الجرثوم ، او الحركة ، او السرعة ، موجود بالقوة وبالفعل ، ولكنه منعدم النسبة لمستوى عتبات ادراكاتنا الحسية. ففي محاولة ادراك وجود الله داخل تلك العتبات . تناقض منطقي وتعسف على الحواس لا مبرر له .

* * *

ان ما تؤكده « الشهادة » ليس هو وجود الله ، لانه وجود غير محسوس (وتلك خاصيته الصميمية) : انه وجود لا كالوجودات . فلم يرد المتكلمون اخضاعه لمقل يتمنطق ، ولعلم يغرق في الكيف والكم !

فاما ان ينبثق الايمان بوجود الله ، عن الوجدان ، عن القلب ، تلك المضغة ذات المنطق الخاص والمنهج الخاص ، والا تجمد مفهومنا لكينونة الله ، ولم يعد الله الجوهر الاكبر ، جوهر كل الموجودات . فغلطة المتكلمين الكبرى في كونهم لم يعوا هذا الفرق ، فأتت مناقشاتهم غير ذي خصب ، وبدون حرارة .

تكتفي الشهادة بأن تنفي تعدد الالهة ، لتثبت وحدانية وجود الله . فالشهادة (في صيغتها التقريرية، بوصفها « نطقا باللسان » طبقا لقواعد صوتية ولغوية) تخضع لمنطق المحسوسات : تنفي التعدد حتى لا يحصل تناقض في الاستنتاجات ، والوجود الاسمي يتمتع بالكمال ، ولا كمال مع التعدد . اذن : « لا اله الا الله » . ففي الشهادة تكامل بين نفي واثبات ، بين « نعم » ثقيل الوزن ، و « لا » صارمة .

ومن جهة اخرى : ان ما تؤكده « الشهادة » لا ينال كامل الاعتبار الا لان المرء يتمتع بامكانية النفي . فالاعتراف والنكران جانبان لنفس الفعالية التي يتعرف بها الانسان على ذاته وهو يعي الاشياء . وادراك شيء ما يكون ، اما مباشرة ، او بواسطة ، واضحا ، او غامضا، تاما او ناقصا . لكن ، مهما يكن الامر ، ليس باستطاعة المعرفة أن تدعي انها تصل الى استيعاب الشيء المعروف استيعابا شاملا تاما ، اذ كثيرا ما يتبقى مجال ممكن للتأويلات الخاطئة ، وللمعرفة الناقصة : هكذا تتعرض حقيقة كل اثبات الى درجة ما من الشك ان قليلا او كثيرا ، لكنها واقعية ، ولو على صعيد الحقائق العلمية : « انا عرضنا الامانة على السماوات ، والارض ، والجبال، فأبين أن يحملنها، واشفقن منها ، وحملها الانسان . . . » (33 : 72) .

ليعبر الانسان عن الحرية ، ابى الا ان يتحمل « الامانة » : تقبلها بعزم قوي ، فالتزم واصبح مسؤولا ، اصبح مسلما . (1) فلو ان الانسان امتنع عن قبول « الامانة » ، عن طواعية وحرية ، لكان الرفض ، هو ايضا ، نوعا من الاختيار والحرية بالرغم عن كونه ، من الناحية الدينية ، « جحودا » و « كفرا ») .

* * *

من الممكن لمعترض ان يسال : اليس الالحاد مظهرا للقضاء والقدر ، تلك القوة القاهرة التي لا مفر من ربقتها الغاشمة ، والتي تسد كل منفذ امام الحرية ؟

نعم ، هناك مفهوم « قضاء وقدر » في الاسلام ، الا انه لا يتعارض مع الحرية الانسانية ، اكثر مما تتعارض هذه مع مختلف القوانين الدستورية التي تسير المنشآت ، ومع المراسيم الجديدة التي تصدر في كل

---

1) من بين معاني لفظة « اسلام » ، الخضوع : الاستسلام لله ، واحترام الوعود مع الله ومع الاخرين، والخضوع للمبادىء الاخلاقية وللقوانين الطبيعية .
يدل الجذر (س . ل . م .) على الخضوع وعلى السلامة (صحة الفكر والجسم) ، وعلى السلام والمسالمة . كل تلك المعاني ، في واقعها ، ترمي الى الانسجام والتناسق مع الذات ، ومع الله ، ومع الاخرين ، ومع الكون .

عدد من اعداد « الجريدة الرسمية » لتنظم ، وتقنن ، وتعقلن الحياة المعشرية .

نفس الشيء بالنسبة لبيئة تعترف بأن الله هو خالق الكون والمهيمن على مصيره ومصير جميع الناس. فالله ، اما طاغية تعميه قدرته القصوى ، فيتصرف دون اعتبار اي قانون سلوكي ، مرة « يشرق » واخرى « يغرب » ، كما يشاء له استبداده المطلق ، واما انه رب مدبر ، يلعب دوره دون اقنعة ، حسب نواميس تسمح لكل مخلوق بأن يمارس الحرية والمسؤولية ، بكامل الممارسة .

فالله ، في الاسلام ، « يقدر » و « يقضي » ، طبقا لتدبير محكم مسبق ، والى حتمية حكمة طبيعية فرضها في تسيير الكون : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا » (35 : 43) . انها سنة ذات شمول واستمرار ، مما يجعلها قانونا يطمئن له العلم والعقلانية : « سنة الله التي خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (48 : 23) . فالفرق واضح بين اله يضع تصميمات محكمة ، ويدبر الكون على ضوئها ، وبين الـ (فاطوم) عند الرومان : ذلك القدر الاعمى الغاشم ، اي المحضية الجبرية المتطرفة الهوجاء.

❊ ❊ ❊

الدين معطى وجداني لا يعارض المنطق ، وان كان لا يتجلى عن قياس ، أو استنتاج ، او استقراء . انه معطى يتوقف في مستوى القيم العاطفية التي ينطلق منها الشعور بالذات حيث يتعرف كل فرد على ءانيته وأناه ، ويؤكد وجودهما . فلم نركز اثبات الذوات ، بهذه الطريقة التي لا تخضع لمقولات المنطق (او المناطق) . (1) دون أن نرى في ذلك حرجا ، ونرفضها اذا أريد الاعتماد عليها في احقاق التجربة الوجدانية لوجود الله ؟

فالاخرويات ، والماورائيات ، والعلويات ، حقائق لا تمنطق بالطرق العادية . انها من صنف الحقائق التي تحيا ولا تعرض مموضعة ، مثلها كمثل بعض الحالات الوجدانية العميقة،بل مثلها كمثل الحياة،سواء بسواء : ان الحياة تشبه البحر المحيط ، في المد والجزر ، وفي صراع امواجه اللا ـ منقطع ، ولكنه يستحيل علينا ان نحدد اية موجة لنجعل منها «الموجة النموذج» ، مهما تشابهت مع اخواتها ، فكثرة الامواج ، وسرعة تجددها تحلوان كل موجة كـ « وحدة ـ في ـ ذاتها » . ان البحر ، وهو يزار موجا ، يبهرنا بقوته وشبابه المدهشين .

الواقع ان الحياة لا تسري ، عمليا ، الا في قلة القلة من البشر : من ورائنا اكثرية « كانت » ولم تعد تؤثر الا بثقل موتها ؛ ومن امامنا اولئك الذين **«لما يوجدوا بعد»و«س ـ يوجدون»و«سوف ـ يوجدون»** ثم يوجدون ... اما « الحاضر » فليس فيه الا السائرون توا الى مصير ذي بابين ، أولهما مفتوح على موت حتمي يحمله كل حي في صميمية الحياة ، وباب مغلق يمكن المنطق والعلم ان يسمياه بـ « اللا ـ ندري » او بسر الاسرار ، او بمملكة الغموض . ويأتي الدين ، دون ان يناقض العلم والمنطق ، فيعطي فروضا يسكن اليها وجدان بعضنا . وكثيرا ما تكون في تلك السكينة سعادة القوم الذين ءامنوا فيزيحون حمل الغموض الثقيل .

العلم يلاحظ ، ويحكي ، ويصف ؛ والاخلاق تامر ، وتنهى ؛ اما الدين فيجمع بين وظيفتيهما ، ويفتح مجالا واسعا لابحاث يمكن للعالم وللاخلاقي وغيرهما ان يستغلوها لمصلحتهم ولمصلحة الجميع . هذا مطمح الدين ، انه سبيل الى الله ، على طريق الحرية : « لا اكراه في الدين » (2 : 256) . فلو ان الاسلام بني على الاكراه لتناقض وطبيعة الدين : كل مغامرة روحية وعاطفية لا تتم الا بالعطاء والتجاوب بين التجربة الداخلية والاعمال ، اي بالنية الحسنة : « وانما الاعمال بالنيات » (حديث) .

عند الكثرة الكثيرة من الافراد يتقبل الواحد ذاته بطريقة عفوية ، فيتحدث عن «انا ـ ه» ، وعن الـ «نحن» كمسلمات لا يتسرب اليها شك ، كمعطيات اولية من باب « السماء فوقنا » ، دون تساؤل عن كيف يتجلى الانسان فينا ، ولا كيف نعني ذاتنا . انهم يقنعون بتجربتهم العفوية .

❊ ❊ ❊

اعتراض آخر :

جاء في حديث رواه البخاري وقد اشرنا اليه سابقا ان الله « خلق آدم على صورته » . فبما ان الاله لا متناه، في حين ان الكائن البشري متناه ، كيف يجوز أن يكون الثاني على صورة الاول ؟

---

1) لقد اضطررنا لاستعمال كلمة (مناطق) ، كجمع لمنطق ، اذ يعرف المفكر المعاصر عدة انواع من المنطق .

هناك تأني بين وجودات في الزمان (1) ، لا في الابدية والخلود ، وهناك احداث تتتابع الى ما لا نهاية له ، ولكن على ايقاعات مختلفة . فاذا كان من صفات الله الخلود ، فالكائن البشري يتحرك في منظار لامنته ، منظار الـ « ما ـ بعد » ، اي « الاخرة » حيث تتمتع الارواح ، هي ايضا ، بالخلود . فالموت ليس الا حدا ظاهرا ، ويتحلى الله بالقدم . لكن الانسان ، وان كان حادثا في تاريخ التكوين ، قد اكتسب قبسا من الابدية لانه خلقه فيض مباشر من روح الله القديم :

« واذ قال ربك للملائكة

اني خالق بشرا من طين .

فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ،

فقعوا له ساجدين .

فسجد الملائكة كلهم اجمعون » (38 : 76) (2) .

فالآية تدل على ان الله يتحدث عن الانسان ولما يخلقه بعد (فاذا سويته) . انه موجود « بالقوة » ، في علم الله وتصميماته ، على صعيد « القدم » ، واما وجوده « بالفعل » ، الوجود المحدث ، فسيتم بعد ان ينفخ الله فيه من روحه .

اذن طبيعتنا مزدوجة : ابدية وخلود ، بالجوهر ؛ وحدوث متناه ، بالوجود الادمي .

وهذه الازدواجية لهي مصدر عطشنا الروحي وتوقنا الى التعالي ، الى تجاوز دنيوية الوجود واستبار ينابيع الوجدان الديني ، وغير الديني . ان الناس يشعرون باندفاع قوي نحو تجاوز الذات ، نحو ملا فراغ الوجدان واذابة اليأس ، والقنوط ، والقلق ، والكآبة ، في رؤية باسمة تجعلهم يأملون ، ويستأنسون بالذي لا حزب له ، ولا عصبية ، ولا جنس : ذلك الذي كان ، وسيبقى ، لا يؤثر في جوهره مؤثر ، والذي جعل بين الناس التساوي الكامل ، وكأنهم « أسنان المشط » ، كما جاء في حديث نبوي (3) .

لقد اعز الله الجنس البشري لانه ابدعه بنفخ من روحه . و « النفخ من الروح » الالهية ينفي حلول الله في أية ذات بشرية ، ويصون تنزيهه ، وفي نفس الوقت ، يصعد بالانسان الى الاتصال الروحاني بالله . فلا تجسيد للالوهية في الانسان ، في أي انسان ، ولا هجران وانفصام عن الخالق : انه لنفخ تكرم به الله على البشر عامة ، ليظهر افضليتهم على باقي الكائنات .

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) انظر تأني في القاموس الفلسفي لكلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط .
2) انظر ، كذلك : 32 : 9 .
3) المرشد في الدين الاسلامي ، ج : 4 ، ص : 22 .



للأستاذ عبد الكريم التواتي

يوجد حاليا تحت الطبع كتاب « الاشتراكية الاسلامية ، والمذاهب الاقتصادية الحديثة » للاستاذ السيد عبد الكريم التواتي .

وقد اخترنا لقرائنا الكرام فصلا من هذا الكتاب الذي نرجو ان يكون لبنة جديدة في هرم تراثنا الثقافي الحديث .

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قرآن كريم

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) قرآن كريم

* * *

راينا من دراستنا ان المذاهب الاقتصادية التي عرفها الانسان او يحاول ان يعرفها ، انما كانت في غايتها وهدفها تسعى لشيء واحد وهو سعادة البشر ، ورأينا انها كانت في عمومها تنبثق من ارادة واحدة هي ضرورة البشر للحياة وحيرته ازاء متناقضاتها . او بتعبير ادق ازاء المشاكل الاقتصادية التي ظل الانسان يتخبط فيها آمادا وقرونا دون ان يهتدي حتى الان لمعرفة المخرج من هذا المأزق الحرج الذي يأخذ بخناقه ، وفي وطأة شديدة توشك ان تفقده ايمانه بالحياة .

وجاءته هذه الحيرة واصابته تلك الشدة حين تنكب اولئك المشتغلون بالاقتصاد ودراسة مشاكله عن جادة الصواب ، رغم ما يتبجحون به من واقعية وربط للاحداث ببعضها ، اذ لم يخرجوا بعد من دراساتهم الاكلينيكية وانما ظلوا في قوقعتها يطوفون .

ونحن نعتقد بان الثغرة التي منها اوتوا انما هي عدم تفكيرهم — وحتى الساعة — في ربط الاحداث بخالق الاحداث وربها على عكس ما فعله الاسلام — كما سنرى — حين عالج القضايا الانسانية في كل مجالاتها ومعطياتها . . .

ونحاول في هذا الفصل قبل المضي في دراسة جوانب الاشتراكية الاسلامية ان نقوم بمقارنة موجزة لاتجاهات ومجالات الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة ، وخاصة الاشتراكية التي تعتبر اليوم في نظر اكبر الشعوب العالمية المعاصرة ارقى ما وصله التفكير البشري في ميدان علم النفس والاقتصاد السياسي . . .

تتفق معنا الاشتراكية الماركسية على ان المظالم الاجتماعية تتميز بوجود طبقات اجتماعية متناحرة ، وتكاد هذه الاشتراكية تحصر مهمتها في ايجاد حلول لخصوص هذه المظالم ، ولكنها تحصر الحلول في خصوص المشاكل الاقتصادية لان — في زعمها — « حل مشكلة هذه المظالم الاجتماعية سيظل كامنا في الظروف الاقتصادية التي تكون هي نفسها في مرحلة الاعداد او الامكان . ولكن ليس حقيقيا ان حلا من هذا النوع

سيتم في غير اطار الاسلام ، لان الملاحظ ان الفوارق الاجتماعية الناشئة عن الاوضاع الاقتصادية في بلد ما ، ستظل رغم كل هذه المذاهب الاقتصادية التي من صنع البشر قائمة وان اختلفت حدتها وضراوتها تبعا لما حققته هذه البلاد من رفاهية ورفع في مستوى الحياة للطبقات الكادحة التي ظلت على الدوام كبش الضحية في كل الحركات والانتفاضات التي استهدفت او تستهدف حياة ارغد وعيشا أسعد .

وإذا كنا نقول ان الاسلام هو وحده الكفيل بتحقيق ما ظل يتوخاه الناس من تعادلية في المداخيل والمصروفات لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع البشري ، فلان تعاقب هذه المذاهب الاقتصادية ، وتحاورها ، اثبت انها غير جديرة بتحقيق ما علق عليها اصحابها والدعاة لها من آمال . اما الاسلام فقد فكر – وهو من صنع الله خالق البشر وموجده والفاهم لاسرار عقليته ونفسيته – في كل الضروريات التي يحتاج اليها في حدود من حرية البحث ، والتنقيب ، ضمن قوقعة واسعة ، وبوتقة فسيحة من حرية الراي وحرية العقيدة ، وصيانة الضمير وصيانة كل الفرص. ذلك ان الاسلام قبل ان يضع للانسان منهاجا او مذهبا اكد في يقين بأن على الانسان نفسه ان يؤمن اولا بانسانيته ، وثانيا بقيمة الحياة ، وان يحرص على ما يحقق تلك الانسانية ، ويحفظ هذه الحياة ، ثم بعد هذا سلحه بسلاح من يقظة ضمير ، ووعي للاحداث ، وسير مع الحقيقة التاريخية والزمنية .

ولاثبات انسانية الانسان سلك الاسلام طريقا عكسيا في الظاهر ، وان كان هو في الواقع الطريق الطبعي لاثبات حقيقة هذه الانسانية . وهذا المسلك هو نفيه البات القاطع للنظام الطبقي والتمايز الاجتماعي القائم على غير الفضائل التي تستهدف الصالح العام ، وغير الاخلاق التي تتوخى العمل من اجل المجموع .

وبالقضاء على اللا مساواة في الحقوق والواجبات ابعد عن الانسان الفقير والضعيف والمخذول الوهم الخاطيء الذي شاءت غطرسة الاقطاع غرسه في ذهنه ودماغه الوهم القائل بأنه دونها فهما للاوضاع ، واقل منها تقديرا للامور ، وانه لن يجاريها الا في حدوده الضيقة .. وفي نفس الوقت حطم الاسلام بقضائه على اللا مساواة صنم الالوهية البشرية الزائفة التي اقامها اولئك المتكرون لانسانيتهم حين توهموا انهم اعظم خطرا عند الله من اولئك الذين اعتبروهم – مغالطة منهم لانفسهم – انهم دونهم وجعل الاسلام ذلك عن طريق مجابهتهم بحقيقة بسيطة وهي انهم من اصل واحد ، ومنبت واحد ، وبتذكيرهم دائما بأن اية محاولة للخروج عن هذا القانون العام سيقابل بأنه خروج عن القانون الطبيعي للانسان ، وصروف عن جادة الصواب ومناقضة للحقيقة التي منها انحدروا ، وللغاية التي اليها صائرون .

ومن ثمة تجنب الاسلام كل المضاعفات والمضايقات والمتناقضات التي تصيب المجتمع من جراء وجود مجتمع تتمايز فيه الاتجاهات والاوضاع على اساس الفوارق المالية والمادية ، وبذلك قضى على كل الكوارث الاجتماعية التي غالبا ما تتولد عن شعور خلايا فيه بعدم احتلالها المركز اللائق بها ، في الوقت الذي تحاول فيه خلايا اخرى اشعار تلك بعجزها عن تغيير ما تجده من اللا مبالاة ومن اللا تقدير .

وحين ارسى الاسلام قواعد هذا المبدا الاساسي لقيام علاقات بشرية بناءة وبين مختلف خلاياه ، اعتمد الاسلام لتحبيب الحياة الى مختلف هذه الخلايا ، ما تزخر به هي نفسها من تدافع وتناقض بين البانية منها والمحطمة ، وبين الموجبة منها والسالبة .

وكانت يقظة الضمير التي فرضها الاسلام على معتنقيه ، حين ربط عجلتهم اليومية بواجب الحياة ، وذلك بفرضه اتصالهم به في كل اعمالهم ، ما حقر منها وما جل ، وحين حفلت طقوسه – اي الاسلام – ، وخاصة الصلاة باقتلاع عقول الناس واقدامهم من الارض للصعود بها في سبحات رائعة ، الى اجواء بعيدة عن الفحشاء والمنكر ، وفي هذه الاجواء يقيم الانسان لنفسه عدالة ضميرية ، ومن هذه الزاوية يتمكن الاسلام من ايجاد مسؤولية جماعية ، واشتراكية عامة ، في قضايا الذهن والروح البشريين قبل ايجادهما في تطور المجتمع .

وليس معنى هذا ان الاشتراكية الاسلامية التي سنحاول التحدث عنها فيما بعد لا تعير القضايا التقنية والآلية ، والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية كل الاهتمام اللازم ، لا ، وانما نريد ان نقول ان الاسلام ربط تلك التقنية والآلية ، وهذه المشاكل بضمير الانسان نفسه.

ومن غير شك ان دعاة الاشتراكية الحديثة انفسهم لولا يقظة الضمير التي اجتاحت نفوسهم بما تشربته من شعور بعدم الرضى بالاوضاع الاجتماعية التي كانت تحيط بهم ، ولولا ما بلغته ارواحهم من الحساسية وشعور بمسؤولية القيام بعمل حاسم للتخفيف من شعار المظالم الاجتماعية ، ما دام لا يمكن القضاء عليها نهائيا ، اقول لولا ذلك لما امكنهم ان ينادوا بفكرة الاشتراكية هذه . فيقظة الضمير في دعاتها ، وشعورهم

بمسؤولياتهم تجاه الاوضاع ، وايمانهم المنبعث من تلك اليقظة والذي دفعهم الى الايمان بان عليهم رسالة نحو الاخرين ، تشكلت في الدعوة الى هذا المذهب أو ذاك ، اقول ان هذا هو نفسه الشيء الذي استهدفه الاسلام منذ البداية ، لانه اذا شعرت كل الخلايا بمكانها ، وما فيها من طاقة ، وعرفت دورها في الحركة العامة العليا ، وآمنت بان حياتها نفسها تتوقف على مدى مسايرتها لهذه الحركة ، وقيامها بواجبها في الحدود العامة لها ، وآمنت في الوقت نفسه بوحدة الغاية والمصير والهدف، فان كل الازمات الاقتصادية ، وما ينشا عنها من مشاكل اجتماعية تنحل تلقائيا وتمحي لنفسها وبنفسها .

وقلنا ان عمل الاسلام — بالنظر الى المذاهب الاقتصادية — كان عكسيا من حيث ان المذاهب الاقتصادية كما رأينا كانت مجرد — او هذا ما أراده لها أصحابها — حتمية تاريخية تحققت تبعا للتطورات العقلية للبشر ، بحيث ان طور الاقتنان والرق ، يمكن ان يعتبر البداية لطور الاقطاع ، كما ان هذا بداية لطور الراسمالية وهكذا دواليك حتى وصل الانسان الى الاشتراكية بعد اجتيازه طورى البورجوازية والفردية الفوضوية .

وهذا التسلسل التاريخي لهذه المذاهب ، يبين بوضوح انها من صنع البشر بينما الاسلام توصل او قرر منذ البدو هذه الاشتراكية او احسن ما فيها ، بالاضافة الى احسن ما في الراسمالية والفوضوية ايضا من فكرة الانسان التي يعتبرها انسان العالم المتحضر في أوربا وأمريكا المرهم السحري لكل الادواء التي تعانيها مجتمعاته التي لما تعرف طريقها للخلاص بعد .

فالاسلام اذن اراد ان يريح الانسان من كل هذا العناء ، وهذه الآلام ، وان يريح الانسان كل هذه المعارك التي استنزفت كثيرا من قواه ، وكلفته كثيرا من الدماء والضحايا .

واذا كانت الحتمية التاريخية التي يومن بها الماديون واصحاب هذه المذاهب الحديثة ستستمر في حركتها الدينامية وبدون هوادة ، ويدل على هذا ما تثبته التجارب العملية لهذه المذاهب من تناقض على نفسها ، وما تحمله في طياتها من بذور فسادها وعدم صلاحيتها المطلقة لما يتطلع اليه الانسان فان هذه الحتمية هي التي ستضطر الانسان الى التوقف قليلا — ولا اقول الرجوع القهقري — لاستكناه الحقائق الاسلامية في ميادين الحياة كلها . ويومئذ سيوقن ويؤمن بان عليه فقط — لتحقيق ما يصبو اليه — ان يفهم الاسلام في ابعاده العميقة ، وفي دائرة ما يدعو اليه من : ايمان بالانسان ، وحرص على الحياة ، ومن يقظة للضمير ، ثم ما يدعو اليه كل ذلك ويستلزمه من المضي في سبيل التقدم نحو الكمال المطلق حيث لا حدود ولا سدود ولا عراقل ولا قيود .

ونقول للذين سيعرضون بان الحياة في تطور مستمر وتحول دائم ، وان هذا التحول والتطور يمسان كل الاشياء ، بما في ذلك الانظمة الاجتماعية والاقتصادية الشيء الذي قد يظهر الاسلام بدوره وكانه حتمية تاريخية وفقط لفترة ما من الحياة ، وبذلك يفقد المعطيات الخلاقة التي يتطلبها التحول الدائم والتطور المستمر ، نقول لهؤلاء : ادرسوا الاسلام اولا ، وحاولوا استكناه حقائقه ، وحاولوا اخضاعه كمجموعة واحدة لمشاكل الانسان والحياة ، وبذلك فقط ، وحينئذ ، سوف تتيقنوا بان الاسلام — وهو من صنع الله كما قلنا سابقا — انما كان لاجل تاكيد هذا التطور وذلك الاستمرار ،مع اعتبارية واحدة ، وهي ان يؤخذ الاسلام عند دراسته في مفاهيمه العليا التي يظل القرآن اولا ، والسنة النبوية الصحيحة ثانيا — عند عرضه على محك النقد والتمحيص — الاطار العام والهيكل الخاص ، للاستنتاجات والدراسات ، وان يكونا — اي القرآن والحديث — هما وحدهما مناط الاهتمام ومصدر القوانين والكليات .

وانطلاقا من هذه الزاوية فلن تكون الاشتراكية الاسلامية اشتراكية انتزاعية فكرية ايتوبية محضة « تدعو الناس عامة الى ترك النظام السائد المفعم بالمظالم والاخذ بنظام جديد صالح (1) » . ولا اشتراكية علمية قائمة « على أن تحول المجتمع من طور الى طور انما ينبع من النزاع بين تطور القوى المنتجة وبين الشكل الحقوقي الشرعي الذي تستثمر بموجبه (2) » . ولكنها — اي الاشتراكية الاسلامية — هما معا ، وشيء آخر وهو ما يفرضه الاسلام من وجوب توفر جميع الخلايا على يقظة ضمير حية تراقب الدينامية الاشتراكية ، كل في محيطه الخاص ، ومن زاويته الخاصة وعلى هذا الاساس الذي يصفه محمد عليه السلام في كلمته : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن راعيته » ، وكلمته الاخرى : « انك على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك » .

1) هذه هي الاشتراكية لبورجان ورامبير ترجمة عيتاني صفحة 9 .
2) المرجع السابق صفحة 9 .

فليست الاشتراكية الاسلامية صراعا بين الطبقات ، لانه لا طبقات في مجتمع اسلامي حقيقي ، وهي لا تسعى لـ « تعليمك وسائل الانتاج للشعب ، والسعي لتثبيت ديكتاتورية الطبقة العاملة (1) » ، لان الاسلام القائم على مبدا الشورى في دقائق الامور وعظيمها ، جليها وحقيرها ، والمبني على ان الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، وان لهم كامل الحرية في الراي والتعبير والعمل ، اقول ان الاسلام الذي له ذلك يتنافى واى مظهر من مظاهر الديكتاتورية ، واي نوع من انواعها .

وليست الاشتراكية الاسلامية ايضا « الغاء الملكية الخاصة مصدر كل ظلم وجور وكل حيف في المجتمع » ، لان الاسلام صان الملكية الفردية في حدود عدم عرقلتها المصالح العامة ووجود الجماعة ، فاذا تعارضا كانت المصلحة العامة ووجود الجماعة هما الغالبتين ، فكل هذه المفاهيم للاشتراكية الحديثة هي روح الاسلام باعتبار جوانبها المفيدة .

واذا كانت هذه الاشتراكية الحديثة لما تستقر بعد على مفهوم واضح ، وكانت في كل مفاهيمها ومعطياتها التي نسبت اليها تحمل في طياتها عوامل فنائها فان سدنتها والقيمين عليها ما ينفكون يشذبون ويبرقشون تعاريفها بين آونة واخرى ، ولكنهم كلما حاولوا التطبيق تبينت لهم نقائص اضطروا معها للعودة من جديد الى المفهوم الاول الذي وضعوه علما على اشتراكيتهم يحذفون منه عبارات ويضيفون اخرى محاولين بذلك الوصول الى اشتراكية اجتماعية عالمية، اعني الى الاشتراكية الاسلامية .

واذا كان التعصب الديني الاعمى الذي صاحب الحملات الصليبية واعقبها ، واذا كان الجهل المتعمد للاسلام او غير المتعمد ، واذا كان عدم قيام الدول الاسلامية بواجبها التبشيري قد حال دون وقوف العالم غير الاسلامي على هذه الاشتراكية المنشودة ، والتي يحتضنها الاسلام وحده ، ويدعو اليها ، ويبشر بها ، ولا يسعى الا لها ، فان الوقت قد حان لتقوم الدول الاسلامية بدورها فتقف العالم كله على ما ظل ينشده من سعادة ورخاء تحت ظلال نظام اقتصادي واجتماعي يكفل للجميع العيش الارغد ، والحياة الافضل ، والمستقبل الاضمن . خاصة والاسلام صريح في نشدانه الشمولية الانسانية ، ومعارضته للقوميات الضيقة ، والسيادات القومية . ونحن نعلم ان الاشتراكية العلمية الحديثة – كما راينا فيما مضى – تؤكد بانه لا يمكن لها ان تعيش او ترى النور عمليا وتطبيقيا ضمن مناطق عالمية خاصة لان « زوال السيادة القومية هو الشرط الاساسي والضروري لتحقيق الاشتراكية (2) » .

على أن هناك فروقا جوهرية بين الاشتراكية الاسلامية وبين غيرها من الاشتراكيات الحديثة ، ذلك ان الاشتراكيات الوضعية التي اصبحت الشعار الذي ينادي به عالم اليوم ، وخاصة الطبقات الشغيلة والكادحة فيه ، ليست نظاما او مذهبا او تشريعا وضعت خطوطه وبنوده مسبقا ، وروعي في وضعها كل المعطيات الاجتماعية في مختلف الادوار التاريخية ، وانما كانت مظهرا تاريخيا ، ادت اليه ظروف خاصة ، وكونته اعتبارات اوجدها تصور المجتمع عبر مراحله التاريخية ... بينما الاشتراكية الاسلامية ، وضعت منذ البداية كأساس للحياة في كل مرافقها ، وانحائها ، وابعادها . وهيات لكل شيء في عناية وتصميم ، الحلول التي قد تعتبر حتمية ونهائية ، شريطة فهمها في ابعادها العميقة التي تستهدف اولا وقبل كل شيء الرفاهية والازدهار الاقتصاديين والروحيين معا .

وفرق آخر بين الاشتراكيتين : الاشتراكية التاريخية ، والاشتراكية الالهية وهو انه في الوقت الذي تحتم فيه الاولى ان تكون الطبقات العاملة : العمال والاجراء او البروليتاريون هي وحدها المدعوة لتدعيم الثورة الاشتراكية (3) ، اذا بالثانية تدعو جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الادراكية– ولا اقول الطبقية اذ لا طبقية في الاسلام – الى الاسهام في المحافظة على النظام الاقتصادي بوصفه رسالة لا يمكن للانسان ان يحيا حياة كريمة بدونها .

وفرق ثالث ، وهو انه في الوقت الذي ترى الانظمة الاقتصادية الحديثة في طبقة ملاكي الارض « طبقة طفيلية كاحقر ما تكون الطفيليات » فهي اذن طبقة ، للجذور الرجعية فيها عمق بل اعماق ، وهي بالتالي عدوة طبيعية للاشتراكية الظافرة اذا بالاسلام او اشتراكيته – كما سنرى في الفصل الذي سنعقده للاصلاح الفلاحي في الاسلام – لا تعطي اية طبقة من الطبقات الخمس : ملاكي الارض ، الراسماليين ،

---

1) المرجع السابق صفحة 11 .
2) المرجع السابق صفحة 14 .
3) نفس المرجع صفحة 49 .

الاجراء ، المزارعين الاحرار ، واصحاب الصناعات اليدوية والمهن الحرة ، اي حقوق خاصة ، وانما تنظر الى الجميع من زاوية الافيد للمجموع ، والانفع للبشرية كلها .

وفرق رابع وهو انه بينما الاشتراكية الحديثة تؤكد بانها حتمية تاريخية كما يسميها اصحابها ، وقد ادى اليها التنازع الطبقي بينها وبين الراسمالية على فضل القيمة اي الكسب المتوقع او المقدر من الراسمالي الذي يعمل ابدا وسرمدا للحصول عليه من وراء مشروعاته الراسمالية ، اي في الوقت الذي يعمل فيه الراسمالي على رفع هذا الفضل تسعى الطبقة الكادحة مدفوعة بما يتطلبه رفع مستواها المعاشي الى التنقيص من ذلك الفضل او القضاء عليه نهائيا ، اذا بالاشتراكية الاسلامية التي تضمن مسبقا المستوى المعاشي اللائق والكريم لكل الخلايا التي يتكون منها المجتمع ، بل وتلتزم توفيرها ما يحتاج اليه الكل من الضمان الاجتماعي ، ومن تكافؤ الفرص واسناد الامور الى ذوي الكفاءة ـ كما سيمر بنا فيما بعد ـ لا تؤمن بالحتمية التاريخية الا في حدود الزمنية الطبقية التي تلازم الوجود الانساني على هذه الارض ، وبالتالي لا يمكن ان يتصور فيها اي نزاع طبقي، لان البطالة التي تنشأ غالبا عن الاحتدام الطبقي حول الارباح ، لا وجود لها في اطار الاشتراكية الاسلامية ، اذ العمل لجميع القادرين عليه مضمون ومكفول .

ومن المؤكد انه متى انعدمت البطالة ينعدم اهم اسباب الحروب المدمرة تلك التي تأتي على الاخضر واليابس ، وعلى راس المال الثابت : الادوات والمنشآت والمواد الاولية ، وعلى راس المال المتغير : اجور اليد العاملة . وانعدمت ايضا بانعدام البطالة ،الاحتكارات في الاسواق العالمية ، لان الاشتراكية الاسلامية تعتبر العالم وحدة متماسكة ووطنا واحدا لا اوطانا متعددة . والدولة الاسلامية في اساسها ايضا اشتراكية فلن تعمل على الجام نضال العمال او تحطيم تكتلهم ، لان مهمة هذه الدولة هي الاستجابة لضروريات مجتمعنا بجميع قطاعاته، والعمل على توفير كل اسباب الرخاء والازدهار، فليست الجماعات العالمية في حاجة الى تكوين تكتلات نقابية او احزاب سياسية تهدف الى الثورة على الدولة، لان الدولة هي دولتهم ، ومن اعماقهم انبثقت ، ولاهدافهم تسعى ، وحسب ارائهم تسير .

فهذه الحتمية التاريخية التي تقررها الاشتراكية المادية تلك المنبثقة عن الصراع الطبقي وشعور العمال بانحطاط مستواهم المعاشي ، وعدم تلبية ضرورياتهم الذي يدفعهم الى الثورة ، امور منعدمة بتاتا في الاشتراكية السماوية .

واذا كانت الاشتراكية المادية تضع من بين اهدافها وحدة العالم عن طريق ايجاد التقسيم العالمي للعمل ، وترى ان هذه الوحدة اساس لتقدم الانسانية وانتصارها هي نفسها ، فان الاسلام وضع هذه الوحدة اساسا للحياة نفسها ، وحدة المنحدر ووحدة المصير ووحدة الهدف : (ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم من آدام وآدام من تراب) .

ثم اذا كان الانسان انسان العصر الحديث لم يومن بضرورة تحطيم الاطر القومية الضيقة كشرط اساسي لان يحيا الانسان حياة العزة والكرامة ، لم يؤمن بهذا الا بعد ان لمس بيده ، وبفضل الاكتشافات الآلية ، هذه الضرورة ؛ فان الاسلام وضع هذه الوطنية العالمية من بين اهم اهدافه الاساسية ، ففي القرآن نقرا هذه الآية (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين (1) الخ) . قال في تفسير المنار تعليقا على هذه الاية بعد ان اورد آراء المفسرين سواه « ان الناس امة واحدة لابد لهم ان يعيشوا تحت نظام واحد ، يكفل لهم ما يحتاجون اليه مدة بقائهم في هذه الحياة الدنيا ، ويضمن لهم ما به يسعدون في الحياة الاخرى ولا يمكنهم في هذه الوحدة ومع تلك الوصلة اللازمة بمقتضى الضرورة ان يتفقوا على تحديد ذلك النظام مع اختلاف الفطر ، وتفاوت العقول ، وحرمانهم من الالهام الهادي لكل منهم الى ما يجب عليه لصاحبه ، لما كانوا كذلك كان من لطف الله ورحمته بهم ان يرسل اليهم مبشرين ومنذرين (2) ... » .

وقبل ان اختم هذا الفصل احب ان لا يفوتني اثبات هذا التناقض السافر في المذهب الماركسي ، وهو تناقض ناتج عن جدلهم الخاص ومنطق دياليكتيكيتهم الهيجلية؛ ذلك ان الماركسية في الوقت الذي تؤكد فيه بانها انطلقت من المادية التاريخية التي يكونها صراع الطبقات ، ومن « الضرورة الاقتصادية التي تدفع هذا التاريخ دائما الى الامام » . اذا بها تنتهي ـ في راي الماركسيين ـ الى هذا القول « ان مذهب مؤلف راس

---

1) سورة البقرة الآية 213 .

2) تفسير المنار الجزء الثاني صفحة 282 مطبعة دار المنار .

المال نهائي تماما » . وهكذا تكون الماركسية في الوقت الذي تزعم فيه أنها تسير مع الحقيقة التاريخية التي يوجدها الانسان اذا هي تغلق افق التفكير وتناقض التفتح الذهني والامكانية العقلية اللذين تفرضهما كل نظرية جدلية في العلم ، ذلك ان الماركسيين يقولون ان المادية الجدلية « تقدم لنا تفسيرا عن كل شيء ، وانها المفتاح الذي يفتح جميع الابواب مع أنها تعلم أن المفتاح الذي يفتح جميع الابواب مفتاح مزيف بالضرورة كما قيل منذ قديم (1) » .

ويذهب (لينين) الى القول الاتي : « اننا لا نستطيع ان نحذف اية مقدمة أساسية ، ولا اي جزء جوهري ، من هذه الفلسفة الماركسية ، التي صبت قطعة واحد من الفولاذ دون أن نبتعد عن الحقيقة الموضوعية ودون أن نقع في الخداع البورجوازي الرجعي (2) » .

ويصدر مثل هذا القول من لينين ثم لا يرى أتباعه ان يصرحوا بان النظرية الماركسية تتجاوز نفسها وان تكن « المرحلة المجتازة لا توجد منعزلة في ذاتها ولكنها تستمر من خلال نفسها في ذاتها . . . » اى « انه لا تجاوز دون نفي » .

وكي يتوجوا هذا التناقض الذي بلغ مداه يحاول بعضهم ان ينكر حتى الاساس الذي قامت عليه فكرة المذهب ، وهي المادية الصرفة ينتحل لماديتها روحانية فقد جاء على لسان أحد قادتها (برد بايبف) وهو يحاضر في الاممية بجنيف سنة 1947 هاتان العبارتان : « اذا كانت المادية ممكنة فلانها تنقل الصفات الروحية الى المادية ذاتها » و « اني ارى في الماركسية ايضا ، رغم تصريحات الماديين عنصرا مثاليا قويا جدا » . وليزيد عبارتيه توكيدا وايضاحا كتب : « ان المادية ليست علما بل عقيدة (3) » .

وبعد ، أفلا ينبغي ــ وقد تجلى بكل وضوح تهافت هذه المذاهب الاقتصادية الارضية كلها ، وكشف بعضها عما في البعض الاخر من تناقضات ومفارقات ، واخذ بعض أصحابها ينادون بوجوب البحث « عن تركيب يستمد روحه من الراسمالية ومن الاشتراكية (4) » ، ان تعود الانسانية وهي تبحث لها عن طريق يرشدها الى الحق والخير والجمال والحب والازدهار ــ الى نظام سماوي ومذهب الاهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! هذا ما نرجوه ونتمناه لخير الانسانية وصلاحها مخلصين .

هذا ونحب ان نشير الى انه قبل الشيوعية والاشتراكية الحديثتين كانت هناك شيوعية قديمة « كان أعضاؤها يعملون في مزرعة جماعية ، غربي البحر الميت ويضعون محاصيلها وكل مكاسبهم في بيت مال مشترك ، ومحظور على اي منهم أن يمتلك لنفسه بيتا او فراشا ، وكانوا يومنون بالسلام ويطردون من صفوفهم كل من يصنع او يساهم في صنع شيء من ادوات الحرب (5) » .

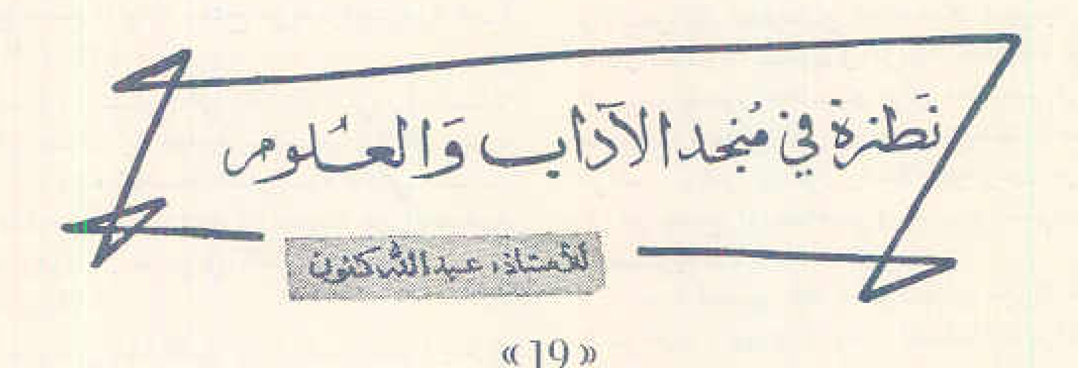
و « الصين تلك كانت تمارس تجربة هائلة بداها الامبراطور (وودى) وأعاد تطبيقها الامبراطور (وانج ما نج) . وتنتظم هذه التجربة الغاء الرق ، وتاميم الارض الزراعية تأميما كاملا شاملا ، وتاميم الملح ، والحديد والمناجم ، وتثبيت الاسعار (6) » .

كما كانت هناك اشتراكية النبي يحيى عليه السلام ان صح التعبير ، فقد نقل عنه بعض من سمعه كما حدث هذا البعض بذلك السيد المسيح عليه السلام بانه كان يقول : « من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا (7) » . فالاشتراكية حلم من احلام البشر ، قديمة قدم وجوده على هذه الارض ، وليست فكرة جديدة انبثقت من التقدم الحضاري لانسان هذا العصر ، وانما كانت امتدادا لمحاولات آبائنا الاولين ، وكانت الديانات السماوية ــ وهذا ما قد نراه فيما سياتي ــ تعمل لغاية واحدة هي اشتراكية الاهية يحفظ فيها للروح بجانب المادة ما يحفظهما معا ويضمن لهما السلام والايمان والاطمئنان . وهذا ما لا يتأتى الا عندما يطمئن الانسان الى هذا الدين الاسلامي الذي قال عنه القرآن : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

فاس : عبد الكريم التواتي

---

1) هذه هي الدياليكتيكية لبول فولكييه ، ترجمة تيسير شيخ الارض صفحة 83 ــ 84 .
2) نفس المرجع قبله صفحة 106 .
3) المرجع السابق صفحة 113 .
4) هذه هي الراسمالية لفرنسوا بيرو صفحة 148 .
5) معا على الطريق ، محمد ، والمسيح : لخالد محمد خالد صفحة 44 .
6) المرجع قبله صفحة 41 .
7) المرجع قبله صفحة 56 .



«19»

حرف اللام :

511) في ص 457 ، ع ل كلمة عن لالا مغنية بلدة بالجزائر ، جعلها لالا مرينة بالراء بدل الغين ، وذلك من خطأ الترجمة عن النطق الفرنسي .

512) في ص 458 ، ع ل ترجمة لاحد اباطرة بيزنطيا لاون الثالث الايصوري كما عرفه هو وجعل تاريخ ولايته (417 – 440) ثم قال : انقذ القسطنطينية من وثبات مسلمة بن عبد الملك . ولا يخفى ان التاريخ الذي ذكره له سابق على ظهور الاسلام ، فكيف ينقذ القسطنطينية ممن ذكر في عهد الامويين ؟ .

513) في ص 460 ، ع ني ، قال تحت عنوان لسان الدين : اطلب الخطيب . ثم اتى بعده يليه بعنوان لسان الدين ابن الخطيب ، وترجمه ترجمة موجزة جدا، فتحصل من ذلك انه ذكر ترجمة ابن الخطيب في حرف الخاء واحال عليها هنا لما ذكر لقب لسان الدين ، وهذا منهاج سليم ، ولكن الترجمة للسان الدين ابن الخطيب عقب ذلك ولو باختصار تدل على اختلال المنهاج ان لم تدل على عدم تحقيق شخصية المترجم .

514) في العمود نفسه ذكر لعب الكرة وغيره ، وضبط لفظ لعب بضم اللام وهو بفتحها او كسرها لا غير ، كما في المنجد نفسه .

515) في ص 461 ، ع ل تعريف بكتاب لقطة العجلان ضبطه بفتح اللام وسكون القاف وضم العين من المجلان ، وهذا خطأ ، فان العجلان بالفتح لا غير ، واما لقطة فهو بضم اللام مع فتح القاف او سكونها : ما يلتقط من اللقن ، وهو المراد هنا ، وبضبط المنجد : المرة من لفظ وهو غير مراد .

516) في نفس الصفحة ع ني كلمة عن لمطة القبيلة المغربية المعروفة ، ضبطها بضم اللام وهي بالفتح كما في معجم البلدان ، ويفهم من كلام المنجد انها منسوبة الى الدرق اللمطية التي اشتهرت بها ، على خلاف ما يعطيه كلام ياقوت من ان هذه الدرق هي المنسوبة الى القبيلة ، وهو المعروف . فينبغي ان يصحح ما في المنجد على معجم البلدان .

517) في ص 462 ، ع ني تعريف بابن لهيعة العالم المسند المشهور جعله ابن لهبعة بباء موحدة بعد الهاء وسكون الهاء وفتح الباء وهو خطأ فظيع صوابه فتح اللام وكسر الهاء بعدها ياء مثناة .

518) في ص 467 ، ع ل كلمة تعريف بمملكة ليبيا ، جاء فيها ما يلي : واهم مدنها زوارا ... برقا ، والصواب زوارة وبرقة بالتاء ، فيهما ، ولعلنا نبهنا على برقة فيما سبق واما زوارة فتقدمت له في حرف الزاي على الصواب .

519) في ص 468 ، ع ني ترجمة لابن ليون التجيبي من علماء الاندلس ، معروف ، جعله ابن لئون بهمزة بدل الياء .

حـرف الميــم :

520) في ص 469 ، ع ل بعنوان ما يلحن فيه العامة ، قال : عدة كتب اشهر من الفها المازني والثعلب الخ ، والصواب ثعلب بدون ال .

521) في المكان نفسه ترجمة موجزة للامام ابي منصور الماتريدي عنونها بما تريدي مجردا من اداة التعريف على عادته ، وقال فيها كان معاصرا للاشعري والطهاوي ، ولا شك ان المراد الطحاوي بالحاء ، ولكنه تصحف عليه بالهاء من اعتماده على الترجمة .

522) في نفس الصفحة ، ع ني تعريف بابن ماجة الامام المحدث المعروف قال فيه: احد الصحاح الستة ، وضبط الحاء بالتشديد ، وهو لا يصح سواء اريد به الشخص وكتابه السنن الذي هو حقا احد الكتب الستة، المعتمدة في الحديث النبوي ، فلو قال احد اصحاب الصحاح الستة بكسر الصاد وفتح الحاء مخففة لاصاب الهدفين من التعريف بالشخص وبكتابه ، فيكون لفظ الصحاح حينئذ جمع صحيح مرادا به سنن ابن ماجة ، واما الصحاح بتشديد الحاء فلا وجه له .

523) في ص 471 ، ع ل تحت عنوان مارنيا اعاد التعريف ببلدة مغنية الجزائرية التي سبق له ذكرها في حرف اللام باسم لامرنية ، ولاحظنا عليه انها بالغين لا بالراء ، وقد جعل سكانها هناك 4000 نسمة ، وهنا ارتفع بهم الى 43000 ، والعدد الاول اقرب الى الصواب

524) وفيها ع ني تعريف بماريت باشا الاثري الفرنسي ، قال فيه : اكتشف مدافن السقارة ، والصواب استكشف فان اكتشف لا تتعدى لانها بمعنى تكشف ، وسقارة بدون ال لانها معرفة بالعلمية .

525) في ص 475 ، ع ل تعريف باليزيدي امام اهل العربية والادب ، عنونه كما يلي : مبارك (يحيى بن مبارك بن المعرة المقري العدوى اليزيدي) وضبط المعرة بفتح الميم والعين وتشديد الراء مبالغة في تسجيل الخطأ ، والمقري بفتح الميم ، والعدوى بسكون الدال .. وهذه الاوصاف كلها على ما فيها من طول بقطع النظر عن اخطائها لا تعرف الامام اليزيدي الذي هو احد القراء السبعة ، وعليه فوصفه بالمقري يجب ضبطه بضم الميم ، واما المعرة الذي جعله اسما لجد اليزيدي فهو من معرات المنجد ، وصوابه المغيرة بميم مضمومة فغين معجمة فياء ساكنة ، وهو اسم عربي متداول ، اما المعرة فلا نعلم ان احدا سمي به باستثناء قرية الشاعر ابي العلاء . ثم العدوي هو بفتح الدال نسبة الى بني عدي ، وكان اليزيدي نازلا فيهم ، كما ان نسبه اليزيدي هو الى يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان يؤدب ولده فعرف به . ولو ان المنجد ترجم لليزيدي في حرف الياء واقتصر على وصفه هذا مع ذكر اسمه يحيى بن المبارك وبقية المعلومات التي اثبتها عنه لكان ابلغ في التعريف به من هذه الاوصاف العديدة مع ذكره في حرف الميم باسم ابيه مبارك فان احدا لا يعرفه بهذا الاسم .

526) وفي الصفحة نفسها ع ني باسم المتاولة بفتح الميم والتاء وكسر الواو التي بعد الالف ثم لام خفيفة مفتوحة ، ذكر طائفة من الشيعة قال انهم سموا بذلك لموالاتهم لعلي بن ابي طالب (ض) ولم يتأت لي مراجعة هذا الموضوع ، ولكني ارى ان هذا الاسم ان كان ما ذكره حقيقة يجب ان يكون الموالية بميم مضمومة فواو وبعدها الف فلام فياء على ما تعطيه قواعد اللغة .

527) في ص 478، ع ل ترجمة للخليفة العباسي المتوكل تحامل المنجد فيها عليه فوصفه بانه كان متقلبا يتبع الهوى وانه اضطهد المعتزلة والمسيحيين ، ولم يذكر له حسنة واحدة، مع انه احيا السنة وامات البدعة ورفع محنة القول بخلق القرآن ، وكان جوادا كريما مقربا للعلماء والادباء ، محبا للعمران كثير الآثار ، وزلته الوحيدة انه كان مبغضا لعلي وبنيه ، ولولاها لكان من احسن العباسيين سيرة .

528) في نفس العمود تعريف بشيخ القراء المصريين محمد بن احمد بن عبد الله متولي قال فيه : له عدة مؤلفات في القراءات منها بديعة الفرد في اسانيد الائمة الاربعة عشر وهي بديعة الفرر بالغين جمع غرة وبها تصح السجعة .

529) في الصفحة نفسها ع ني تعريف بكتاب المجتبى وهو السنن الصغرى للنسائي الذي يعد احد الكتب الستة في الحديث ؛ ضبط فيه اسم النسائي بكسر النون كانه نسبة الى النساء وهو بفتحها نسبة الى نساء بالفتح والقصر مدينة بخراسان .

530) في ص 479 ، ع ني تعريف بمجنون ليلى، قيس بن الملوح ، جعل فيه اسم والده الولع بواو قبل اللام وعين ءاخرة توهما انه من الولوع وهو الملوح على وزن معظم اي المغير بالشمس او السفر .

531) في ص 480 ، ع ل ترجمة لابن تغري بردي المؤرخ المصري ، ضبط فيها تغري بردي بضم اولهما معا ، والمعروف فيها الفتح ، وحقق الاستاذ الزركلي في الاعلام ان نطق الاسم الثاني يجيء بين الفتح والكسر يعني لاوله .

532) في نفس الصفحة بين العمودين ترجمة بعنوان ابي محجن عبد الله ثم اخرى تليها باسم ابي محجن الثقفي ، وهما شخص واحد فكان يجب ان تدمج الترجمتان احداهما في الاخرى تحت اسم ابي محجن الثقفي ، وهو الصحابي الفارس الشجاع ، ولا باس بالاشارة الى الخلاف في اسمه بين عبد الله وعمرو بن حبيب بالتصغير وان كان المنجد لم يذكر هذا الاسم الثاني .

533) في ص 480 ، ع ني تعريف بكتاب المحرر للرافعي في فقه الشافعية ، ضبطه بكسر الراء على صيغة اسم الفاعل ، وهو بفتحها على صيغة اسم المفعول لانه حرر ونقح .

534) في نفس العمود تعريف لكتاب المحكم لابن سيده اللغوي ضبطه بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الكاف على وزن معظم توهما انه من التحكيم وهو بسكون الحاء وتخفيف الكاف من الاحكام والاتقان ، وقال انه مخطوط في القاهرة مقتصرا عليها ، وهو يوجد في غير القاهرة كتونس واستنبول على ما أشير اليه في مقدمة محققيه ، وقد طبع منه مجلدان .

535) وفيه ايضا ذكر للمحمل انه كان يحتفل به في القاهرة عند ارسال كسوة الكعبة المشرفة ، ضبطه بفتح الميمين على وزن معمل وهو بكسر الثانية وزان مجلس .

536) وفيه كذلك ترجمة صغيرة للنبي (ص) تحت اسمه محمد ، جاء فيها : تزوج من خديجة فرزق منها فاطمة مقتصرا عليها ، ومعلوم ان اولاده عليه السلام سبعة كلهم من خديجة الا ابراهيم فهو من مارية القبطية .

537) في ص 482 ، ع ني ترجمة للشاعر ابي الشيص الخزاعي جعله فيها ابا الشص بحذف الياء التي بعد الشين وتشديد الصاد وشتان بين الشيص والشص

538) في ص 483 ، ع ني ترجمة لمحمد بن ابي بكر الصديق سماه فيها محمد بن ابي بكر القرشي ، وهو كذلك لا يتعرف كما يتعرف بلقب ابيه . وقال : كان من قتلة عثمان ، والجزم بهذه الصورة في القضية ليس من التحقيق ، وقد علم انه انصرف عنه لما قال له عثمان لو رءاك ابوك لم يرض هذا المقام منك . ثم قال: اوفده علي حاكما على مصر لكنه لم يقو على عمر (كذا) ابن العاص الحاكم فيها من قبل معاوية وقتل . وهذا الكلام يعيد انه لما ورد مصر وجد عمرو بن العاص حاكما عليها من قبل معاوية ، وليس كذلك ، فان عمرا كان ابعد عن ولاية مصر زمن عثمان ، ولما ولي علي الخلافة كان على مصر قيس بن سعد بن عبادة فاستوحى على منه فولى عليها محمد بن ابي بكر ، فلم يزل بها الى ان جرت وقعة صفين ، وبعث معاوية عمرو بن العاص الى مصر فحارب محمد بن ابي بكر حتى قتله .

539) في ص 485 ، ع ني كلمة عن مخا وهو اسم مرفأ باليمن ضبطه بضم الميم وهو بفتحها .

540) في ص 486 ، ع ل كلمة عن مختصر الشيخ خليل الجندي في الفقه المالكي ، سماه فيها خليل سليل بن اسحاق ولا محل لكلمة سليل هنا مع ذكر ابن ، فهو ابن اسحاق وسليله لا سليل ابنه . . وذكر المنجد بعض شروح المختصر ولكنها ليست من المتداول ولا من المطبوع الذي يدرس ويستعمل كالحطاب والمواق والخرشي والزرقاني والدردير فلو اشار اليها لكان اكثر فائدة .

541) في العمود نفسه ذكر مختصر المزني المشهور في فقه الشافعية وضبط المزني بفتح الميم وهو بضمها وفتح الزاي .

542) وفيه ايضا كلمة عن الكتب المؤلفة في المختلف والمؤتلف من اسماء الرجال ضبط فيها الكلمتين معا بفتح اللام وهي بالكسر فيها اسم فاعل لا اسم مفعول .

543) وفي الصفحة المذكورة ، ع ني ترجمة لابي مخنف الازدي ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهو بكسرها مع فتح النون .

544) في ص 487 ، ع ل ترجمة لاحمد بن المدبر من ولاة العباسيين ، ضبط المدبر فيها بكسر الباء وهو بفتحها مع التشديد ، اسم مفعول من التدبير المعروف في احكام الرقيق .

545) في ص 489 ، ع ل كلمة عن كتاب المدونة الذي هو من امهات المذهب المالكي قال فيها : الفه الامام مالك ، وهو خطأ فهو من تاليف سحنون الذي قال المنجد انه رواه عن ابي القاسم .

546) في هذه الصفحة ، ع ني ترجمة لابراهيم ابن المدبر الشاعر اخي احمد بن المدبر المذكور آنفا ،

جعله المنجد فيها ابن المدير بياء ساكنة بعد الدال ، اسم فاعل من الادارة وهو خطأ فادح .

547) وفي نفس العمود تعريف بقبيلة مذحج اليمنية ضبط اسمها بفتح الحاء وهو بفتح الميم وكسر الحاء ، وقال : جدها الاعلى مالك بن ودد ، والواقع ان مالك هو اسم مذحج فليس جدا اعلى ولا ادنى بل ابا . اما ودد فهو أدد بهمزة مضمومة بعدها دال مفتوحة فدال ءاخرا .

548) وفيه ايضا كلمة عن المرابطين المعروفين بالملثمين من ملوك المغرب ، قال فيها انهم من الصنهاجة والصواب حذف ال ، فصنهاجة اسم علم معرف بدون اداة ، ثم قال عن دولتهم : مؤسسها يحي بن ابراهيم الجدلي ، وهو الجدالي بالجيم المصرية فدال بعدها الف

549) في ص 491 ، ع ل ترجمة لعبد الواحد المراكشي المؤرخ صاحب كتاب المعجب ، جاء فيها انه تعلم على ابن زهر ، وهذا قول ينافي التحقيق فانه ان كان لقيه وهو صغير كما ذكر ذلك في كتابه المعجب ، لم يلزم من لقيه له انه تعلم عليه وهي عبارة لا تقال الا اذا كان ملازما له حتى يتخرج به ؛ والشخص الذي ذكره في المعجب على انه استاذه ويصح ان يقال انه تعلم عليه هو ابو جعفر الحميري .. على ان الغريب في ترجمة المنجد لعبد الواحد المراكشي هو قوله : « له نبوغ المغرب في الادب العربي » والمعجب في اخبار المغرب . **فما هو هذا** « النبوغ » المعتدى عليه حتى في اسمه ، الذي نحله اياه، ومن اين وصله هذا الصدى ؟ ؟

550) في ص 492 ، ع ل ترجمة للشيخ مرعى المقدسي صاحب كتاب انشاء مرعى المسمى بديع الانشاء وغيره من الكتب ، ضبط اسمه فيها بكسر الميم والمعروف الفتح ، وضبط المقدس بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الكسر ، والنسبة الى المقدس كما نبهنا عليه سابقا ، فهي بفتح فسكون مع كسر الدال وتخفيفها .

551) في العمود نفسه ترجمة للعلامة المرغيتي صاحب نظم المقنع وغيره ، جعله فيها المرغيطي بالطاء ، وذلك من خطأ الترجمة وسمى كتابه المقنع في علم ابى مقرع ؛ سماه المقنع في علم المقرع ، وهو خطأ كذلك صوابه ما بيناه .

552) في الصفحة ذاتها ع ن ترجمة لمرداس بن ادية الخارجي سماه فيها مرواس بن ودية ، وضبطه بفتح الميم وكسر واو ودية ، والصواب كسر ميم مرداس وضم همزة ادية مع فتح داله وتشديد يائه على صورة المصغر .

طنجة : عبد الله كنون



تقويم اللسانين مستقيم

وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

«3»

7 — قال المعترض : وقال : (فان من كان عالما بالنحو فى اي لغة كانت يتخذه مصباحا) وهذا التعبير كان أولى من غيره بتقويم اللسانين ، فان مراده : من كان عالما بنحو لغة من اللغات يتخذه مصباحا ، (ايا) هذا الاستعمال الغريب ، وظن ان الضمير فى (كان) يعود الى اللغة ، فألحق به تاء التأنيث ، مع ان الفعل ينبغي أن يكون للعلم المفهوم من اسم الفاعل . وبيان ذلك من كان عالما بنحو لغة كائنا ما كان هذا العلم بالنحو، فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال (من كان عالما بلغة اي لغة كانت) فالفعل الذي يأتي بعد (اي) يعود ضميره الى الاسم الذي قبلها ، وهذه ادنى مراتب الصحة او دنياها . اهـ .

اقول :

قولي : فى (اي) لغة كانت — جار ومجرور ، فى محل نصب متعلق بمحذوف حال من النحو ، وكانت فعل تام ، وفاعله ضمير مستتر جوازا ، تقديره : هي ، يعود على اللغة ، وهذه الجملة فى محل جر صفة للغة ، وهذا كلام مستقيم لا اشكال فيه .

وما قدره وزعم اني اردته باطل لم ارده .

وقوله (فاذا اراد اللغة وجب تقديمها فيقال : من كان عالما بلغة اي لغة كانت) انا لم ارد العلم باللغة، وانما اردت العلم بنحوها ؛ ولو اردت العلم بها لما وجب تقديم الموصوف مذكورا ؛ فقد تقدم ما يشفي العليل ، ويروي الغليل فى جواز حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بكثرة وتقدمت الشواهد على ذلك . فمعنى كلامي : من كان عالما بالنحو فى اي لغة كيفما كانت ، وهو واضح لكل ذي قلب سليم .

8 — قال المعترض : وقال (ينتفع اهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك) فكيف نصل (الى غير ذلك) بالجملة ، وهي لا تحتاج الى (الى) التي هي منتهى لابتداء الغاية ، فلو قال (من ضوئها ودفئها الى غير ذلك لصح التعبير ، فالصواب : العطف (وغير ذلك) فتكون الجملة (بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك) ا هـ

اقول : ومن قال ان (الى) محصورة فى انتهاء الغاية ، ولو درست كتابا من كتب النحو المتوسطة لعرفت ان لها معاني اخرى غير انتهاء الغاية فدونك ما قاله الاشموني فى شرحه لالفية ابن مالك فى معاني (الى) .

قال الاشموني : واما (الى) فلها ثمانية معان : الاول انتهاء الغاية مطلقا كما تقدم . الثاني المصاحبة نحو (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) . الثالث ، التبيين ، وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعدما يفيد حبا او بغضا من فعل تعجب او اسم تفضيل نحو (رب السجن احب الي) . الرابع موافقة اللام نحو (والامر اليك) ، وقيل لانتهاء الغاية ، اي منته اليك . الخامس موافقة فى ، نحو (ليجمعنكم الى يوم القيامة) وقوله :

فـلا تتركنـي بـالوعيـد كأننـي
الى الناس مطلي به القـار اجـرب
السـادس موافقـة مـن كقولـه
تقول وقد عاليت بالكـور فوقهـا
أيسقى فلا يروى الي ابن احمـرا
السابع موافقة عنـد كقولـه
ام لا سبيل الـى الشبـاب وذكـره
اشهـى الي مـن الرحيـق السلسـل

الثامن : التوكيد ، وهي الزائدة . اثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم (افئدة من الناس تهوى اليهم) بفتح الواو ، وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل . اهـ

وقال ابن منظور فى لسان العرب : وتكون (الى) بمعنى (مع) كقوله تعالى (ولا تأكلوا اموالهـم الـى اموالكم) معناه مع اموالكم . وكقولهم : الذود الى الذود ابل . وقال الله عز وجل (من انصاري الى الله) اي مع الله . وقال عز وجل (واذا خلوا الى شياطينهم) ا هـ .

فظهر ان استعمالي (لالى) بمعنى (مع) صحيح مستقيم ، وان انتقاد المعترض سقيم .

9 ــ قال المعترض : وقال (ورنقت صفو زلالـه المعين مما يسوء كل طالب علم) فمن هنا للبيان والتفسير فكيف يكون الزلال المعين مما يسوء كل طالـب ؟ واذا عددناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء كل طالب علم ، وهو غير مراد الكاتب ، فالصـواب : وذلك مما يسوء كل طالب علم) على الابتداء والاخبار .

اقول : لم اقصد (بمن) بيانا ولا تعليلا ، وانما قصدت ان ترنيق الصفو مما يسوء كل طالب علم ، الخ . فهي هنا للتبعيض ، والمبتدا محذوف ، التقدير : وهـو اي الترنيق ، مما يسوء ، الخ. وهكذا يفهم اولوا الالبـاب اجمعون

10 ــ قال المعترض : وقال فى الكاف التي سماها استعمارية (وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العـرب) اراد : لم تعرفه العرب) والا فان العرب عارفـة بـه ، فالمراد نفي الماضي لا المستقبل . جاء فى الصحـاح (لا) حرف نفي لقولك : يفعل ، ولم يقع الفعـل ، اذا قال : هو يفعل غدا ، قلت : لا يفعل غدا ، ولا تنفي الماضـي الا اذا كررت ، او عوض عـن تكرارها ، وليس هـذا موضع الجدال ، لان الفعل فى الجملـة المنقودة مضارع جعلته (لا) للاستقبال ، مع ان المراد نفي معرفة العرب قديمـا . اهـ

اقول : من الشائع الذائع فى كتب النحاة ، وعلـى السنتهم : العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحـرك فهل معناه : لن تبدا ولن تقف ؟ ، بل المراد انه ليس من عادتها ولا من شأنها ان تفعل ذلك ، فالمعنى غيـر مقيد بالمضي ، ولو قلنا : لم تبدأ ولم تقف لم يحصل المراد .
وكلام الصحاح قد ساء فهم المعترض له ، فان قولـه : (لا يفعل غدا) لا يدل على أن (لا) هي التي عينت الفعل للاستقبال ، بل القرينة (غدا) هي التي عينته له . قال ابن بونا فى الفيته :

واجعـل فى الاستقبـال الامر واقتفا
وقـل بـه والحـال فيما ضارعـا

قال الناظم نفسه فى شرح هذا البيت : اي المضارع ولو نفي (بلا) خلافا لـمـن خصصها بالمستقبل ، ومـن وروده مع (لا) للحال قوله تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) ا هـ .

فهذه حكاية حال ماضية ، وهي تحكـي بالمضارع كما رأيت شاهده فى كتاب الله ، ولكن فهم المعتـرض منحصر فى دائرة ضيقة لانه لم يأت البيوت من ابوابها .

وقال ابن منظور فى لسان العرب فى الكلام علـى (لا) ما نصه : قال الليث : العرب تطرح (لا) وهي منوية كقولك : والله لا اضربك ، تريد : والله لا اضربـك ، وانشد :

وآليـت آسـى علـى هالـك
واسال نائحـة مـا لهـا (اهـ)

فقول الليث وهو من ائمة اللغة : والعرب تطرح (لا) هو كقولي انـا (لا تعرفه العرب) الا ان الفعل فى كلامه مثبت ، وهو فى كلامي منفي (بلا) ، وقد تقدم أن (لا) لا تعينه للاستقبال فبطل كلام المعترض .

وقال ابن منظور ايضا : التهذيب : قال الفـراء : والعرب تجعل (لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها . وقـال الشاعـر :
مـا كان يرضى رسـول الله دينهم
والا طيبـان ابـو بكـر ولا عمر .اهـ

ومثل هذا فى اقوال ائمة اللغة كثير .

وقوله (والا فان العرب عارفة به) من اعجـب العجب ، هل يستطيع ان يأتينا بدليل على ان العرب كانت تعرف الكاف الاستعمارية وتستعملها فى كلامها ؟ فانا اتحداه أن يأتي بشاهد واحد عن العرب ، بـل لا يستطيع أن يأتي بدليل من كلام المولدين الذيـن جـاءوا

بعد العرب ، ولا يجده ابدا قبل هذا الزمان النحس ، زمان الاستعمار المادي والسياسي واللغوي . والذي يؤسفني أن هذا المعترض يعلم يقينا ان هذه الكاف هي ترجمة (Comme) بالفرنسية ، و (As) بالانكليزية، و (Als) بالجرمانية ، وأن هذه الكلمات تأتي في هذه اللغات قبل الحال ، وقد تأتي قبل غيرها ، وتأتي للتشبيه ايضا ، فاستعملها المترجمون استعمالا فاسدا ، وهو يعلم فساده ، ويجادل بالباطل عمدا ليغمط غيره ويبخسه حقه ، وينصب لنفسه عرشا يجلس عليه ، ولم يدر ان من رام أن يرتفع بالباطل خفضه الحق، ولو انه لم يجادل الا فيما لا يعرفه ، وقصر عنه فهمه لهان الخطب وما احسن ما قال ذو الاصبع العدواني

الله يعلمني والله يعلمكم
والله يجزيكم عني ويجزيني

قوله (ولا تنفي الماضي الا اذا كررت) باطل ، فقد جاء الفعل الماضي في كلام العرب منفيا (بلا) غير متكررة ، قال الشاعر :

ردوا فوالله لاذدناكم أبدا
ما دام في مائنا ورد لوراد

قال العلامة المحقق احمد بن امين العلوي الشنقيطي في الدرر اللوامع شرح شواهد همع الهوامع للسيوطي بعد ايراد البيت المتقدم : استشهد به على تعيين الماضي المنفي (بلا) للاستقبال .

ذدناكم ، كففناكم ، وهو بالذال لا بالزاي ، ولم اعثر على قائله . اهـ

واستشهد به ايضا على ذلك ابن بونا في حاشية الفيته . واعلم ايها القارىء الكريم ان المضارع في كلام العرب يأتي بمعنى الماضي في مواضع ، وان ياتي للحال وللاستقبال بشروط وقرائن ذكرها السيوطي في همع الهوامع شرح جمع الجوامع له ؛ وذكرها ابن بونا في الفيته . واظن ان المعترض لم يسمع بهذين الكتابين ، فضلا عن أن يدرسهما ، وحسبه ما كتبه القسيس (انسطاس الكرملي) والقسيس بلوت الفرنسي ، فبهما يصول ويجول ؛ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

11 ــ قال المعترض : وقال (بين غث وسمين ، وكدر ومعين) ظانا أن المعين هو الصافي والرائق مع انه الجاري ، وقد يكون الجاري رائقا او كدرا بحسب ارضه وجريته ومنبعه وعينه وما يحدث فيه. اهـ

اقول : صدق المعترض ، فان المعين هو الذي تراه العين ، كما قال البيضاوي ؛ وهو الماء الجاري ، ولكن اكثر الماء الجاري ، وهو البحر يكون صافيا على الدوام ولا يتكدر ، فان قيل : ان البحر غير جار ، نقول : بلى ، بدليل قول النبي (ص) في الدعاء الذي كان يقوله اذا راى قرية : اللهم رب السموات وما اظللن ، ورب الارضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب البحار وما جرين ، ورب الرياح وما ذرين ، الحديث ، واذا علمت أن ثلاثة ارباع الارض يغطيها البحر ، وان الانهار في اغلب الاوقات صافية ، وكذلك العيون جارية ، ولا تكدر الا عند نزول الامطار وسيلان الاودية تعلم أن الجريان يلازم الصفاء ، والتعبير باللازم وارادة الملزوم شائع في كلام البلغاء ، والقرينة لا تبقي شكا في أني اريد الصافي ، وكذلك قول الشاعر :

ان حمامنا الذي نحن فيه
اي ماء به واية نار
قد نزلنا به على ابن معين
وروينا به صحيح البخار

قوله (على ابن معين) فيه تورية ، فالمقصود هو الماء المعين الصافي في الحمام ، والمعنى الذي ورى به هو الاشارة الى الامام الحافظ احد ائمة الجرح والتعديل يحيى بن معين . وفي قوله صحيح البخاري تورية اخرى، فان المقصود بخار الحمام ، والتورية بصحيح الامام الحافظ امير المومنين في الحديث ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . ومن المعلوم أن ماء الحمام غير جار ، ولكنه عبر باللازم واراد الملزوم . والمناقشة في مثل هذه الصغائر من الشطط ، والتماس العيوب للبراء .

12 ــ قال المعترض : وقال (وستأتي في هذه المقالات ان شاء الله امثلة عديدة توضح ذلك) اراد بعديدة (كثيرة) مع أن العديدة هي المعدودة، قليلة كانت او كثيرة، واستعمل (امثلة) جمع القلة مع ارادته الكثرة، فالصواب مثل كثيرة. الخ .

اقول : صدق المعترض في قوله : ان العديدة ، يراد به المعدودة ، سواء اكانت قليلة ام كثيرة ، الا ان القرينة التي فهم بها هو الكثرة كافية لجعل القارىء يفهم الكثرة . واستعمال اللفظ في احد مدلوليه مع القرينة الصارفة عن ارادة المدلول الآخر شائع في كلام البلغاء جار على الاصول ، لا سبيل الى انكاره فلا يعد عيبا ولا خطأ .

على ان ابن منظور في لسان العرب قال ما نصه : والعديد : الكثرة. اهـ واذا كان العديد هو الكثرة ، فلتكن العديدة كذلك ، وعلى ذلك اقول : لو كان اعتراض هذا المعترض كله مثل هذين الاعتراضين الاخيرين لتلقيته بكل سرور ، ولكن اكثره كان الباعث عليه القصور وسوء الفهم ، او ارادة السوء والغش المتعمد للقراء .

واما قوله : ان (امثلة) جمع قلة ، فقد تقدم الكلام عليه مستوفي في الجواب عن النقد الثالث.

13 ـ قال المعترض: نعود الى الكاف الاستعمارية التي جرب استعمالها في قول القائل (فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة) لانه استعمال دخيل ، مع انه ذكر من معاني الكاف (التعليل) فاذا قلنا : فلان لانه وزير لا ينبغي ان يتعاطى التجارة ، كان المراد مضمونا والمعنى واضحا .اهـ

اقول : انني لا احسن استعمال هذه الكاف ، ولله الحمد، لان طبعي يأباها كما يأباها طبع كل كاتب تعز نفسه من استعمال الالفاظ الدخيلة الاستعمارية التي غزت لغة الضاد ، وافقدتها جمالها وفصاحتها ، وانا لا اعتقد ان المعترض يجهل هذا ، ولكنه ركب رأسه وحاد عن سواء السبيل بقصد ان يهدم ما بنيته من صروح الاصلاح فهدم نفسه كما قال المتنبي :

وكم من مريد ضره ضر نفسه
وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى

وزعمه ان الكاف الاستعمارية تؤول على انها للتعليل زعم عليل ، فقولنا : فلان كوزير لا يجوز له ان يتعاطى التجارة ، لا يفهم منه احد ان الكاف للتعليل الا اذا كان فهمه عليلا ، فاسمع ايها المعترض ما يقوله ابن هشام في المغني :

(الكاف المفردة) جارة وغيرها ، والجارة حرف واسم ، والحرف له خمسة معان : احدها التشبيه نحو: زيد كالاسد . والثاني : التعليل ، اثبت ذلك قوم ونفاه الاكثرون ، وقيد بعضهم جوازه ، بان تكون الكاف مكفوفة بما ، كحكاية سيبويه ، كما انه لا يعلم ، فتجاوز الله عنه . والحق جوازه في المجردة من ما نحو : وي كانه لا يفلح الكافرون) اي اعجب لعدم فلاحهم ، وفي المقرونة بما الزائدة كما في المثال ، وبما المصدرية نحو : (كما ارسلنا فيكم) الآية . قال الاخفش : اي لاجل ارسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني ، وهو ظاهر في قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) واجاب بعضهم بانه من وضع الخاص موضع العام ، اذ الذكر والهداية يشتركان في امر واحد ، وهو الاحسان . فهذا في الاصل بمنزلة (واحسن كما احسن الله اليك) والكاف للتشبيه ثم عدل عن ذلك للاعلام بخصوصية المطلوب .

وما ذكرناه في الآية من ان ما مصدرية ، قاله جماعة وهو الظاهر . وزعم الزمخشري وابن عطية وغيرهما انها كافة ، وفيه اخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجر لغير مقتض ، واختلف في نحو قوله :

وطرفك اما جئتنا فاحبسنه
كما يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

فقال الفارسي : الاصل ، كيما ، فحذف الياء . وقال ابن مالك : هذا تكلف ، بل هي كاف التعليل ، وما الكافة ، ونصب الفعل بها لشبهها بكي في المعنى . وزعم ابو محمد الاسود في كتابه المسمى (بنزهة الاديب) ان ابا علي حرف هذا البيت ، وان الصواب فيه :

اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكي يحسبوا ـ البيت

شرح الغامض على بعض القراء من كلام المغني .

قوله (جارة وغيرها) اي الكاف المفردة ، منها كاف جارة ، ومنها كاف غير جارة .

قوله (كما انه لا يعلم فتجاوز الله عنه) المعنى : تجاوز الله عنه ، لانه لا يعلم ، اي غفر له لعدم علمه ، ان ما فعله ذنب .

قوله (كما في المثال) يعني المتقدم من حكاية سيبويه، وهو (كما انه لا يعلم فتجاوز الله عنه) ، فالكاف للتعليل، وما زائدة ، والمصدر المؤول من ان وما بعدها فاعل لفعل محذوف تقديره : ثبت ، هكذا اعربه الامير في حاشيته على المغني والتقدير : لثبوت عدم علمه سامحه الله فتجاوز عنه ، والذي حمله على هذا التكلف ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها . ولو اعتبرنا الفاء زائدة لم نحتج الى هذا التقدير كله ، فيكون الجار والمجرور متعلقا بما بعده ، وهو تجاوز .

قوله (قال الاخفش : اي لاجل ارسالي) الخ ، فيه اعمال ما بعد الفاء فيما قبلها، وقد سكت عنه الامير، وهذا يدل على ما رجحته انا في اعراب المثال المتقدم .

قوله (وقال بعضهم) الخ. يعني أن بعضهم جعل الكاف في (كما ارسلنا) للتشبيه كما في (واحسن كما احسن الله اليك) لا للتعليل . ومراده بالخاص ارسال الله الرسول ، وذكر الناس لله وشكرهم له يشملهم

الاحسان، فالارسال احسان من الله الى عباده، والذكر والشكر احسان منهم في طاعته وعبادته ، وبذلك يشبه قوله تعالى في سورة القصص (77 واحسن كما احسن الله اليك) .

قوله (وطرفك) الخ . هذا البيت لعمر بن ابي ربيعة، قاله السيوطي في حاشيته على المغني . والمعنى : ان المحبوبة قالت للشاعر — بزعمه : ان جئتنا فاجبس طرفك عني ، وانظر الى غيري ليظن الناس انني لست محبوبتك ؛ وأن محبوبتك حيث تنظر ، وبذلك يبقى حبنا مستورا .

فهكذا تستعمل كاف التعليل ايها المعترض .

قوله (ثم انه لما عاب على القائل قوله لم يذكر له القول الصحيح ، فلنحسب أن القول المذكور دخيل ، فما وجه الصواب ؟ فالبراعة ليست في التخطئة وحدها ، بل فيها وفي ذكر الوجه الصحيح انتهى.

اقول : انا لا اعامل الكتاب كما يعامل معلم الانشاء في المدرسة الابتدائية تلاميذه كما تفعله انت ، ثم ان الكاف الاستعمارية تستعمل ضروبا من الاستعمال الفاسد، وقد نقلت عن الائمة معاني الكاف، واستعمالها بأمثلة موضحة من كلام العرب ، لا تبقي لبسا ولا ابهاما، فاذا راعوا تلك القواعد ، وتجنبوا الكاف الاستعمارية التي لا معنى لها ، ولا ينطبق عليها كلام الائمة ، فليختاروا ما شاءوا من العبارات ، لان باب التعبير واسع ، وضروب القول كثيرة ، ومن تجنب الخطأ ادرك الصواب . فقولهم مثلا : حضر فلان المؤتمر كمراقب ، فاسد ، لانه من باب تشبيه الشيء بنفسه ، ولا يصح أن تكون الكاف للتعليل ، كما زعم المعترض ، اذ ينبغي ان يقال : ليراقب ، بلام التعليل ، لان استعمال القرآن والمثال الذي حكاه سيبويه كل ذلك يأبى أن نقول : حضرت المؤتمر كمراقب ، ويراد بذلك : لانني مراقب.

14 — قال المعترض : ونعود ايضا الى جدية قول القائل (يجب علينا ان نسعى لخلق نهضة ثقافية) الخ.. اقول في رده : الذي منع استعمال الخلق بمعنى الايجاد والانشاء ، وخصه بنفسه سبحانه هو الله . والقرآن اكبر حجة في اللغة العربية على المؤمن به والكافر به . قال تعالى في سورة النحل (17 أفمن يخلق كمن لا يخلق، افلا تذكرون) فالذي يخلق هو الله، والذي لا يخلق هو غير الله ، فمن زعم ان غير الله يخلق ، وكان ينتسب الى الاسلام فقد كذب القرآن ، وان كان لا ينتسب الى الاسلام ، فهو جاهل باللغة العربية ، فهما خطتا خسف .

وقال تعالى في سورة النحل (20 والذين يدعون من دون الله ، لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير احياء ، وما يشعرون ايان يبعثون) .

ومن المعلوم ان الالهة التي اتخذوها من دون الله ، منها من يعقل كالملائكة وعيسى وامه ، والصالحين ، ومنها تماثيلهم التي يزعمون أن أرواحهم لا تفارقها ، وهي الاصنام والاوثان . وقوله تعالى أموات غير احياء يصدق على جميع ذلك ، فمن كان مآله الموت فهو ميت ، كما قال تعالى في سورة الزمر (30 انك ميت وانهم ميتون) .

وقال تعالى في سورة الفرقان (3 واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) .

وقال تعالى في سورة فاطر (3 هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ، لا اله الا هو فأنى تؤفكون) .

فهذه الآيات ناطقة بان الخلق لا يسند الى غير الله البتة ، لا فعلا ولا اسما ، معرفا أو نكرة . وقال تعالى في سورة لقمان (11 هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون في ضلال مبين) فالخلق لا يسند الى غير الله تعالى الا اذا كان بمعنى التقدير كما في البيت الذي انشدته من قبل ، وهو قول الشاعر :

ولانت تفري ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفري

او بمعنى الكذب كقوله تعالى في سورة العنكبوت (17 انما تعبدون من دون الله اوثانا ، وتخلقون افكا)

واما قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام (49 اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طائرا باذن الله) . كتبت ما تقدم قبل أن أراجع غريب القرآن للراغب ، فوجدت كلامه مطابقا لما قلته ، ولما كنت أريد ان قوله ولله الحمد.

قال الراغب : الخلق : اصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء ، قال (لخلق السموات والارض) اي ابدعهما ، بدلالة قوله (بديع السموات والارض) ويستعمل في ايجاد الشيء نحو قوله (خلقكم من نفس واحدة) (وخلق الانسان

من نطفــة) (خلق الانسان من سلالة) (ولقد خلقناكــم) (خلق الجان من مارج) .

وليس الخلق هو الابداع الا لله ، ولهذا قــال في الفصل بينه تعالى وبين غيره (أفمن يخلق كمن لا يخلــق افلا تذكرون) واما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الاحــوال كعيســى حيــث قال : (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) والخلــق لا يستعمل في كافة النــاس الا على وجهين : احدهمــا في معنى التقديــر ، كقول الشاعــر :

ولانــت تفــري مــا خلقت وبعــــ
ـــض القــوم يخلق ثــم لا يفــري

والثاني في الكذب نحو قوله (وتخلقون افكـا) اهـ.

اقول : وبنقل هذا الكلام يقال : قطعت جهيــزة قول كل خطيب ، ودارت الدائرة على المعترض .

قال المعترض : واحتجاجه بان الايجاد والانشــاء خاص بالله تعالى ، وكذلك الخالق ، وهذا احتجـــاج غريب ، فالله تعالــى المحي ، وعلى قوله لا يجــوز أن نقول (احياء مآثر العرب وتراثهم) الخ.

اقول : انا ما احتججت قط بان استعمال الايجــاد والانشاء خاص بالله تعالى ، وكذلك الاحياء ، فهـــذا افتراء علي ، وانما قلت : ان استعمـــال الخلق ، هــو الخاص بالله تعالى ، فليراجع كلامي ، ليعلم أنه يقولني ما لم اقله ، ثم يرد ما تقوله علي ، بل الذى أرتضيـــه وادعـــو اليه هو استعمال الايجاد والانشاء ، وتــرك استعمال الخلق فيما يفعله غير الله تعالى، فيقال، فلان احدث ، او اوجد نهضة ادبيـــة في قومه ، وكذلك فلان احيى سنـــة النبى (ص) ، ومآثر السلف الصالح ، وفي الحديث من احيى سنـــة من سنتي قد اميتت بعدي فله أجر مائة شهيــد ، وفي كتب الحديث : احيــاء المــوات ومن احي ارضا مواتــا فهي لـــه .

اما قوله (ينبغي ان نلعن البديع الهمداني) فهو في غاية السخافة ، فنحن لسنا بصدد لعن احد ، وانما نحن بصدد اختيار العبــارات الصحيحــة ونبــذ العبارات الفاسدة ، فأين يذهب بك ايها المعترض !

قوله (ولنا مع الدكتور موعد آخر ان شاء اللـــه) تقدم الجواب عنه في آية الانفال (انتستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الآية ، ولولا الحيــاء والابقــاء لانشدته :

ان عـــادت العقـــرب عدنــا لهــا
وكانــت النعـــل لهــا حاضــره

كتب في مكنـــاس بالمغـــرب .

الدكتور تقي الدين الهلالي





للأستاذ: صاحب الإمضاء

ورد علي عددالتقويم الثاني — أعني تقويم اللسانين — وأنا مريض فقرأته باستمتاع وانتفاع، ولو كنت معافى لزاد استمتاعي وانتفاعي فبارك الله تعالى الاستاذ الجليل العالم النبيل تقي الدين الهلالي ومد فى عمره، وأنا راج منه أن لا يسخط مما ذكرته له فى هذه المجلة المباركة فهو العالم بأن غاية النقد والتعقيب خدمة لغة العرب الكريمة: لغة التنزيل الكريم، التي نامل لها من التقدم — كما يقول الناس — والترقي والاتساع وطول الباع، و « التطور » ما لكبريات اللغات فى العالمين، التي كانت بالاضافة (1) الى العربية فى عصورها الزاهرة من صغرياتها.

ولم اتذكر شيئا يستحق التعقيب مما ذكره العالم الجليل الهلالي فى تقويمه الثاني سوى احتجاجه للفيروزآبادي مؤلف القاموس فى ذكره «انقراض اليونان» فى قاموسه، ونقض قوله — أعني قول صاحب القاموس —: « واليونانيون جيل انقرضوا » بأن الاتراك العثمانيين فتحوا بلادهم فعدهم منقرضين، أو كما قال الهلالي — حفظه الله — فذلك الاحتجاج غير صحيح لان الاتراك العثمانيين لم يعبروا البحر عبرة الفتح لما يسمونه « روم ايلي » وما يليه من بلاد العرب واليونان الا بعد سنة 856هـ = 1452م. وفى سنة 857هـ = 1452م فتح السلطان محمد بن مراد العثمانية قسطنطينية، المعروفة باستانبول، مع أن مؤلف القاموس — رحمة الله عليه — توفي بزبيد ليلة العشرين من شوال سنة 817هـ اي سنة 1414 الميلادية. فوفاته وقعت قبل عبور العثمانيين باربعين سنة، فلذلك يستحيل ان تكون اشارة الفيروزآبادي الى انقراض اليونانيين مرادا بهاما ذكره الهلالي الجليل، ولا أزيد على ذلك شيئا سوى أن اليونانيين كانوا فى عصر مؤلف القاموس منبثين فى سواحل آسية الغربية وسواحل اوربة الشرقية الجنوبية؛ الا انهم ما كانوا يسمون بهذا الاسم « اليونانيين » عند التسمية العامة المصطلح عليها فى الدول الاسلامية والدول النصرانية ولذلك ظنهم منقرضين.

ثم ورد علي الجزء السادس والجزء السابع المزدوجان من « دعوة الحق » — جعلها الله تعالى — منارا للمسلمين فى العالمين ومرشدة لطلاب العلم واليقين، وفيهما القسم الثالث من « تقويم اللسان » وفيه كما هو معهود فوائد بارعة واستطرادات ممتعة كما فيه ما يستحق المفاوضة، فاول ما انتقده العالم الجليل الهلالي على الكتاب قولهم « يمكن ان يجيء فى اية لحظة » وما أشبهه من تانيثهم « ايا » واورد قول

1) يغلط ناس من الكتاب المترجمين فى استعمال « بالاضافة الى كذا » وياتون بها بمعنى « زيادة على كذا » والصحيح أنها بمعنى « بالنسبة الى كذا » فأدنى مراتب الصحة ان يقال «مضافا الى كذا» «وباضافته الى كذا » وقد حدثت فى مقالتي غلطات مطبعية منها « وقد اعرب ... ما » والاصل « عما » ومنها « للثمار الى غير ذلك » والاصل « وغير ذلك » ومنها « وان اشاعت » والاصل « وان شاعت » من الثلاثي.

الخضري في حاشيته على ابن عقيل ما يفيد ان تأنيث «اي» مع المؤنث شاذ كقول الشاعر « بأي كتاب ام باية سنة ...» ومن عادة الهلالي المحترم ان يرجع في الاستشهاد الى لسان العرب وغيره، وهذا كتاب الصحاح للجوهري من امهات كتب اللغة او من «اماتها» على مايدعي لغويون ، ففيه ما هذا النص « تقول : مررت برجل اي رجل وايما رجل . وما زائدة . وتقول : اي امراة جاءتك واية امراة جاءتك ومررت بجارية اي جارية ، واية جارية . كل ذلك جائز » فدعوى الخضري والشذوذ ساقطة ، وللكتاب الحق في استعمال « في اية مناسبة ، واية انباء واية لحظة » . ذلك على حسبان جواز هذا التعبير المترجم من اللغات الاعجمية ، فليس استعمال « اي » على هذا الوجه معروفا في لغة فصحاء الامة وانما هو كما قلت من التعابير المترجمة .

ومع ما قدمت ينبغي لي ان لا انسى الاشارة الى ان استعمال « اي » الذي أوضحه الهلالي الجليل هو اللغة الفصيحة العالية لانها لغة القرآن الكريم وهي اصح واحرى بالاقتفاء والاقتداء .

ثم جدب — حفظه الله — قول الكتاب « نسي صديقي وعده ونسيت أنا الآخر » أو « نسي هو الآخر » وذكر ان استعمال « الآخر » هنا خطأ محض والصواب: « ونسيت انا ايضا» . وقد اصاب — ايده الله تعالى — في كون استعمال «الآخر» غلطا محضا ، وجزاه الله خيرا الا ان اضافته ايضا الى العبارة لا يحتاج اليها قال تعالى : « نسوا الله فنسيهم » ولم يقل « فنسيهم ايضا » فليس في المعنى ما يستوجب الاشارة الى التكرار لاختلاف الفاعلين . ومن المتأخرين من يقول « ونسيت انا كذلك» وليس ذلك بغلط .

واستطرد الهلالي الجليل على عادته في افادة القراء وامتاعهم بالفوائد الفرائد قال : « وهذا الاستعمال موجود في اللغة العامية المصرية بابدال الهمزة راء ، يقولون مثلا : نسيت انا راخر . والظاهر ان اول من ارتكب هذا الخطأ عامة الكتاب المصريين لانه موجود في لغتهم العامية فاستعملوه في الفصحى ..»

ويسمح لي الهلالي الجليل بأن اقول ان شيوع هذا التعبير اقدم زمنا مما ظن ، فقد جاء في الاقوال التي نقلها الشعراني الزاهد المشهور من رجال القرن العاشر للهجرة : « وقال انظري انت الاخرى حتى لا تقولي (1)» فالتعبير كان شائعا في اسلوب العلماء بمصر قبل القرن العاشر للهجرة .

ونعى الهلالي المحترم على الكتاب قولهم « اعتنق فلان الدين » وقصره على الاسلام مع ان التعبير عند الكتاب عام ، فمنهم من يقول : «اعتنق هذا الرجل الاسلام » و « اعتنق فلان النصرانية بعد الوثنية » والاستاذ الهلالي على حق واضح في ان لا حاجة بالكاتب العربي ان يقول : « اعتنق فلان الاسلام » بدلا من « اسلم » الا انه خرج الى ان قال : « والعرب لا تقول ابدا اعتنق الاسلام او اعتنق النصرانية او اعتنق الفكرة ، وانما تقول : اسلم وتنصر واعتقد كذا وكذا » ثم قال : « لا يقال ان اعتناق الاسلام استعارة لانا نقول ليس كل استعارة مستحسنة » وقصره ثانية على الاسلام ، قال ذلك بعد نقله من لسان العرب ما يفيد أن الاعتناق في الحرب وانه جائز في المودة كالتعانق .

وقد ذكرنا اصابته شاكلة الصواب في ذكر الاسلام اما انكاره استعارة « الاعتناق » لغير الاسلام فمن باب تحجر الواسع والتشدد على الكتاب ، فقد ورد في بعض كتب اللغة وهو المصباح المنير ما يفيد ان الاعتناق احيانا يعني « التمسك الشديد » فقد جاء في اخبار فارس الاسلام في ايام الردة وايام القادسية وايام صفين مالك ابن الحارث الاشتر النخعي انه اصابته ضربة في قتال بني حذيفة حين ارتدوا « فعاد معتنقا رقبة فرسه ، فاجتمع حوله اصحابه يبكون (2) » ثم ان الهلالي — اطال الله بقاءه — لا احسبه يصر على منع الكتاب من استعمال استعارة استعملها الاديب الكبير ابن بدرون في شرحه للعقيدة البسامة للشاعر الاندلسي المشهور ابن عبدون قبل عصور كثيرة (3) . فقد ذكر في شرحه استعارة « اعتناق الدين » . والشرح المذكور كتاب ادبي مشهور قد اثر في اسلوب الكتاب .

وأورد الاستاذ الهلالي الجليل قولا نقله صاحب لسان العرب ونصه « ومنه الحديث : اني وهبت لخالتي غلاما فقلت لها : لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا . اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع» وقال بعده : « والعجب من ابن منظور كيف وقع في خطا عامي وهو تعديته اعطى الى المفعول الثاني باللام وهو متعد بنفسه الى مفعولين يقال : اعطاه الله علما . قال

(1) طبقات الصوفية للشعراني «ج 2 ص 159»

(2) لباب الاداب ، تأليف الامير اسامة بن منقذ الكناني الشيزري » ص 188 طبعة المطبعة الرحمانية »

(3) شرح قصيدة ابن عبدون « ص 19 » .

تعالى : انا اعطيناك الكوثر . ولكن لكل سيف نبوة ولكل جواد كبـوة والكمال لله .»

فأقول : ان ابن منظور ــ رحمة الله عليه ــ كان ناقلا ، فلا يؤاخذ بقول غيـره ، ثم ان تعديـة أعطـى على النحو الذي نقله ليس بخطأ عامي ، كما ذكر الهلالي الجليل ، ولا بخطأ خاصي وانما هو صحيح غير فصيح ، ويعرف بالرجوع الى الاصل ، فالاصل « عطا فلان الى الشيء يعطو اليه عطوا » قال الشاعر وهو الشاهـد النحوي المشهور « كأن ظبية تعطو الى وارق السلم (1)» ثم قيل «عطاه يعطوه» ثم قيل في التعدية الثانية «اعطاه شيئا يعطيه ايـاه» ، والاصل « اعطـاه الى الشيء » على ما ذكرت آنفـا ، ثم احلت الـلام محـل « الى » قياسا » فقيل « اعطاه للشيء » فخيف الالتباس ونقلوا اللام الى غير صاحبها فقيل « اعطاه لـه » كما جاء في منقول صاحب لسان العرب ، وشاهده قول الشاعر من شعـر العصر الاموي :

احجـاج لا تعـط العصـاة مناهم

ولا اللـه يعطي للعصـاة مناها (2)

وقد استعمل الشاعر الوجهين ، اما المتاخرون فقد استعملوه كثيرا لما نقرأ في وفيات ابن خلكان(3) وغيرها، كانتقاء ابن الخشاب البغدادي لمقامات الحريري (4) ، وشرح البسامة المقدم ذكره (5) ، والمنتظم لابى الفـرج ابن الجوزي في قول بعض الشعراء « بعشر الـــذي اعطيته لابن حيوس » .

واستعمال اللام مع مفعول اعطى الثاني اهون من استعمال الاستاذ الهلالي الجليل اللامكان الباء في قوله: « ولم يصرح قـط باللفظ المخصص لهذا الحدث (6) » .

فان الفصحاء قالوا « خصصت الشيء بكذا تخصيصـا فهو مخصص به » لا مخصص له ، وغير الفصحاء كابن بطوطة الرحالة الكبير يستعملون ذلك كقوله : «وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين (7) » ومذهب الهلالي العالـم الجليل الدعوة الى استعمال الفصيح .

وتطرق العالم الفاضل الى تخطئة من يستعمـل « نكران الذات » بمعنى الايثار الصحيح المليح ، ثـم قـال : « وضـد الايثار هـو الاستئثـار ويسميـه جهال الكتاب « أنانية » نسبة فاسـدة ، الى لفظ أنـا وهو ايضا من الترجمة الفاسدة ...» واختيار الاستـاذ وصف « جهال الكتاب » لا يوائم مقامـه وهديـه ، فالانانية اصبحت من المصطلحات العربية العامة التـي لا ينبغي وصف مستعملها بالجاهـل ، فقـد شاعت في العالم الاسلامي قبل عصر « ابن كمال باشا » وذكرها هو في رسالته النقدية المشهورة ، وليست نسبتهـا فاسدة بعد أن صارت اصطلاحا ولا مشاحة في الاصطلاح بعد شيوعه . الم يقل هو في مقالته هذه : وهذا التعبيـر ايضا من استعمار لغة الاجانب (8) فالاستعمار كلمـة رحمانية قرآنية « واستعمركم فيها » ولكن الاستـاذ الهلالي جارى اهل العصر في استعمالها للمكروه، فزيادة النون في « الانانية » كزيادتها في « الرهبانية » بفتـح الراء نسبة الى الراهب ، وزيادة النون في الكلم العربية من مستحبات العرب ولاسيمـا المنسوب اليـه منها ، كالبراني والجواني والشعراني واللحياني ، والمنظراني والروحاني والنفساني ، والمصادر كالشكران والكفران والعرفان والجولان والغليان والغثيـان والغشيان ، فللنون فائدة موسيقية بارعة ولذلك اتخذت تنوينا ، بل اضافة العرب اياها الى الصفات كالرحمان والعطشان. وحديث النـون طويل .

---

(1) الكامل في الادب للمبرد « ج 1 ص 58 طبعـة الدلجمونـي »
(2) مصارع العشاق « ص 201 » وكتاب الاغانـي « ج 16 ص 26 » .
(3) الوفيات ج 2 ص 114 طبعة طهران .
(4) ص 10
(5) شرح القصيدة المذكورة « ص 12 » .
(6) دعوة الحق ، في المقالة نفسها « ص 20 » .
(7) رحلة ابن بطوطة « ج 18 طبعة مصر » .
(8) ص 27 من المجلـة .

فارجو من الدكتور الهلالي أن يكون واسع الصدر لتقبل الاصطلاحات كما هو واسع العلم وان يتساهل على الكتاب في كل ما يحتمل التجوز والاتساع والحذف والايصال، والاستعارة ولاسيما الاستعارة القديمة الاستعمال كاعتاق الدين الذي تقدمت الكلام عليه في هذه المقالة ، وله — أيده الله — ان يتشدد عليهم في استعمالهم ما يحدث الايهام والابهام وقلب المعاني وسوء التعبير ، وما يشعر باساءة النقل والترجمة من اللغات الاعجمية ، ونحن الذين نعني باللغة العربية ونقدها — انا وهو والآخرون — معرضون ابدا للغفلة والزلة والوهم فيما نكتب فضلا عما نتكلم به ، ولكن في مسطورات الكتاب من الغلط ما لا يمكننا السكوت عليه ، وهذا هو الذي حدا الدكتور الهلالي على نشر هذه الفرائد اللغوية ، فمن يتشدد يغاظ الناس عليه ، فهذا المقال الثالث للاستاذ الدكتور ورد فيه — ص 27 — قوله « فتقسموا الجهل الى قسمين » فمن من الفصحاء القدامى من عدى « قسم » ثلاثيا و « قسم » مضمنا بحرف الجر « الى » ؟ انه من تعابير النحاة واشباههم ، وهم على تثبيتهم قواعد النحو — رحمهم الله تعالى — من اكثر العلماء تجوزا وميلا الى ركة التعبير ، فالمألوف في كلام الفصحاء « قسموا الجهل قسمين » بغير حرف جر وأدنى مراتب الصحة « قسموه على قسمين » الا ترى ان صبيان المدارس يقول بعضهم لبعض « قسم عشرين على خمسة » ؟

وهو يقول ايضا في الصفحة — 28 — « وقد ارتقى الكتاب من ذلك الى خطأ آخر » فكيف الانحطاط الى الخطأ الآخر ارتقاءا ؟ . ويقول في الصفحة نفسها « فيقولون كتاب مبسط يعني أنه الف بلغة سهلة غير معقدة » فالام والى من ؟ اسند الفعل « يعني » ؟ فهم كتاب والظاهر ان المراد « يعنون » يقصدون ، ولكن الكاتب لكثرة استعمال « يعني » على هذه الصورة من الاسناد يغفل عن توجيه الاسناد سهوا لا جهلا، فالجملة تكتب احيانا كتابة لا شعورية — كما يقول القوم اليوم — ويقول في الصفحة — 29 — « لا ليدينوا بالاسلام بل ليتمكنوا من الفصاحة » وهذا من تعابير المتكلمين اعني اصحاب علم الكلام ، وهو مقلوب واصله « ليتمكنوا من الفصاحة لا ليدينوا بالاسلام » فلا يجوز تقديم العاطف النافي « لا » قبل ايراد ما يعطف عليه، ولكن هذا من تعابير المتكلمين كما ذكرت وهو من التعابير الشائعة عندهم لا عند الفصحاء .

ويقول في الصفحة — 29 — : « ومن لا يعرف القرآن لا يمكن أن يعرف اللغة العربية معرفة تمكنه من ناصيتها » . اراد « لا يمكنه » وبهذا الحذف جعل موضع الامكان وموقعه مجهولين ، وذلك غير فصيح ولا مليح ، ثم انه شبه اللغة العربية بالعدو الذي يناصي ، قال تعالى : « لنسفعا بالناصية » فالسفع بالناصية والاخذ بها والتمكن منها تدل على العداء والكراهية والقهر والاذلال ، ولا نريدها للغة العربية العزيزة ، فهذه الكناية البغيضة الى محبي العربية وان لم يرد حقيقتها الاستاذ الدكتور الهلالي ، وانما أراد التبحر فيها وبلوغ اطوارها والاعمال بالنيات .

ويقول « ومجلة الضياء ثمانية مجلدات » بتذكير « المجلدة » والمعروف عند الفصحاء القدماء التأنيث ، جاء في بعض الكتب في قول بعضهم « مجلدة حمراء مربعة (1) » وأنثها العماد الاصفهاني الكاتب الشاعر(2) وقال ياقوت الحموي : « وهو مجلدة ضخمة تحتوي على عشرين كراسة (3) » والادلة والشواهد كثيرة الا ان الدكتور الهلالي جارى كتاب العصر في تذكير هذا المسمى ولذلك رجوت منه أن لا يقسو عليهم .

ويقول في مقالته — ص 2 — وسيء الى ادب اللغة العربية بل والى اللغة نفسها » هكذا بالمعاقبة بين حرفي العطف « بل » والواو ، ولا يجوز الجمع بينهما عند الفصحاء كما لا يجوز الجمع بين الواو والفاء، ولكن ناسا من المتأخرين غير الفصحاء استعملوا هذا التركيب ، والاستاذ الدكتور الهلالي — حفظه الله — يدعو الى استعمال الفصيح ، فلا حق له في استعماله.

هنا اقف القلم عاجزا فاني مريض اكاد أكون حرضا او من الهالكين ، وارجو من القراء ان يبسطوا عذري ، في نشر مثل هذا المبحث الذي لا يخلو من جفاف واعتذر الى الاستاذ الدكتور الهلالي من كل ما يرى فيه تقصيرا في مجادلتي اياه فغايتنا واحدة هي خدمة العربية كما ذكرت في صدر المبحث والله تعالى الموفق للانجاح والافلاح .

العراق : قارىء

(1) كتاب اخبار الحلاج « ص 7 » .
(2) خريدة القصر « ج 1 ص 48 قسم العراق »
(3) معجم الادباء : « 2 : 56 طبعة مرغليوث الاولى »



اذكـــر اني تناولت هذا الموضوع بما نشر على صفحات هذه المجلة اواخر سنة 1959 او اوائل سنة 1960 ، وذكرت لذلك شواهد من الشعر الجاهلـي . وها انا اعود الى نفس الموضوع بتناول اشمل وبمعرفة اوسع ، وان كنت فى الواقع لا اجهـل ان التعـرض للمعربات يقتضي من صحبه ، ولا اقـول صاحبـه ، تضلعا فى عشرات اللغات واللهجات القديمة ، ساميها وحاميها على السـواء ، الى جانب التضلع فى تاريخ تلك اللغات واللهجات كذلك . وهذا لا يقـوى عليـه الا الجماعات الممتازة في علمها ، الدائبة فى عملها ، وهـو ما كانت تقوم به ، وما زالت تقوم ، المجامـع اللغـوية في البـلاد العربيـة .

ولهذا فلا ندعي لـما نقوله فى هذه المعربات كلمته النهائية ، وكل ما نقوله اننا عكفنا على هذا الدرس واننا بما لدينا من معلومات ضئيلة او غير ضئيلة استطعنا ، فى قرارة انفسنا ، ان نصل الى هذه النتائـج التـي استرحنا اليها ، ولو الى حين ...

وقبل ان ناتي بمعرباتنا عن الفارسية ، لابـد ان ننبه الى اشياء تعترض الباحث او المهتم بالموضوع :

1 ــ مسالة الاشتقاق نركن اليها ركونا متيقظا واعيا مدركا للظروف والملابسات غيـر متمحـك ولا متعصب ، والا فان الباحث يحيد عن مهمته . مثـلا نجد كلمـة خنجـر ، تتجاذبها العربية والفارسية ؛ فالعربية تعرف الخجر ، فى شدة الاكل والجبن والنتن وصوت الماء والوسع في الاماء والحباب ، وتعـرف الخنجرة والخنجر (بالفتح) والخنجور (بالضم) في غزارة اللبن من الابل ، كما قـال الاصمعـي ، وقال الليث تلميذ الخليل الخنجرة من الحديـد والخنجـر بفتـح اوله وكسره السكيـن .

هذا ما في المادة ، ولا يعرف منها فعل ولا غيره من المشتقات ، كما تنتفي القرابة اللغوية فيما بينهـا ، ولهذا لا نجد لها ذكرا فى معجم مقاييس اللغـة ، لابن فارس مثلا . فهل يعني الليث أن الكلمة عربيـة في اصلها ؟ هذا ما لا يمكن البت فيه ... وتاتي الفارسية ، فتقول ان الكلمة مركبة من خون ، دم ، وكر (بالكـاف الفارسية) للدلالة على محدث الشيء ، فيكون هنـا مسيلا (للدم) فهي من ادوات الفاعلية ، المعروفـة في الصرف الفارسي ، مثل هنكر ، وزركر ، وتوانكـر ، أو اسم آلـة ، فاصلها خنجر (بالجيم الفارسية) . وهو سكين له حدان ، كما يقول شمس الدين سامـي فـي معجمه التركي . وهذا النوع كان معروفا عند الفرس وبه طعن عمر رضي الله عنه ، وهو القائل : المرء مقتول بما قتل به ، ان سيفا فسيف ، وان خنجرا فخنجر . اما كون احدى بنيته توافق بناء الآلة فى العربية ، فلايدل على كونها فى الاصالة منها ، كما لايدل استعمال عمر لها على ذلك . سمعت استاذنا حفظه الله ، سيدي العبـاس بناني ، يقول ان « الكفتة » عربية مستـدلا على ذلك ، بقوله تعالى : « الم نجعل الارض كفاتا احياء واموانا » ، لـما فيها من جمع وضم ، كما هو لهذه الارض الجامعة

للاحياء والاموات ، فزنة كفتة عربية ، فهي فعلة للمفعول ، كالشربة والمضغة واللقمة . وقالت الفارسية أنا صاحبة الكفته ، فهي اسم مفعول من كفتن ، او كوفتن ، والتاريخ يشهد لي باني صاحبة الكوفته او الكفته ، كما اني صاحبة الكباب الذي تسمونه الطباهجة كذلك . وانا صاحبة الطباهجة ايضا . وهل دار بخلد احدنا ، ان كلمة « رصيد » المستعملة في المصارف غير عربية ؟ نعم انها معربة عن الايطالية التي سبقتها بنوكها Residus وسالني استاذي في الانجليزية ، بكلية آداب القاهرة ـ وانا طالب بها ـ المستر Astbury عن معنى كلمة « تطوان » ، فقلت له انها تطاوين ، فيكون معناها بالانجليزية مدينة الشاي Tea town وحاول اللغويون لكلمة التور اشتقاقا عربيا ، مع انها يونانية الاصل . وقال بعض مؤرخي العصر الاسماعيلي ان حرطاني ، اصلها حرثاني ، والتمست لكلمة شريف الانجليزية Sheriff اصلا عربيا مع أنه Scirgerefa في الانجليزية القديمة السكسونية . وربما ياتي زمان يدعي فيه مدع ان كلمة قهرمان عربية ، لما فيها عن الغلبة والقهر ، كما قال الفرس في عدة كلمات حاولوا اخضاعها للغتهم . وقد يقول عربي عن اخلاص او تعصب ان كلمة Gaseosa الاسبانية عربية ، فهي قازوزة ، بمعنى القارورة . مع انها ماخوذة من القاز ، فهي في اصلها من فقه اللغة نفس الكلمة الانجليزية Gaseous التي اشتقت كما اشتق غيرها من اليونانية Chaos . وفهمنا لاول ما سمعنا الحياة (البوهيمية) انها البهيمية . وتعرض معنى (الخلاق) الى معنى (الاخلاق) عندهم . وغير هذه الامثلة التي تفوق المائات ، مما يتعرض للخداع اللغوي المجرد الذي لا نتحمل مسؤوليته ، او الذي يشوبه التعصب او الجهل او التملق . فيجب ان نحتاط من هذا كله وغير هذا كله ، بتلك اليقظة وذلك الوعي المدرك للظروف والملابسات ، زيادة على العلم الراسخ ...

2 ـ قد يقال ان الكلمة معربة من الفارسية ، وتكون هذه غير أصيلة في فارسيتها ، بل يكون اصلها هنديا او يونانيا ، ثم تفرست فيما بعد ، اذن فالعبرة في هذه ان يكون العرب اخذوها وقد تفرست ، يعني اخذوها عن الفارسية فعربوها ، كما حصل في كلمة الديوانة ومثل كلمة القصر ـ في البناء ـ فهي لاتينية ، ثم عربت واخذتها الاسبانية Alcazar التي اخذها عنا الاسبان فالفرس ، فاعتبرت في لغتهم عربية ، مع انها فارسية الاصل . ولعل من هذا كلمة اقليد ، التي تعتبر معربة من كليد الفارسية ، مع أن هذه في أصلها يونانية ، وكلمة ابريز وطاجن وكافور وكيمياء وكورة ، فجميع هذه يونانية الاصل وكلمة سكر وباذنجان الهنديتي الاصل ، وكشكول الآرامية الاصل . وهناك اخرى نتوقف فيها ، مثل رزق التي يقال انها ماخوذة من الفارسية ، روزك ، وهي في الآرامية روزيكا ، بالكاف الفارسية فيهما .

3 ـ في النظر الى كون الكلمة معربة ، لا بد أن نلتمس قرابة المعاني بين الكلمات المعربة وبين اصولها، ان لم يمكن التماس المعاني نفسها في نفس الاصول ، وهذا يبدو واضحا للناس ، وان شذ منهم من يعتمد على اجراس الكلمة ، لاول ما يعتمد ، ومن هذا كلمة طرة الكتاب ، فالطرة في العربية الاولى معروفة بمعنى الهياة الحسنة والجمال وحاشية الشيء عموما ، وقال الليث الطرة طرة الثوب ، وهي شبه علمين يخاطان بجانبي البرد على حاشيته ، وقال الجوهري الطرة كفة الثوب ، وهي جانبه الذي لاهدب له ، والطرة من الشعر ، سميت بذلك لانها مقطوعة من جملته ، لان الطر من معانيه القطع والقص ومنه طر شاربه اي قصه والطرة الناصية ، الى غير ذلك من المعاني المذكورة في معاجم اللغة الاولى . اما الطرة التي نعنيها ، فهي معرب طفره ، واصلها علامة تذيل بها المناشير ، كما في معجم الشيخ رشيد عطية . ولعل استعمال الطرة في المعنى المقصود بطرة الكتاب ، كان من المغاربة ففي اساس البلاغة هذه العبارة « وسمعت المغاربة الدرر على الطرر ، وهي حواشي الكتب » . وهذا الاستعمال وان كان قريبا مما نعنيه الا انه لا يدلنا على انه عربي النشاة ، فكثيرا ما يحتال اصحاب اللغة على ان يقاربوا بين المحدث وبين القديم ، فالسينما ارادوا أن يسموها « سيما » ، والجنرال أراد بعض الاساتيذ الكبار من المصريين او اقترح أن نسميه « الجرار » . ومن المتاخرين من اراد ان يجعل « الاهواز » عربية فهي الاحواز . كما قال السابقون في « آبادان » انها عـ بادان ، نسبة الى عباد ، وخرجوا من ذلك بنتيجة عجيبة ، وهي ان من علامة النسب في العربية الالف والنون ، وبهذا تكون عبادان عبادي . وكان عوامنا يسمون التلغراف طير ابقار (ينطق القاف كافا فارسية) . وسمعت من بعض نسائنا من يقول فلان في المقعد (اي المعهد) . والمناسبة في هذا كله معقولة ، وان جاءت قضاء وقدرا وبدون قصد للتعريب في بعضها . وفي الشرق قالوا لمجفف الشمش المعروف ، قمر الدين ، وفي السودان (ينطقون هذه القاف كافا فارسية كذلك) مع انه

سمي باسم المدينة التي يعمل بها ، وهي امـــردين . وسمى الانجليـز الخضر غيــلان Gay land . ولم يرحب آباؤنـا الطيبون بلفافة التبغ التي سماها لهـم الاسبـــان باســم Cigarro فسموه هم « كارو » (بالكاف الفارسية) ، واستنكفوا من أن يحلوه بهـذه « السيـادة » . كان هذا منهم تلقائيـا وقد عربـوا تعريبهم هم ، كما عرب السابقون « تغره » ، فقالـوا طرة في الكتاب بعد ما كانت طغره في المناشير ، وكانت تمد فيقال لها طراء ، ونسب اليها الطغرائي المعروف . قيل ان ابن ميادة سمع بالكمثرى فقال : مالهم قاتلهم الله ، يقولون الاكم اثرى ؟ ليست والله بـاثـرى ولا كرامة . لانه فهمها اكم ، مرتفعات + اثرى ، من الثراء.

4 ــ لا بد ان يكون المعرب جادا في تعريبـه ، ويشتهر له هذا التعريب ، بأن يستعمله غيره ، اما ان كان هازلا في هذا الاستعمال فلا ، ومثال ذلك ان الشاعر العدوي اراد ان يضحك ، فقال :

انـا العـــربـــي الباك

يريد « بـــاك » ، بالباء الفارسية ، ومعناهـــا الطاهر والخالص ، ومنه الباكستان المعروفة لنا الآن . ذكر الجواليقي عن ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني ان رؤبة بن العجاج والفصحاء ، كالاعشى وغيره ، ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية ، لتستطرف ، ولكـــن لا يستعملـــون المستطرف ولا يصرفونه ، ولا يشتقون منه الافعال ، ولا يرمون بالاصلي ويستعملون المستطرف ، وربما ضحكوا منه ، ونحو هذا «شوكولو» لشاعر عبد الرحمن الناصر ، الـذي اراد Suculo الاسبانية ، كما هو في القصــة التي اوردها المقـــري في كتابـــه النفـــح .

5 ــ لا يعتمد على المعاجم الفارسية ، خصوصا الحديثة منها ، في الحكم على كون الكلمة معربة منها ، ولا ان زنتها كذلك تلك الزنة التي عربت منها العربية ، لان العربية هذه غزت الفارسية غزوا ساحقـا ، فـان الآلاف من الكلمات العربية دخلت الفارسية ، دخـول المنتصر المحتل ، بصفة نهائية ، ومائات اخرى تعربت ثم عادت الى الفارسية ، وقد لبست الملابس العربيـــة وتجلت بحللها القشيبـــة ، فحافظت « على اثوابهـــا الجدد » ولم ترد بها بديلا ، من تلك الاثواب العتيقة . فاستقرت في فارسيتها بطابعها المتعرب ، شأننا انفسنا وقد عدنا الى وطننا فاحتفظنا بملابسنا ، التي ارتديناها، على خلعنا لملابسنا التي درجنا عليها ، وارتضينا الجديد علينا ، فكنا هكذا ، سنة الله في خلقه ، ومنه اللغـــة الكائن الحي ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . ومثله فـــي عاميتنا كلمة خرابي الاسبانية وسيروب الفرنسيـــة وطريفا الاسبانية وطويف الفرنسيـــة وطرنسانة التركية، مع ان الجميع عربي الاصل .

ولهذا فان العائشين الذين يعايشون الفارسيـــة الآن ، ومنهم الفرس انفسهم ، ربما لا يرون فيما يذكر لهم من معربات ما نراه نحن ، او رآه اللغويون قبلنـــا بنحو الف سنة اويزيد ، مما نقـــل عن الخليـــل او سيبويه او الاصمعي والليث والكسائي ثم عن الجاحظ او ابن قتيبة وابي علي الفارسي وابي الفتح بن جني وابي منصور الثعالبـــي وابي بكر بن دريد وابي ابراهيـــم الفارابي وابي منصور الهروي وابي الحسين بن فارس وابي نصر الجوهري ، وجل هؤلاء فـــرس في بيئتهم ولغتهـــم ، وعمـــدة في علمهـــم .

واخيرا ، وكان يجب ان يقدم اولا ، فقد ارادوا ان يفرقوا بين الدخيل والمعرب ، فجعلوا الدخيل مابقي على حاله ، او شبيه من هذه الحال ، وبذلك يكـون ما زال اجنبيا عن العربية ، فهو دخيل فيها ، اما المعرب فقـد اتخذ له حلة العربية ولو بقبوله لاداة التعريف ، والحق غالبا باوزانها المعروفة في العربية وهي اصيلة فيها ، او قدمت قدما مكنها من العروبة . ولهذا نجدهم يلحقون اوزانا طارئة باوزان اخرى ، غير عربية في الاصـــل ، ولكنها قدمت فيها ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نجدها في كتاب سيبويه ، خصوصا فيما ذكـره في « باب مـــا اعرب من الاعجمية » حيث يذكـر ان دينار الحقـــوه بديماس وديباج ، وان رستاق الحقوه بقرطاس ، ثـم نجد ذلك في الخصائص لابن جني ، خصوصا في بـــاب ان ما قيس على كلام العرب فهو من كـلام العرب » . وقد اقترح ــ كما قيل لي ــ على المجمع اللغـــوي ، ان يستبدلوا بكلمة « جمرك » كلمة « ديوانة » مـــع ان الاثنتين غير عربي في أصله ، الا ان الديوانة او الديوان اقدم في العربية من الجمرك واشيع حتى في غير البلاد الناطقة بالضاد . ولعله من الطريف ان نذكر ما ذكـره ابن خلدون ، في مقدمته ، عن استعمال كلمة الديوان ، وتطورها في الفارسية ، ثم انتقالها الى العربية قـــال : « ويقال ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهـــم ، كانهـــم يحادثون ، فقال ديوانه ، اي مجانين ، بلغـة الفرس ، فسمي موضعهم بذلك ، وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان ، ثم نقل هذا الاسم الى كتـــاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات ، وقيل انه اسم للشياطين بالفارسيـــة ، ثم سمـي الكتاب بذلك

لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي والخفي منها ، وجمعهم لما شذ وتفرق ، ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال . . . » الى ان قال : « وأول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر . . . وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان . . . »

والآن ننتقل الى أمثلة المعربات من الفارسية ، مرتبينها على حرف المعجم :

* * *

الآجر ، معرب بالكاف عن الفارسية ، وفيه لغات آجر بالتشديد والتخفيف ، وآجور ، قال سيبويه في الكتاب « القوه بعاقول » ، وله زنات أخرى .

الآزاد ، معرب آزاد ، وهو ضرب من التمر ، وقد جاء عنهم في الشعر :

يغرس فيه الزاد والاعرافا
والنابجي مسدفا اسدافا

قال ابن دريد في الجمهرة ، الزاد يعني الازاد ، (ولا شك في ان آزد فارسي بمعنى الحر في الاصل) .

اشوب ، معرب عن آشوب الفارسية ، قال سيبويه ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زور (بفتح فسكون) وآشوب ، فيقولون زور (بضم الاول) واشوب ، وهو في جمعة الاشائب الاخلاط من الناس ، قال الاخنس بن شريق :

فوارسها من تغلب ابنة وائل
حماة كماة ليس فيهم اشائب

وقال النابغة الذبياني :

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت
كتائب من غسان غير اشائب

وقالوا انه جمع اشابة ، وعلى كل حال فآشوب ، معرب آشوب ، كما نص عليه سيبويه في الكتاب ، ثم الجواليقي في المعرب .

ابريسم ، وهو الحرير ، معرب آبرشيم ، قال ذو الرمة :

كانما اعتمت ذرى الاجبال
بالقز والابريسم الهلهال

ابريق ، معرب عن آبره ، وهو في اصله الفقهي ، اما طريق الماء ، او صب الماء على هينة ، فيكون مركبا من اسم ومادة اصلية من رهيدن او رهادن ـ ره ، قال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

وقيل هو ابريه ، في الاصل .

ابزار ، معرب افزار او اوزار

الأترج ، معرب اترنج او ترنج .

اجاص ، معرب انجاص .

الاخوان ، او الخوان ، بضم أوله وكسره ، معرب خوان ، بفتح اوله مفخما ودون ذكر الواو ، قال الشاعر :

كثير الى جنب الخوان ابتراكه

اخور ، معرب آخور ، وهو مأوى الدواب .

الأرندج ، وهو الجلد الاسود كما قال صاحب القاموس ، او الذي يدبغ بالعفص حتى يسود ، ويقال له اليرندج كذلك ، وهو معرب رنده الفارسي ، قال الاعشى :

عليه ديابوذ تسربل تحته
ارندج اسكاف يخالط عظلما

الاسبذ ، وهو ذكر البراذين ، معرب اسب ، بزيادة الذال ، عربه طرفة ، في قوله يخاطب عبد القيس:

خذوا حذركم اهل المشقر والصفا
عبيد اسبذ والقرض يجزى من القرض

الاسبانخ ، معرب اسفانخ ، وهو بقل يشبه السلق ، يسلق ورقه ويؤكل .

الاسبيداج او اسفيداج ، وهو الرصاص الابيض ، معرب سفيدانك ، وهذا في اصله مركب من سفيد الفارسية ، وآنك العبرانية

الاستاذ ، معرب استاذ ، وهو في اصله الماهر في أي شيء ، ففي كتاب حبب السير ، المؤلف بالفارسية في القرن السابع ، يذكر ماهرا في الرمي بالمنجنيق ، بالوصف (استاد) استادن ـ است ، بمعنى الوقوف والقيام على الشيء

الاستار ، بمعنى الاربعة ، معرب جهار ، قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وامه
وابا الفرزدق شر ما استار

الاستبرق ، معرب استبره ، وهو الديباج الغليظ ، ويقال ان اصله استفوه ، والواقع ان الحروف الثلاثة حلت محل V في الاصل .

الاسطوانة ، معرب استون ، بمعنى الدعامة والقوائم .

الاسكرجة ، بمعنى مقرب الخيل ، معرب سكره، ويقال سكرجق وهو اناء صغير يوكل فيه ، ويوضع فيه الكوامخ ونحوها من المخللات ، وقال انس (ض) « ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق » .

الاسوار ، معرب سوار ، وهو الفارس فى الاصل، واستعمل للرامي ، جمع على اساور واساورة ، قال الشاعر :

ووتر الاساور القياسا
صغدية تنتزع الانفاسا

وقال الآخر :

اقدم اخانهم على الاساورة
ولا تهالنك رجل نادرة

الاسرب ، معرب سرب ، وهو الرصاص والآنك ، كما فى القاموس المحيط .

الاشنان ، وهو الحرض تغسل به الايدي بعد الاكل كغاسول من النبات .

الاشوب (توضع هنا الكلمة السابقة)

الاصبهبذ ، معرب اسبهبذ ، بمعنى قائد العسكر ، ويقال له الصبهبذ ، قال الجواليقي وهو فى الديلم كالامير فى العرب ، قال جرير :

اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم
وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا

الافريز ، معرب افرازز من افروختن افراز ، بمعنى الارتفاع فى أصله.

الالوة ، وهو العود ، معرب لوه

الانجر ، وهو مرساة السفينة ، معرب لنكرة بالكاف الفارسية

الايارج ، معرب أياره ، وهو معجون مسهل يعرف بالدواء الالهي ، كما فى القاموس .

الاندراورد ، سراويل مشمراتبان كما فى القاموس ، قالت ام الدرداء : زارنا سلمان من المدائن الى الشام ماشيا وعليه كساء واندراورد (معرب اندرور ، اي داخلي)

الاهليلج ، وهو ثمر معروف ، كما يقول صاحب القاموس ، معرب اهليله .

الايوان ، بمعنى مشارف الدار ، وهو ايوان الفارسي بمعنى القصر ، ويبدو ان اصله اللغوي كان جمع ايو بمعنى الغرفة فهو الغرف (القصور)

البابونج ، معرب بابونه ، وهي النورة المعروفة بصفرتها المكللة بالبياض .

الباج ، معرب با ، قالوا ان من تكلم به عثمان بن عفان ، ومعنى الباج النوع ، وباها اي الوان الاطعمة .

البادزهر ، مركبا من باد ، ضد ، وزهر ، سم ، وهو اسم لحجر الدجالين .

الباذق ، معرب باده ، وهو نوع من الاشربة والخمور .

البارة ، بمعنى القصعة ، معرب باره ، بالباء الفارسية .

البارجاه ، وهو موضع الاذن عن السلطان ، وقد تكلم به الحجاج ، فقال لجد الاصمعي علي بن اصمع : قد سميتك سعيدا ووليتك البارجاه ، اي جعلتك بواب السلطان ، وهو معرب باركاه ، بالكاف الفارسية بمعنى قصر الملك .

البارياء ، وهي الحصير المنسوج ، معرب بوريا ، وهي البارية والبورية والبارى والبورى ، قال الحجاج : كالخص اذ جلله البارى

الباز ، بمعنى الصقر ، معرب باز .

الباشق ، معرب باشه ، وهو طائر اصغر من العقاب .

الباطية ، وهو اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل، وهو الناجود ، كما فى الصحاح ، قال : قربواعد اوباطية فبذا أدركت حاجتيه .

البالة ، وهي الجراب ، معرب باله ، قال ابو ذؤيب :

فاقسم ما ان بالة لطمية
يفوح بباب الفارسيين بابها

البالقاء ، بمعنى الاكارع ، معرب بايهه ، بالباء الفارسية .

البالاني ، معرب بالاني ، بالباء الفارسية ، وهو الحمارة كما فى القاموس .

البخت ، فارسية بمعنى الحظ والجمل كذلك ، حينمـا تضـم ، كما في القاموس ، معرب بخت .

البـد ، بمعنى الصنم ، معـرب بـت .

البـذرقة ، بمعنى الخفارة (في الطريق المخوف) معـرب بـدراه .

البـذج ، وهو ولد الضان ، معرب بجـه بالجيم الفارسية ، قـال الراجـز :

قـد هلكت جارتنـا مـع الهمـج
وان تجـع تاكـل عتودا او بـذج

البربـط ، وهي آلة طرب تشبه صدر البـط ، والكلمة مؤلفة من بر ، صدر ، وبط .

البرسام ، وهو علة الصدر ، فهو فارسي ، مؤلف من بر ، صدر ، وسام ، علة ، كما هي في سرسام .

البـردج ، معرب برده ، وهـو السبي ، قـال العجـاج : كمـا رايت في الملا البردجـا

البـرق ، معـرب بـره ، وهو الحمـل .

البرنـد ، وهو جوهر السيف وماؤه ، معـرب برنـده ، من بريدن ــ بـر ، في اصله من فقه اللغة .

البرنامـج ، مركب من بر + نامـه .

البريـد ، معرب بريد ه د م ، وهـو في اصلـه مستعمل للبغلـة المنقطعة للرباط ، ثم الرسول ، ثم المسافـة المعروفـة الخ .

البـزماورد ، ويدعى الزماورد ، وهو طعام مـن البيض واللحم ، او الرقاق الملفوف باللحم ، او ما يدعى بلقمـة القاضي ، ماخوذ بزم + آورد .

البستـان ، معرب بوستان ، واصله في فقه اللغة بـو + ستان ، اي حوز الرائحة ، من ستانيدن ستان، قـال الاعشـى :

يهب الجلة الجراجر كالبستان تحنو لدردق اطفال

البـط ، معـرب بت ، وهـو معروف ، سواء فيه عند العرب صغار الاوز وكباره ، كما قال ابن جني .

بغـداد ، معرب بـاغ + داد ، او بـغ + دان ، واختلفوا فقالوا ان بغ صنم وداد عطية من دادا ــ ده ، او ان باغ الحديقة ، وفيه لغات ، منها بغدان ، فتكون دان هذه تدل على المكان ، كما هي في شمع دان ، وميدان، قال الشاعر انشده الكسائي :

باليلـة خـرس الدجـاج طويلـة
ببغـدان ما كادت عن الصبح تنجلـي

وانما تعرضنا لهذا العلم وتركنا غيره لمـا فيـه مـن الاشتقـاق .

البـلاس ، معرب بلاس ، بالباء الفارسية ، وهو السمح الذي يجعل فيه الطعام عند اهل مكة ، والكساء من شعر ، قال الراجز لامرأته في المعنى الاول :

الا يكـن شيخـك ذا غـراس
فهـو عظيـم الكيس والبـلاس

البلـور ، معرب بلور بضمتين وتخفيف .

البـم ، وهو احد اوتـار العود او الوتر الغليظ منهـا .

البنجكيـة ، نسبة الى بنـج بالتاء الفارسيـة بمعنى خمسة ، وهو ان يكون خمسة رماه في موضـع يرمون بخمس نشابـات .

البنـد ، وهو العلم الكبير من بندن ، المستعملة قديما في الفارسية ، وحلت محلها بس ــ بند ، يربـط للقائد ويكون مع كل بند عشرة آلاف رجل ، قال الشاعر:

ملبسـة سبـائبـا وبـردا
تحـت ظـلال رايـة وبنـدا

البنـدق ، معـرب فنـده .

البنفسـج ، معرب بنفشـه ، قـال مالك بن الريب التميمـي :

عجبـت لعطـار اتانـا يسومنـا
بجبانـة الديرين دهن البنفسـج

البنيقـة ، معرب بنيكه ، وهي ما يزاد في نحـر القميـص لتوسيعـه .

البهـرج ، معرب نبهره ، وهو الباطل والـذي لا نفع فيه ، كما يدل عليه الاصل الفارسي ، قال العجاج:

وكـان ما اهتض الجحـاف بهرجـا

البهرمـان ، وهو لون احمر ، ونحوه البهـرم ، ويطلق على العصفر ، وهو في الحمرة دون الارجوان ، والزعفران ، معرب ، بهـرام .

البيـدق ، معرب بياده ، بالبـاء الفارسيـة ، بمعنى راجـل ، قـال الفـرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وانت لدرعي بيذق في البياذق

يريد انه ياخذ سلاح الملوك وهو راجل يعدو بين يديه .

البيزار ، معرب بازيار ، الذي يحمل الباز ، والاكار ، مثل البازدار ، قال الكميت :

كأن سوابقها في الغبار
صقور تعارض بيزارها

البيمرستان ، مركب من بيمار ، مريض ، واصل اشتقاقه بي ، بدون + مار ، عقل ، فهو احمق ، واطلق على المريض مطلقا ، وستان للمكان واصله الحوز ، من ستانيدن — ستان ، وقد اختصرت فصارت مارستان، كما فعل في بهرج ، معرب نبهره .

التابل ، معرب تبل ، وهو من ابازير الطعام.

الطابق ، معرب تابه ، مقلاة .

التبان ، معرب تنبان ، وهو السروال القصير.

التجاورة ، معرب تاجور أو تاج بر ، قال عدي بن زيد :

بعد بني تبع تجاورة
قد اطمأنت بها مرازبها

التاختج والتخت ، معرب تخت وتخته ، وهو في الاصل اللوح ثم صار يستعمل للعرش والسرير .

التخريص وهو بنيقة الثوب او الدرع ، معرب تيريز ، كما في القاموس ويقال بالدال ، قال الشاعر :

قوافي امثالا يوسعن جلده
كما زدت في عرض القميص الرخارصا

التباشير ، معرب تباشير ، اي مثل اللبن ، والمراد بها بياض الصبح ، كما في العربية تباشير الصبح

التخم ، واحد تخوم الارض بمعنى حدودها ، قال قيس بن صرمة بن ابي انس الانصاري :

يا بني التخوم لا تظلموها
ان ظلم التخوم ذو عقال

التدرج ، وهو الدارج ، معرب تدور .

الترهات ، فوجدك راه ، بمعنى طريق صغيرة والمراد بها الاباطيل .

التنور ، معرب تورور ، وبين هذا في معجم « اختري كبير » التركي ، بان عين الكلمة ، وهي الواو في الفارسية ابدلت تاء وتقدمت فاءها ، عند تعريبها ، (فهي عفور في الوزن) .

التوت ، معرب تود ، وهو الفرصاد .

التوتياء ، حجر يكتحل به ، معرب توتيا .

التير ، وهو الجذع الذي يوضع في وسط البيت ويلقى عليه ا طراف الخشب ، معرب ، تير.

جادة الطريق : معرب جاده ، وهي العظيمة المفتوحة من الطرق .

الجاموس ، معرب كاوميش ، (كاو : بقرة ، وميش : نعجة) .

الجام ، معرب جام .

الجربان ، معرب كريبان بالكاف الفارسية، وهو جيب الدرع ، قال جرير :

اذا قيل هذا البين راجعت عبرة
لها بجربان البنيقة واكف

الجرداب ، معرب كرداب ، بالكاف الفارسية ، بمعنى دوامة الماء ، كرد + اب .

الجردبان ، معرب كرده بان ، بالكاف الفارسية ، اي حافظ الرغيف ، لانه الذي يضع شماله على شيء يكون على الخوان ، كيلا يتناوله غيره ، انشد الفراء :

اذا ما كنت في قوم شهاوى
فلا تجعل شمالك جردبانا

الجرذق ، معرب كرده بالكاف الفارسية ، للخبز الغليظ .

الجرم ، معرب كرم ، بالكاف الفارسية ، وهو الحر ، ضد البرد .

الجرموق ، وهو الخف الصغير يلبس فوق الخف ، معرب سرموزه .

الجل ، معرب كل ، بالكاف الفارسية ، وهو الورد .

الجلاب ، معرب كلاب ، بالكاف الفارسية كذلك، وهو ماء الورد ، في حديث عائشة « كان اذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء كالجلاب » .

(يتبع)

تطوان : **محمد بن تاويت**

مستقبل اللغة العربية في بلدان المغرب العربي

أو التنمية الاقتصادية

وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها

للأستاذ محمد محي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

هذا الموضوع الذي اخترته لاتحدث فيه ، هذه المرة ، الى قراء مجلة « دعوة الحق » القراء ، واعني به « مستقبل اللغة العربية فى بلدان المغرب العربي الكبير » كان من الامكان ان يعوض بعنوان آخر يؤدي تماما ما نقصد اليه ، هو « التنمية الاقتصادية وعلاقتها بازدهار اللغة وانتشارها » ، وهو بالضبط موضوع البحث الذي سبق لي ان اعددته فى نطاق ندوة وزارة التربية الوطنية التي انعقدت ، كما تعلمون ، بالجزائر العاصمة منذ بضعة شهور . فاحببت أن اشركم فى هذا العمل الذي كان على ما اعتقد ، مفيدا الى حد بعيد ، حيث كانت الغاية منه هي تحديد الخطوات التي ينبغي ان نجتازها قبل ان تصبح اللغة العربية ، لغتنا القومية ، لغة علم ولغة عمل فى آن واحد .

ويظهر ان هذه الغاية المثلى لا يمكن ان تتحقق حتى نتبين فى شيء من الوضوح العقبات التي تقف اليوم حجر عثرة فى وجه انتشار اللغة العربية الفصيحة ، ونعمل قولا وفعلا على ازالتها من الطريق ، مع الاخذ بعين الاعتبار العوامل المختلفة التي كان لها اثر بليغ في هذه اللغة ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ؛ فجعلت منها بطريق مباشرة او غير مباشرة لغة حية طيعة ، تؤدى وظيفتها على احسن وجه مستطاع، لا فى المعاهد التربوية والدواوين الحكومية ، بل كذلك فى المجتمعات العربية الاسلامية على اختلاف طبقاتها وتقدمها فى العلم والمعرفة

فالمسألة اذن تكمن فى البحث عن الوسائل التي تعيد للغة العربية جدتها ونضارتها وتبوئها فى المجتمع مقعدا لائقا كعنصر اساسي فى حياتنا القومية باعتبارنا مغاربة مسلمين . ومن هنا يتبين لنا ان الموضوع الذي نحن بصدده ليس بالسهل ولا باليسير ، نظرا لما له من جوانب متعددة تقتضي من الباحث ان يكون ضاربا بسهم وافر فى فقه اللغة وتاريخ نشأة اللغات وتطورها بصفة عامة كما يتطلب منه ذلك ان يكون ملما بعلم الاجتماع والشؤون الاقتصادية على السواء ؛ وبما ان محدثكم هذا بعيد عن ان يحظى بهذه المنزلة الرفيعة من العلم والمعرفة ، فانه سيقتصر على ان يقدم لكم جملة من الملاحظات فى موضوع هذا البحث ، وهي ملاحظات لا تعدو ان تكون نتيجة تجارب واستنتاجات شخصية ، لرجل سبق له ان زاول مهنة التدريس مدة من الزمن قبل ان تناط به مهام ادارية اخرى فى ميدان التربية والتعليم دونها جهود ومشاكل متعددة .

وتمهيدا لما فى نيتي ان اقوله فى هذا البحث الذي يرجع جملة الى مستقبل اللغة العربية فى بلاد المغرب العربي ، ارتأيت ان اتحدث لكم قبل كل شيء عن الوضع اللغوي فى هذه البلاد مع مناقشة هذا الوضع على ضوء ما نتحسسه من تيارات فكرية واختيارات لغوية يعتقد المتمسكون بها ـ هنا وهناك ـ انها كفيلة بحل هذا المشكل اللغوي العويص ؛ ثم سأتطرق بعد ذلك الى ذكر الاسباب التي تدعو الى ضرورة الاعتماد على اللغة العربية وحدها فى الادارة والمؤسسات التعليمية على اختلاف درجاتها ، وتشير ايضا باستخدام العربية في محاربة الامية وتعليم الكبار .

واستقصاء لهذا البحث ، سأجدني مضطرا الى اثارة فكرة عزيزة علي ، هي التي تقول بان تطور البلاد من الوجهة الاقتصادية والصناعية يؤدي بالضرورة الى خلق عقلية صناعية هي التي تعمل عادة على تطوير اللغة ، بعد تطعيمها بما تحتاج اليه من مصطلحات علمية وتراكيب فنية تجعلها قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ثم اختتم حديثي هذا بالكلام عن الوسائل الفنية المختلفة التي من شأنها ان تعين اللغة العربية على القيام بوظيفتها خير قيام كأداة عمل في مجتمع متطور صاعد ، شأنها في ذلك شأن اللغات الاجنبية الاخرى .

* * *

اذا عدنا الى الواقع اللغوي الذي نعيشه اليوم ، بعد ما سلخت بلاد المغرب العربي الكبير ، عدة اعوام من حياتها في الاستقلال ، نلاحظ ان كل بلد من هذه البلدان يتحمل بصفة عامة اعباء لغات ثلاث :

اولا : اللغة العربية الفصحى التي تستخدمها في حياتنا الدينية واليومية ، كما نستعملها اداة لتبليغ بعض المواد الدراسية كالفقه والتوحيد والجغرافية والتاريخ ، ولكنها ليست في الوقت الحاضر من المرونة والغنى بحيث نستطيع الاعتماد عليها في تلقين المواد العلمية والتكنولوجية على الخصوص ؛ ولعل هذا هو السبب الذي جعل شبابنا يرمونها بالعقم ، ويرون انها ليست قادرة على مسايرة الحضارة العصرية ، ومما لا شك فيه ان الامة الراقية لا تكون لغتها راقية في ناحية دون ناحية ، لا تكون لغتها راقية جزئية كأن تكون — وهو الواقع الذي نحياه في مدارسنا ومعاهدنا بالمغرب العربي — لغة الادب والشعر والدين ، ولا تكون لغة باقي العلوم ؛ وقد عبر عن هذه الحقيقة بكل دقة وضبط الاستاذ كمال الحاج ، احد علماء اللغة العربية الكبار في هذا العصر ، فقال : « اللغة التي لا تعبر الا عن بعض احوال الامة كأن تكون لغة القلب ، ولا تكون لغة العقل هي لغة عوراء تظل عرضة للزوال » . ومن ثم نفهم لماذا كانت الشعوب الحاكمة تسارع دائما الى فرض لغتها على الشعوب المحكومة ، ولا تسمح لها بتدريس المواد العلمية خاصة بلغتها الاصلية ، لانها وسيلة لبعث الشعور فيها ، والتحقق بوجودها في الحياة ، الا ان يكون ذلك بواسطة لغة الحاكم ؛ وتلك طريقة ترمي بوضوح الى اضعاف روح الامة والقضاء على عفافها القومي ، لذلك نرى الشعب الكامل — ولنا اسوة حسنة في الامم المستعمرة — يحرص على الا تمارس طبقاته عدة لغات مختلفة .

ثانيا : ونجد بازاء هذه اللغة الفصيحة ، على سوء حظها ، لهجة تدعى باللغة العامية ؛ والمعروف ان العامية تولدت عن اللغة الفصيحة ، وواكبتها منذ ان انتقلت اللغة الفصحى مع العرب الفاتحين الى اقطار اخرى حيث استقرت تبعا لاستيلاء الفاتحين عليها ؛ وبهذا المعنى يتضح لنا ان اللغة العامية نتيجة اتصال العرب بغيرهم من الاقوام ، والاتصال حاصل بالطبع في كل عصر ؛ واللهجة العامية دليل على ان الناس ، عند ما لا يستطيعون تحمل ضوابط نحوية ثقيلة كالتي حملتها الينا اللغة الفصيحة يتحررون منها نسبيا ؛ ومن ثم تنشأ اللغة العامية التي يعتمدون عليها كلغة تخاطب ومعاملات . وليس من عار من ان توجد لغة عربية عامية بازاء لغة عربية فصيحة ما دام الاتصال حاصلا ، على كل حال ، بين اللغات في كل عصر ، وما دمنا نعلم ان العملية التي تتولد بمقتضاها هذه العامية عن الفصحى ترجع في الواقع الى ثنائية العقل والحس الذي يتميز به الانسان ، او الى قدرة هذا الاخير على التجريد ، بعدما يتمكن من الاخذ باسباب الحضارة والتقدم ؛ تلك الثنائية بين الحس والعقل هي التي يتحدث عنها الفيلسوف اللغوي كمال الحاج بقوله ، في مكان ازدواجية اللغة ، فيقول : « الثنائية بين العقل والحس ، نقصد بين الوجدان المنطقي والوجدان العاطفي ، هي عينها التي نجدها في اللغة بين العامية والفصحى . ثم ان الازدواجية في اللغة ليست وقفا على العربية وحدها ، اذ في كل لغة لسان عامي ولسان فصيح ، بل الازدواجية دليل من دلائل التحضر الانساني ، والهمج وحدهم لا يزاولون الازدواجية في لغتهم ؛ ذلك ان الشعب الذي تكون له نظرات ما ورائية ودواوين علمية يفرض على لغته المكتوبة (المنطقية) المتفجرة عن العقل ان تختلف عن لغته المحكية (الذاتية) النابضة من القلب . والشعوب الضاربة في المدنية تسمو بالتجريد ، وهذا يتطلب ... سعة شق بين العقل والحس ؛ هذه الشعوب لا تكتب كما تحكي ولا تحكي كما تكتب .

ونظرا لانتشار اللغة العامية وسهولتها بالنسبة للعامية ، فانه يبدو لبعضهم ان اللغة الفصحى مرادفة للتعقد ، اذا قورنت باللغة العامية المتداولة بين الناس ؛ ومن ثم يتقدمون باقتراح غريب غايته التخلص من الفصحى رجاء تيسير اللغة العربية ؛ ولم يعلموا — سامحهم الله — انهم لو نبذوا اللغة الفصحى او استبدلوها بالعامية لنشأت عامية جديدة تختلف عن العامية الاولى التي تبوأت مقعد الفصحى . فهم اذن يخلطون ما بين الحذف والتيسير ، لذلك لا يمكن لارائهم الباطلة ان تسترعي انتباهنا .

ثالثا : وهناك اللغة الفرنسية التي لا تزال حية ترزق ، في ثلاثة اقطار من بلدان المغرب العربي على الاقل ؛ ذلك ان طائفة كبرى من المواطنين يتحدثون بها ، اما لضعفهم في اللغة الام او لتفضيلهم اياها على لغتهم الاصلية ، لانهم درجوا عليها منذ الصغر ، او هم يلجاون اليها لانها تتوفر على المصطلحات التي تمكنهم من التعبير عما تطفح به قلوبهم من خواطر واحاسيس ؛ ولا غرابة في ذلك ، فقد تمكن الفرنسيون من احلالها مكانا مرموقا في بلادنا ، وفي كثير من البلاد الافريقية الاخرى ، محاولين طمس معالم اللغة العربية من هذه البلاد خاصة ، حتى اصبحت الفرنسية لغة التفاهم ولغة الشؤون العامة ولغة الادارة ولغة الحضارة بوجه عام ، مما يعلل حنين طائفة من ابناء هذا الوطن العربي الى تلك اللغة التي لا نجد فيها عيبا سوى ان اهلها كانوا يعملون ، ما وسعهم العمل، لتركيزها مكان لغتنا الاصلية؛ فضعفت العربية تبعا لذلك بانكماشها على نفسها ، وراحت تعيش على هامش الحياة اليومية ، لاتستفيد الا بقدر قليل مما تحمله الحياة العصرية في طيها من مفاهيم وتجره معها من مصطلحات تستعمل للتعبير بدقة عن تلك المفاهيم . والى هذا الصراع اقضى على ارض بلادنا تلاقي اللغة الاجنبية بلغتنا العربية ؛ فكانت معركة المصير ، مصير لغة اصيلة ، استطاعت ان تقف في وجه اللسان الدخيل ، فكتب لها البقاء ، وذلك ما عبر عنه احد الفلاسفة بقوله : « عند ما تتلاقى لغتان تحت سقف واحد ، اي على لسان شعب واحد ، لا يبقى هذا التلاقي باردا ، بل تلتحم اللغتان في معركة حامية الوطيس . وماذا يحصل بعد ذلك ؟ تطغى لغة المستعمر على لغة المستعمر حتى اذا اشتد وعي الامة المستعمرة وانتفضت في سبيل حريتها ، عادت لغة المستعمر القومية الى سالف مجدها وطردت لغة المستعمر ، والا كانت الغلبة لهذه ، ولا يطول التساوي بين اللغتين الا في الشعوب الصغيرة ؛ ان امة قوية الساعد لا ترضى الا لغة ام لها . » ومن هنا يظهر خطا اولئك الذين يريدون الاعتماد ، مرة اخرى على اللغة الاجنبية لتسيير معاهدنا الدراسيةفي انتظار ان تستقيم اللغة العربية على قدميها ، وتصبح من الغنى في المفردات والمصطلحات العلمية ، ما يجعلها قادرة على استيعاب المفاهيم التي حملتها الينا الحضارة العصرية ؛ ولم يتفطنوا الى انه عند ما تتم الغلبة للغة الشعب الذي كان مستعمرا ، فان لغة المستعمر تضعف شيئا فشيئا وبتقلص ظلها ، بتقلص الجاليات التي كانت تتكلم لغة الحاكمين ؛ لو فرضنا انه في الامكان اقرار اللغة الفرنسية من جديد لغة للتخاطب والتدريس وما تتطلبه الحياة العامة من حركة ونشاط ، لاضطررنا الى احداث محيط اجنبي ، المفروض في اعضائه ان يتكلموا تلك اللغة ، وذلك المحيط او ما يسميه بعضهم بالمناخ اللغوي،هو الذي يدعم عادة اللغة السائدة ويعمل على نشرها وازدهارها؛ اذن لو سلمنا جدلا بذلك لكنا — معاذ الله — كالذي يسمى في فرنسة اجيال هذا المغرب العربي مرة اخرى فرنسة لا تتم الا باستقدام جاليات اجنبية لمدة يعلم الله مداها ومنتهاها .

اما الازدواجية التي يفكر فيها بعضهم ، كحل وسط لمعالجة مشاكلنا اللغوية ، فقد تصح بالنسبة لشعب صغير او ضعيف وفي نطاق محدود كما وقع ذلك بالنسبة الينا في عهود الاستعمار الماضية . يضاف الى ذلك « ان الابحاث النفسية واللغوية دلت كلها على ان الولد الذي يزاول اكثر من لغته القومية ، وهو دون العاشرة ، تضعف طاقته الاستيعابية ؛ فتتفرفط قواه ، ولا يعود قادرا على حصرها . ذلك انه يتارجح بين لغتين ؛ ولغة الام كما اسلفنا لا تقبل ضرة تحت سقف بيتها — واحدة يتكلمها بصورة تلقائية ، وواحدة يتكلمها بجهد في اللسان والفكر مما يضيع عليه وقتا كبيرا ، ويجعله يتذبذب بينهما ... وهكذا يتوزع الولد بين امتين ، بين تاريخين ، بين عبقريتين . اذ لكل لسان عبقرية خاصة . »

يستنتج مما تقدم انه اذا كنا نريد لشعوبنا الالتحاق بركب الدول المتقدمة ماديا ، والاسهام بنصيبها هي الاخرى في عملية الخلق والابتكار ، فلابد من ان نقر اللغة العربية الفصيحة كأداة ثقافة وادب وعمل ، في المدرسة والادارة والمجتمع؛ ذلك ان اللغة تنمو بالممارسة والاستعمال ، واللغويون يعلمون حق العلم « ان اللغة بنت الالزام ، لا تتطور الا بتطويرنا اياها ، فاذا كنا لا نزج بانفسنا في مثل هذه الحاجة ، كي نشعر بضرورة البحث عن الكلمات لا نرى كيف نستطيع ان نزود اللغة العربية بمصطلحات نحن بامس الحاجة اليها . على ان المصطلحات العلمية لا تكون وحدها بنيان اللغة العربية ؛ هي جزء بسيط من هيكلها الضخم ، ومن هنا ياتي خطا اولئك الذين يقولون بوجوب استخدام اللغة الفرنسية في التعليم والادارة ما دامت لغتنا فقيرة الى تلك المصطلحات ؛ فالذي يغني اللغة بصورة عامة ، ليست هي المصطلحات وحدها بل المفاهيم الحضارية التي وضعت من اجلها تلك المصطلحات ، وهي مفاهيم لا تنشا وتتفرع الا عن مجتمع يعج بالحياة النشيطة الخلاقة . فالمفروض في الذين يعملون داخل هذا المجتمع الحي انهم يكتسبون بحكم النشاط الذي يزاولونه ، وعن

طريق اللغة التي يتكلمونها طبعا ، جملة من الافكار والمفاهيم المتصلة باعمالهم مهما كانت تلك الاعمال متنوعة معقدة ، والافكار ، كما تعلمون ، تضيق دائما بوعاء العقل الذي يحملها ، فلابد ان تتنفس ، وهكذا تخلق اللغة المعبرة عما يكمن فى النفوس ، بما يقتضيه ذلك المجتمع المتقدم من دقة فى التعبير ووضوح فى التفكير .

وكذلك نستطيع ان نستخلص من تاريخ الامم والشعوب ان هذا التطور ، اعني تطور اللغة ونموها ، مرتبط الى حد بعيد بتقدم هذا البلد او ذاك من الناحية الاقتصادية والصناعية بمعناها الضيق المحدود او الشامل ، واقبال الشعوب على المساهمة مساهمة فعالة فى مختلف الاعمال العمرانية التي تعتبر سببا رئيسيا فى تقدم تلك البلاد ، تقدما بواها ، فيما بعد ، مكانا مرموقا فى ميدان التصنيع والتكنيك .

* * *

لكن قبل ان اتعرض فى شيء من الاسهاب للحديث عن العوامل الاقتصادية والنفسية التي اومأت اليها آنفا ، والتي كانت بالفعل سببا فى تطوير اللغات عموما واللغة العربية بوجه خاص ، ايام ازدهار الحضارة الاسلامية ، يجب ان اثبت فى هذا المكان ان قضية استعمال اللغة العربية فى الادارة والمعاهد التعليمية على اختلاف مستوياتها ، وتسخيرها كاداة للتخاطب فى المجتمع المغربي من اقصاه الى اقصاه ، لا يتطلب اكثر من الايمان بمستقبل هذه اللغة ، كما انه لا يقتضي اكثر من اتخاذ طائفة من التدابير الادارية والفنية التي قد تعيد الى العربية اعتبارها ، وتمكن الشعوب المغربية على الاقل من ان تتعرب عقليا .

وغني عن البيان ان الوسائل متوفرة لتعريب الادارة ، فذلك لا يتطلب اكثر من استعمال جملة من المصطلحات ، وتوجد كلها فى المعاجم والموسوعات المتعددة التي تتوفر عليها المكاتب والادارات ، فان كان هناك من الموظفين والمستخدمين من لا يحسن استعمال اللغة العربية، فما عليه الا ان يشمر عن ساق الجد، ويعمل على اكتساب ذلك الحد الادنى من المفردات والقواعد الذي يمكنه من الاعتماد على اللغة العربية شيئا فشيئا ، اثناء القيام بعمله اليومي . ولقد عرف العرب الفاتحون ، بعد اختلاطهم بالحضارة اليونانية والفارسية ، كيف يمدون لغتهم ، عن طريق الاقتباس والتعريب ، بما تحتاج اليه من كلمات واسماء لمسميات كانت جديدة بالنسبة اليهم ؛ فاخذوا عن حضارة اليونان ، وهي حضارة جبارة كثيرا من المفردات ، فقالوا على سبيل المثال : الاناليطيقا (التحليل Analytique) والدياليقطيقي (الجدل Dialectique) ، والطوبيقي (الموضوع Topique) ، والسوفيسطيقي (المغالطة Sophisme) ، وارتماطيقي (الحساب Arithmétique) وارمانوطيقا (التناغم Harmonie) ، والميتافيزيقيا (ما بعد الطبيعة Métaphysique) الى غير ذلك من الالفاظ والكلمات التي مكنتهم من استيعاب حضارة لا قبل لهم بها ، واستثمارها كأحسن ما يكون الاستثمار وليس غريبا ان يقتبس العرب من غيرهم ، بل الغريب ان نظل مكتوفي الايدي امام لغة أجنبية كالفرنسية والاسبانية والايطالية ، من الممكن ان نستفيد منها عن الطريقة التي سنها لنا العرب منذ عدة قرون ؛ وهؤلاء الاوربيون انفسهم الذين بهرتنا حضارتهم الم يقدموا منذ احتكاكهم بحضارة العرب على الاخذ بما كان ينقصهم من تراكيب ومفردات ؟ بلى ، لقد عرفوا هم الاخرين كيف يشتقون من العربية كلمات والفاظا دخلت فى صلب اللغة الفرنسية بلا استئذان ، اذكر منها على سبيل الاشارة فحسب كلمة Algèbre (من الجبر) و Abricot (من البرقوق) و Alcool (من الكحول) و Amiral (امير البحر) و Arsenal (دار الصناعة) و Charabia (من عربية) و Carafe (من غراف) و Camphre (من كافور) و Divan (من ديوان) و Zéro (من صفر) و Chiffon (من شف) و Girafe من زرافة) و Jupe (من جبة) و Mascarade (من مسخرة) و Macabre (من مقابر) و Minaret و Mesquin و Mosquée و Récif و Sucre وغيرها يدلك على ما للحضارة العربية من اثر عميق فى الثقافات الاوربية .

يستخلص من هذا كله ان اولئك العرب الفاتحين الذين لم يحملوا معهم بعد مغادرتهم لجزيرة فقيرة محدودة المواد ، سوى ايمانهم بالله واعتمادهم اللغة العربية فى كل ما يرتبط بحياتهم الخاصة والعامة قدموا لنا مثلا حيا فى ان التشرب والتلاقح والتزاوج ، وبكلمة واحدة اعطونا الدليل على ان الاخذ والعطاء قانون يسري فى جميع الاحوال بين اللغات . فلم لا نتكل على الله ، والحالة ما ذكر ، فنقرر ان العربية ستصبح ابتداء من هذا التاريخ اداة للعمل فى سائر مرافق الادارة المغربية ؟ الا ان قرارا كهذا مع ما فيه من قدرة على تحويل لمعنوية شعوبنا ، وحملها على الايمان بصلاحية اللغة العربية لا يكفي لتصحيح الاوضاع اللغوية فى هذه

البلاد حتى تجعل من العربية لغة التعليم في جميع مراحله . اجل ، ان الوضع الطبيعي للتعليم في كل مكان هو ان لا يكون الا بلغة الامة ، اذ في ذلك تركيز لاستقلالها وتجسيم لشخصيتها بحيث هو الذي يجعلها محررة من كل تبعية للغير؛ يضاف الى ذلك ان تعريب التعليم العالي قبل غيره بمواده الادبية والعلمية والتكنولوجية على الخصوص واجب ؛ وضروري ان يسبق تعريب التعليم الثانوي والابتدائي . التعريب في بلادنا لكي لا تتعرض معاهدنا الى نوع من التدهور والاضطراب يجب ان يشرع فيه من اعلى وينحدر بالتدرج حسب مخطط واضح الى اسفل؛ فان اضطررنا الى تدريس المواد العلمية والتقنية بالفرنسية او بأية لغة اجنبية اخرى ، وجب الا يتعدى هذا النظام مدة محدودة من الزمن ، واثناء ذلك يمهد لتدريس تلك المواد بالعربية ، وكلما تخرج فوج من طلبة التعليم العالي طولبوا بتبليغ ما اكتسبوه من علوم عن طريق اللغة الاجنبية بواسطة العربية اثناء ممارستهم لعملية التدريس في المعاهد الثانوية ؛ وهكذا يكون تعريب التعليم الثانوي تصاعديا لصعوبة المواد ، فنبدا مثلا بتعريب الفلسفة والتاريخ والجغرافية ، ثم ننتقل الى تعريب العلوم الطبيعية ومنها الى الكيمياء ، والفيزياء والرياضيات وهي آخر المطاف . وهكذا لا يمضي وقت طويل حتى تتعرب المدارس الثانوية ؛ حسب مخطط عمودي بالنسبة لمواد الدراسة ؛ وبما ان المدارس الثانوية تعتبر بالنسبة للبلاد النامية كلها مصدرا للاطر المتوسطة عموما ولمعلمي المدارس الابتدائية على الخصوص، فمن الجائز ان نقول ، والحالة هذه ، ان كل متخرج منها برسم التدريس يكون بحكم تكوينه العربي قادرا على تبليغ المواد المقررة في المرحلة الابتدائية بلغة عربية صحيحة ، وبالتالي يمكن القول كذلك ان كل تلميذ استطاع الانتقال الى مدرسة ثانوية يمكن اعتباره تلميذا معربا في طريق اتمام دراسته الثانوية والعالية . وهكذا ستتم حلقة التعريب بصورة لا يتسرب اليها شك او ارتياب فيما يرجع للمستوى الذي يتعين المحافظة عليه بكل وسيلة ممكنة .

وكما ان التعليم لازم بالنسبة للصغار والاحداث لانه ينمي فيهم المهارات ويزودهم بالاسلحة الضرورية التي تمكنهم من ان يصنعوا حياتهم ؛ فكذلك الامر بالنسبة للكبار ؛ وقد يكون هؤلاء من القدرة على الانتاج بحيث يخيل اليهم انهم في غنى عن التعلم ؛ لكن الخبرة تفيدنا ان الامي يكتسب دائما بعض المهارة في العمل عن طريق التعلم حتى لو لم يكن على جانب كبير من الذكاء والبصر بالامور . ولذلك عدت محاربة الامية عملية ضرورية بالنسبة للشعوب المتخلفة ؛ فهي لا تتوقر على الكبار فقط تنمية ثقافتهم الخاصة بل تعمل على رفع مستواهم المعاشي وتعطي معنى في اعينهم للحياة . يضاف الى ذلك ان تركيز شبكة متعددة الحلقات لتعليم الكبار في كل من بلدان المغرب العربي معناه ايضا ارساء محيط عربي اللغة والمزاج ـ وهو ما سميناه بالمناخ اللغوي ـ من شانه ان ينزل اللغة الى الشارع ؛ ويعين على نشر العربية في كل جهة من الجهات .

* * *

يقول بعض اللغويين ان اللغة رهينة بالاوضاع السياسية ، فمتى كانت الامة عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وآدابها ؛ فالمشكلة الاولى ، في نظرهم ، هي مشكلة سياسية ؛ ويضرب على ذلك مثلا بان اللغة العربية انتصرت على اللغة الفارسية لان الله كتب الغلبة للمسلمين ، بعدما خضعت الدولة الفارسية لسلطتهم ؛ وهذه نظرية لا تعبر ، في الواقع ، الا عن جانب من الحقيقة ؛ اذ لو كان الامر كذلك ، بمعنى ان السياسة هي كل شيء فيما يخص انتشار اللغة وازدهارها لاستطاعت حكومات المغرب العربي اليوم ان تركز لغتها في كل مكان ، بعدما اجلت عن اراضيها الحاكمين الاجانب ؛ ولكن القضية ليست سياسية ، بل لها علاقة وثيقة بالنمو الاقتصادي ، وتقدم المجتمع الذي يعتمد هذه اللغة او تلك في حياته اليومية ؛ ويرى بعض المتخصصين في علمي الاجتماع والاقتصاد ان التطور الاقتصادي في بلد ما ، له علاقة مباشرة بالتطور الاجتماعي والفكري في ذلك البلد ؛ فهناك نمو وتقدم من الوجهة الاقتصادية والمادية كلما ازدهرت الحياة الفكرية ، كما يلاحظ ايضا ان تقدم الجماعات من الناحية الفكرية والعقلية في احدى الجهات ، تعبير في الواقع عن تطور ملحوظ في احوالها من الوجهة الاقتصادية والعمرانية .

والذين يعودون الى التاريخ ، يلتمسون منه الاسباب التي دعت الى انتشار اللغة العربية ، في الاقطار التي بسط المسلمون عليها نفوذهم ، يلاحظون ان هذا الانتشار كان دائما متمشيا جنبا الى جنب مع التطور الاقتصادي في تلك البلاد ، بحيث كلما ازدهرت الحياة الاقتصادية فيها ، واكبها ايضا تقدم ثقافي وبالعكس ، وترتب عن ذلك زيادة في الدخل الفردي بالنسبة للسكان عموما . لنا دليل على ذلك في التقدم الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بلاد المغرب العربي خلال القرون الوسطى وقبلها، نظرا لما كان يوجد بها من ضروب الحرف والمهن ، كالنجارة والحياكة والخياطة

والبناء والوراقة والتوليد والغناء والطب الى ما هنالك من الصنائع ، التي عرفناها عند ابن خلدون بصنائع بسيطة وصنائع مركبة ؛ وكان الناس في دائرة تلك الحياة البسيطة يعبرون عن مدركاتهم المحدودة بكلمات واسماء دقيقة واضحة ؛ وليس من شك في ان ازدهار الصناعات المحلية في ذلك العصر كما نتصورها من بعيد ، في مدينة القيروان وتلمسان وفاس مثلا كان يواكبه ازدهار مماثل في الثقافة بالنسبة لافراد المجتمع بوجه عام ؛ فلما تدهورت الحالة الاقتصادية في تلك المدن على الخصوص لاسباب لا سبيل الى ذكرها في هذا المقام لحق الحياة الفكرية نوع التحجر والركود .

هذا ويلاحظ من جهة اخرى ان الدول التي سبقتنا بمراحل في طريق النمو والازدهار الاقتصادي ، كروسيا والولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وفرنسا تتمتع هي ايضا بازدهار في حياتها الاجتماعية والفكرية ؛ والذي يدعو الى الانتباه هو ان اثر هذا التطور لم ينحصر في الحياة المادية بالنسبة لتلك الدول ، بل انتقل مفعوله الى اللغات التي تتحدث بها ؛ فاصبحت لكل دولة من هذه الدول لغة طيعة مرنة استطاعت ان تستوعب مفاهيم الحضارة العصرية بدون عناء ؛ فكان اللغة — والحالة هذه — ثمرة بيولوجية لما يجري عادة في سائر المجتمعات التي طرات على حياتها تحولات عميقة كانت في الواقع قاعدة لانطلاق تلك المجتمعات في طريق التقدم والرقي ، لا فرق في ذلك بين تقدمها في الوجهة المادية او الفكرية ؛ ومعنى ذلك ان هذا التطور المادي او الاقتصادي ، يتمشى مع التطور الفكري واللغوي جنبا الى جنب ، بمعنى ان اللغة — وهي وعاء كل حركة فكرية بالطبع — تكون متقدمة راقية متى ما كان المجتمع الذي ينتسب اليها راقيا متقدما ، والحياة الاقتصادية في نمو مستمر بالنسبة لذلك المجتمع ، كما انها تكون متاخرة فقيرة كلما تقهقر الوسط الاجتماعي الذي هو مبعث تلك اللغة ، او كان مجتمعا فقيرا محدود المواد بصفة عامة .

واذا كان الامر كذلك فيتعين على المسؤولين في البلاد النامية عموما ، وفي بلاد المغرب العربي على الخصوص ، ان يعطوا الاسبقية لكل ما من شانه ان يشجع على تحقيق نهضة اقتصادية ، تدفع بعجلة التطور في هذه البلاد الى الامام ؛ وذلك بتركيز وحدات صناعية في كل مكان ، لان الصناعة من شانها ان تدر على صاحبها ربحا يفوق ما يستخلصه الفلاح عادة من مزاولة زراعة الارض ؛ وهناك فائدة اخرى تجنيها البلاد من ازدهار الصناعات فيها ، هي ازدياد دخل المشتغلين بها ، وفي ذلك نمو اجتماعي شامل بالنسبة للافراد والجماعات ، فضلا عن ان توفر الارباح المتولدة عن تصنيع البلاد يعتبر في آخر الامر ، وسيلة في يد الحكومات تتمكن بها من الحصول على الآلات العصرية الضرورية لتطوير الفلاحة نفسها ، تطويرا يزداد معه دخل الفلاحين انفسهم ؛ وفي ذلك كله تقدم محسوس من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

ولعل هذا ما حمل الاستاذ كاهان (Cahen) في حديث له عن الاسباب التي اخرت المجتمع الاسلامي على القول : ان التطور الاقتصادي بالنسبة للجماعات شيء ضروري لا بد منه ، اذا كنا نسعى حقيقة الى نشر الثقافة في المجتمع كنتيجة طبيعية حتمية ؛ ومن ثم ينتقل الاستاذ كاهان الى الكلام عن آفة اجتماعية اصيب بها المسلمون ، فكانت من اكبر العوائق التي حالت دون تقدم البلاد الاسلامية وتطورها مع الزمان ، تلك هي انقسام المجتمع الاسلامي الى طبقتين : طبقة الاغنياء الذين بيدهم كل شيء ، وطبقة الفقراء التي تعاني ما تعاني من الفقر والحرمان ؛ ويعتقد الاستاذ كاهان ان نظاما كهذا سائر لا محالة الى الفشل ، لانه يحرم المجتمع المتخلف من مشاركة طائفة كبرى من المواطنين في عملية التنمية الاقتصادية التي يجب ان تبقى هدفنا الاسمى ؛ هذا النظام لا يساعد على ارتفاع الدخل القومي ، كما انه يؤدي بالطبع الى تعطيل الحركة الفكرية بصفة عامة في البلاد ؛ لهذا يرى السيد كاهان ورفقاؤه ممن كان لهم نصيب في بحث هذا الموضوع ان تركيز نظام ديمقراطي في البلاد المتخلفة يحمل في طيه بذور النمو والتقدم الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء .

هذا ويرى بعضهم بناء على الملاحظات السابقة ان تركيز الصناعات في البلاد العربية والبلاد المتخلفة بوجه عام لا يساعد فقط على بعث نهضة اقتصادية فيها تكون بمثابة نقطة انطلاق وتحرر من كل تبعية ، بل هي في نفس الوقت خير وسيلة لتنمية لغة الوطن ، واغنائها بما هي في حاجة اليه من مفردات ومصطلحات فنية وعلمية خليقة بان تجعل هذه اللغة وسيلة فعالة للتعبير عن مفاهيم الحضارة التي اصبحت من مميزات اللغات الاوربية الحية .

ذلك ان اقحام اللغة العربية في المعمل والمصنع والورش والشارع ، وحمل العمال والصناع والمزارعين على استخدامها يتيح لها طبعا فرصة التكيف والنمو ، طبقا لمتطلبات الحياة الاجتماعية باعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية وثمرة بيولوجية لحياة الفرد — كما اسلفت —

تخضع كما يخضع غيرها من الوان النشاط الانساني الى عوامل الزمان والتطور والحاجة . فعند ما تتقدم الصناعة والزراعة وتنتشر التعاونيات ، ويزدهر العلم والثقافة والتربية ، بالاعتماد على اللغة العربية فى التعليم والادارة معا ، اذ ذاك يرتفع مستوى المواطنين ماديا ومعنويا ، وتتضاعف حتما قدرة اللغة على التعبير ؛ فيزكو محصولها من الالفاظ والمعاني؛ واذ ذاك ـ اذ ذاك فقط ـ يكون فى مستطاع القطاعات الخلاقة التي يؤلفها الصناع والمزارعون والفنيون وارباب الحرف والصنائع والمهن على اختلافها وتنوعها ان تمد اللغة بامدادات من اسماء الآلات والادوات وحركاتها ، وبكل الالفاظ المعبرة عن الحضارة والعلم والآداب والفنون ووسائلها وقدراتها. هذا مع العلم ان اقحام اللغة فى مجتمع مصنع لا يكفي لانمائها ؛ بل نعتقد ان تطوير اللغة لا يتم بحسب ما سبقت الاشارة اليه الا اذا شمر المحترفون على سواعدهم ، وحملوا انفسهم على المساهمة فى المجهود الصناعي بصورة تدفعهم الى الخلق والابتكار ؛ فلا سبيل الى ان ننكر مثلا ان الضمير المهني الذي طبع نشاط العامل الاوربي هو الذي كان سببا فى التقدم الباهر الذي حققته الدول الاوربية فى جميع مجالات الحياة ابتداء من عصر نهضتها . والتاريخ يعلمنا ان الذين يقبلون على اعمالهم بكامل الرغبة والشوق ممن وهبهم الله هذا الضمير الحي المتيقظ ، هم الذين يهتدون من حين لحين الى اختراعات قد تنتقل ثمرتها الى كافة شعوب الارض ؛ وهذا ما اهتدى اليه بالفعل ذلك العامل المستنير المسمى دوني بابان، (Denis Papin) حينما لفت نظره غطاء القدر ، وهو يتحرك فى علو وهبوط ، نتيجة تصاعد قوة البخار ؛ نعم ، قد يكون الحادث المذكور بسيطا فى حد ذاته بالنسبة للبعض ، ولكنه على اي حال كان نقطة انطلاق ابتدا منها تطور العالم باسره تطورا مدهشا . نحن لا ننكر ان مئات الآلاف من الاشخاص من الذين درجوا على وجه الارض قبل «دوني بابان» ، سبق لهم بالتاكيد ان شاهدوا ذلك الحادث البسيط ، المتصل بغطاء القدر المتحرك بسبب قوة البخار ؛ ولكن من المؤكد ايضا انه لم يتفطن واحد منهم من قبل الى استغلال تلك الظاهرة الطبيعية حتى جاء القرن السابع عشر ، فكان ذلك من حظ عامل بسيط ، له ضمير متوقد ، وارادة تستطيع ان تهز الجبال .

نستفيد من هذا ان الواجب المقدس يفرض على المحترفين منا وخاصة اولئك الذين يعملون فى القطاعات الصناعية ان يتقنوا اعمالهم كلها ، مستغلين كل وسيلة للرفع من انتاجهم ، مستخدمين اللغة العربية للدلالة على ما يستعملونه من ادوات ، او يقومون به من حركات تتصل بالاعمال التي يزاولونها يوميا ؛ وبذلك يستطيعون تطوير هذه اللغة كما سبق ان فعل اجدادنا فى البلدان التي فتحوها حيث كانت اللغة العربية ايام ازدهار الحضارة الاسلامية لغة طيعة ، وكانت لغة علم وصناعة وعمل ، شأن ما هي عليه اليوم فى بعض البلاد العربية المتقدمة كسوريا مثلا ، التي اصبحت فيها اللغة العربية تؤدي رسالتها بنجاح فى المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها وفى غيرها من القطاعات الحيوية الاخرى .

❊ ❊ ❊

هذه العقلية الصناعية التي هي خليقة بأن تدفع التقدم الصناعي الى الامام ، وتحقق بالتالي تطوير البلاد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لا تكفي مع ذلك لتركيز اللغة فى البلاد ، ولو تكاتفت على ذلك جهود من يعمل بالمدرسة والادارة ، حتى تصحبها جملة من التدابير اللغوية والفنية ، هي تدابير خليقة بان تساعد على احياء هذه اللغة والعمل على ازدهارها ؛ من ذلك ايجاد المصطلحات وتبسيط النحو العربي ، وتسهيل الحروف المطبعية ، ووضع الكتب المدرسية الصالحة ، واعداد المعلم الكفء مع اعادة النظر فى المناهج الدراسية وسلوك طريقة جديدة فى تعليم اللغة العربية ، مستمدة من دراسة موضوعية لسكولوجية الطفل المغربي . هذا وابادر الى القول بان ذلك كله لا يمكن ان يتم الا في اطار مصلحة خاصة مهمتها مواصلة البحث فى قضية اللغة العربية واعداد العدة لتحقيق عملية التعريب فى بلاد المغرب العربي على اوسع نطاق .

عند هذا الحد من الحديث يخيل الي انه يجدر بنا ان نتوقف قليلا ، فنتعرض لقضية المصطلحات فى شيء من التفصيل ، حتى لا يظن انه يكفي لحشد الكتب والمعاجم ، وما اكثرها ، بشتى المفردات والتراكيب العلمية والفنية لتصبح اللغة العربية حية قائمة الذات ؛ ذلك ان عددا لا باس به ممن يهتمون بقضايا اللغة العربية فى هذه البلاد ، يعتقدون ان فقر اللغة العربية وعدم تمكنها من مسايرة حركة التقدم العمراني فى الوقت الحاضر ـ هذا بالنسبة لسكان المغرب العربي على الاقل ـ يرجعان الى افتقار العربية للمفردات الصالحة للتعبير عن مفاهيم الحضارة العربية ؛ وهذا قول مردود ، لا يعتمد على اساس صحيح ، اذ لو كان الامر كذلك ، لكفى المتكلمين بالعربية وجود هذه المعاجم والكتب التي ملئت بشتى المفردات والتراكيب ، ليستطيعوا التعبير عن كل ما يروج فى خواطرهم من افكار ومفاهيم ، تتصل بهذا المجتمع الحي المتطور الذي نحياه او الذي نعيش

بازائه . لكن القضية لا تتعلق في الواقع بكمية هـذه المفردات بقدر ما تتعلق بقدرتنا نحن على استحضار هذه الكلمات وترويجها في الوسط الفقير الذي نعيش فيه، وبكلمة اوضح يمكن القول بان ما دام المحيط الذي يتقلب فيه الطفل المغربي ـ كالبيت مثلا ـ يشكو فقرا في الاثاث والادوات ومقومات الحياة المادية التي يزخر بها عادة بيت الطفل الاوربي الذي ينتسب الى وسط متحضر راق، فان هذا الطفل المغربي سيظل فقيرا كذلك من حيث الالفاظ والكلمات التي تنطق بمعالم الحياة المادية، لانه لا يجد الفرصة لاستعمالها في البيت ولا في الشارع؛ ومعلوم ان توفر الادوات التي ترتكز عليها الحياة البيتية في مجتمع متقدم دليل قاطع على تقدم البلاد التي ينتمي اليها ذلك المجتمع من الوجهة الاقتصادية؛ فكلما توفرت الاشياء والادوات التي تشير اليها الكلمات الجديدة اصبحت هذه الكلمات حية رائجة بحكم الضرورة والحاجة الى استعمالها، وفي ذلك يقول الفيلسوف كمال يوسف الحاج : « هذا الولد لا يفكر في الابريق قبل ان يلفظ باسمه دفعة واحدة دون ترو، فتاتي الكلمة هي الاخرى امتدادا طبيعيا للاحساس بالشيء . وهكذا يتضح لنا التساند الذي يقوم بين العين والاذن، لا فاصل بينهما اطلاقا، واما اذا تعلق بالكلمة في حالة غياب الشيء الذي تدل عليه فانها لا تتجاوب مع الاحساس في الغالب؛ في هذا المضمار لا يحصل اتفاق بين الفكر والعقل، بل يبقى الذهن بعيدا عن العمل »، وهكذا تضيع فرصة استعمال الكلمة مع الرياح الاربع .

يبقى علينا ان نقول ان هذه المصطلحات التي يهتم بوضعها عادة ذوو الاختصاص والخبرة في العلم والتربية، لا يجوز لهؤلاء ان يفرضوها فرضا على الذين يستعملونها، وحتى لو ارادوا ذلك فانهم لا يستطيعون . فالمصطلحات ـ كما تقدم ـ تخلق حية في بؤرة الحياة العملية، ومنها تنطلق للدلالة على الآلات والادوات والحركات التي تطبع المجتمعات المتطورة؛ واما فرضها على الذين يحتاجون اليها بمجرد حشرها في قاموس او معجم، فذلك ما لا يقبله العقل ولا المنطق. وهنا يتعين الاستشهاد بما كتبه في الموضوع الفيلسوف اللغوي السابق حيث يقول : « المصطلحات يضعها من يزاول معانيها، والا بقيت في حكم الممات، لان الداعي اليها مفقود . فمتى وجد الفيلسوف وجدت معه المصطلحات الفلسفية، ومتى وجد العالم وجدت معه المصطلحات العلمية، ومتى وجد الاقتصادي وجدت معه المصطلحات الاقتصادية »، ومن اجل ذلك تقرر فيما سبق من القول ان تركيز وحدات صناعية في البلاد يمهد السبيل لنمو اللغة بخلق المفردات التي يستعملها الصناع عادة اثناء مزاولة صناعتهم . وفي ذلك يستطرد الاستاذ كمال الحاج موضحا الفكرة السابقة بقوله : « العقل اولا، ثم القول ثانيا، او اذا شئت ـ وهو الاصح في اعتقادنا ـ الفعل والقول متعاصران . وهذا يعني ان وضع المصطلحات قضية تشترك فيها الامة كلها »، وقد حصرناها حتى الان في المجامع اللغوية التي يقف عملها عند حد التفتيش في صفحات الكتب والرجوع الى القديم؛ لكن القضية اوسع بكثير من التفتيش في الكتب والتسجيل والاطلاع الكافي في اللغات الحية . القضية قضية استعمال قبل كل شيء وفوق كل شيء، والاستعمال هو وحده المعيار الذي تفرض به الحياة عنفوانها الصارم؛ ان للاستعمال سلطانا قاهرا، ذلك ان الاستعمال دليل على ان اللفظة قد انبثقت دفعة من عنفوان الحياة، والحياة هي المؤتمنة على الذوق السليم .

جدير بنا ـ طبعا ـ ان نأتمن هياة موقرة من ذوي الكفاءة والاختصاص على وضع المفردات التي تفتقر اليها اللغة العربية، لكن لا ننسى ـ كما يقول كمال الحاج في مكان آخر من كتابه القيم في فلسفة اللغة : « ان ازمة المصطلحات في اللغة العربية لا تحلها المجامع وحدها؛ بل هي مرتبطة الى حد بعيد بتقدم المجتمع الذي نعيش فيه من الناحية الاقتصادية والفكرية؛ اللغة تواكب حتما ذلك التقدم كما سبقت الاشارة الى ذلك، وهي وعاء لتقدمنا الفكري، تعلو اذا نما وتنخفض كلما اعتراه ضعف او فتور؛ والسبب في فشل اللغويين عندنا هو الاعتقاد الراسخ في اذهانهم ان وضع المصطلحات امر لغوي بحت في حين ان اللغة هي قضية فلسفية » . ويتبسط الفيلسوف اللغوي الشهير في الحديث عن المجامع اللغوية فيقول : « ولعل ان الفرق الكبير بين مجامع اللغة في البلاد العربية والمجامع اللغوية في الغرب، يقوم على ان مجامعنا استنتاجية ومجامعهم استقرائية؛ فمجامعنا تفرض على الناس ما تصطلح هي على وضعه، ومجامعهم تثبت في المعاجم، ما يدور اولا على السنة الناس، فيقره الاستعمال . عملنا هابط من السماء وعملهم صاعد من اعماق الحياة »؛ ولله دره اذ يقول متمما باسلوبه الواضح هذه الصفحة اللامعة حول مستقبل اللغة العربية : « والفرق عظيم بين ان نفرض على الناس الفاظا قد تكون محنطة وان يمدنا المجتمع بالفاظ حية كتب لها البقاء . المصطلح لا يخبرك بصورة اعتباطية واذا كنا نريد للغتنا الحياة المديدة وان تجاري سواها في ركب المدنية يجب :

اولا : ان تبشر على اوسع نطاق بضرورة الترجمة لان هذه الطريقة تضع بين ايدي الناس طائفة من الالفاظ تتفاعل فيما بينها على محك الذوق السليم الجماعي ؛ فاما ان تقبل او ترفض ، ثم تدخل المجامع بعد ذلك .

ثانيا : أن نعطي دروس العلوم والفنون والصناعة باللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات ، واستعمال اللغة العربية في التعليم كاستعمالها في المعاهد والاوراش والمصانع ينزلها منزلة الحاجة والضرورة ، فنعمل اذ ذاك على ايجاد المصطلحات ونضعها بين ايدي الناس ليقولوا فيها قولهم الفصل .

ثالثا : ان نبشر على اوسع نطاق بالرجوع الى صاحب العمل المختص لناخذ عنه المصطلحات العائدة الى هذا العمل ذاته ؛ ومن احق من الحداد بوضع المصطلحات الخاصة به ؟ ومن احق من الطبيب او المحامي او المعلم او التاجر بوضع المصطلحات الخاصة بكل واحد منهم ؟ ان الذي لا يعيش العمل لا يكون قادرا على وضع المصطلحات الخاصة .

وبهذا تصبح المجامع قادرة على ان تنزل الى الشارع ، وتقتحم المعمل والمصنع والحقل والتقاط الكلمات العربية الجديدة وكأنها حصلت على بطاقة جواز تخولها حق الاستقرار في الكتب والاذهان واقتحام الحياة الاجتماعية بدون استئذان » .

هذا ومن طريق استكمال النقص الذي تعانيه اللغة العربية جمع المصطلحات الخاصة بالتعليم الابتدائي في معجم صغير مصور ، تشترك في وضعه بلدان المغرب العربي الاربعة ، ليكون بمثابة رصيد لغوي اساسي بالنسبة لعموم التلاميذ ، وهذا ما شرعنا منذ شهور في تحقيقه ، من خصائصه ان تتوفر فيه الدقة ويسر الاستعمال كأن يرتب ترتيبا الفبائيا كما هو الحال في المعاجم الغربية ؛ وعند وضع هذا المعجم يمكن الاعتماد على الخبراء في كل حقل لاختيار الالفاظ والكلمات الشائعة ؛ لكن بما ان الاعتماد على الخبراء يتضمن عنصرا شخصيا وهو الذي يحمل الكاتب على استعمال هذه الكلمة دون اخرى ، وقد تكون صالحة وقد لا تكون صالحة لصغار التلاميذ ، فنحن بحاجة الى مقياس المربين ، وهو مقياس اكثر موضوعية ؛ لنعتمد عليه بجانب اعتمادنا على راي الخبراء . وقضية اخرى جديرة بالانتباه في هذا المضمار هي ان هذا الحد الادنى من المفردات التي يجب ان يتضمنها المعجم الصغير ينبغي ان تؤخذ من القرآن الكريم وكتب الحديث واسماء الاعلام في البلاد الاسلامية والعربية وبلاد المغرب العربي كما يجب ان تشتمل على الفاظ من الكتب الادبية والمجلات والجرائد ؛ يضاف الى ذلك كله كلمات من العامية التي يمكن الحاقها بالفصحى لعدة اعتبارات ؛ وحينئذ فقط يصبح من الميسور الحصول على قائمة بالكلمات الاساسية في اللغة العربية .

هذا القاموس يكون بالطبع له فوائد عديدة ؛ فهو يسهل تعلم اللغة العربية ويمكن من تعليم الطفل والراشد على السواء بالاعتماد على اهم المفردات واكثرها شيوعا ، كما انه يساعد المؤلفين على كتابة كتبهم مستعملين الالفاظ الدالة على مفاهيم الحضارة العصرية ؛ فيستعين بها الاطفال ، بما اشتملت عليه من قدر ادنى في العلوم والمعرفة ، على المضي في الطريق دون ان تعترضهم اية صعوبة لغوية ؛ والمعلمون يذكرون بهذه المناسبة ان كثيرا من المشاكل الحسابية مثلا يصعب حلها بالنسبة للتلاميذ لا لصعوبتها الفنية فقط ، بل لصعوبة اللغة التي كتبت بها كذلك ، او قل انهم لا يفهمون المشكلة بسبب ضعف مستواهم اللغوي . . .

يتبين من هذا كله ان المعجم المدرسي اداة ضرورية لضبط اللغة الاساسية ، وتزويد الصغار بحصيلة من المفردات تعينهم على متابعة دراستهم بنجاح في الصفوف الثانوية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يتعين على المتضلعين في اللغة ان يعيدوا النظر في النحو العربي ؛ فهو وان كان يمتاز بالدقة الا انه يحتوي على كثير من الشذوذ في القواعد ، كما تشتمل كتبه على فصول في فقه اللغة وقواعد الاشتقاق والعلل النحوية ، الشيء الذي يجعل دراستها صعبة على المبتدئين ؛ وبالتالي فهي فصول تعتبر عائقا في طريق تعميم اللغة العربية والاقبال عليها من طرف الصغار ؛ لذلك اصبح من اللازم دعوة قادة الفكر في البلاد العربية والمغرب العربي بالخصوص الى تجديد النحو تجديدا يعيد اليه جدته ووضوحه ؛ لكن حذار ان يفهم من هذا العمل الجماعي الرامي الى اصلاح النحو مجرد اختصار للقواعد او حذف ما لا يحتاج اليه صغار المتعلمين ؛ فاللغة العربية ليست من الصعوبة والتعقيد بحيث يستحيل على الاجانب التحدث بها ، وعلى المواطنين ادراكها بعد دراستها لمدة معينة ؛ انما يعقدها ما يكتنف تعليمها من غموض وعقم في المناهج واعوجاج في الطرق المستعملة في تدريسها ؛ ولذلك نلاحظ اخطاء عديدة في المطبوعات الرسمية والرسائل والاعلانات التجارية المحررة باللغة العربية وحتى في الكتابات الصادرة عن بعض المعاهد العلمية ؛ ذكر بهذه المناسبة الاستاذ وديع خوري في

مجلة التربية اللبنانية متحدثا عن هذا الضعف المتفشي في كل مكان ان المرحوم نخلة زريق ، وهو من ابرز معلمي اللغة العربية لما توفي نقشوا على ضريحه العبارة التالية : « هنا يرقد المعلم نخلة زريق ، توفي عن ستون (كذا) عاما . فما ان قراها احد الظرفاء حتى كتب في اسفلها : « اتقوا الله يا قوم في رجل خدم العربية اربعين عاما ! » .

كل هذا دليل على عقم الطرق المعتمدة لحد الان في تعليم اللغة العربية وتقريبها من اذهان المتعلمين .

قلت ما قلت لاذكر المهتمين بمصير العربية في المغرب العربي ، انه جاء الوقت لتعبئة الجهود قصد احلال هذه اللغة مكانها في المجتمع كأداة للتعبير عن متطلبات الحياة جملة ؛ وليس ذلك معناه اننا بحاجة الى استعمال اللغة التي كانت رائجة في عصر الزمخشري او سيبويه ، انما نحن بحاجة الى لغة ميسرة مبسطة ، لا هي بالفصحى المعقدة ولا هي بالعامية الدارجة ؛ نحن بحاجة الى لغة حية طيعة ، تكون لغة التخاطب بيننا ولغة التدريس والمناقشة في مختلف المواضع العلمية والفنية ، دون ما نلجا فجاة الى العودة للعامية ، او استخدام الفاظ من اللغة الفرنسية ؛ نريد عربية واضحة مستمدة من محيط معرب تعريبا صحيحا ، او كما قال احد الادباء المعاصرين : نريد تعريبا لا لغو فيه ولا تأثيم . ومن اجل ذلك لا يجمل بنا ان نتعصب في استعمال الفصحى بمناسبة وبغير مناسبة ، فنجلب على انفسنا سخرية الناس ؛ لان الفصحى مهما اشتدت رغبتنا الى استعمالها الا انها لا تزال مستعملة في نطاق ضيق ؛ وعندما نريد ان نستخدمها دون ان نمهد للاسباب الداعية الى انتشارها كثيرا ما تكون سببا في جلب سخرية الناس ؛ وكم يلذ لي بهذه المناسبة ان اسوق للقارىء الكريم حكاية طريفة في الموضوع نقلتها له عن مجلة الفكر من مقال للاستاذ الهادي حمو ، قال : « درس رجل بالازهر وعاد الى بلاده ، وكان معجبا باللغة العربية الى درجة انه آلى على نفسه الا يستعمل الا الفصحى في مخاطبة الناس . واتفق يوما ان كان في نزهة وحده ، فلم يعبأ بجب حتى سقط فيه ؛ فجعل يستغيث المارة ؛ فاطل عليه رجل سقاء كان قد سمع استغاثته ، فقال الرجل : « يا هذا اربطني ربطا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا ، ولا تدع الحائط يلطمني ! . فأجابه السقاء ، والله يا ... ما انت خارج منه حتى تتعلم تحكي زي الناس ... »

هذه القصة ان دلت على شيء فانما تدل على ضرورة التبشير باللغة العربية على اوسع نطاق ، واتخاذ الاسباب اللازمة التي تمهد السبيل لتبسيطها . واذا كان تطوير اللغة العربية امرا واجبا ، فواجب ايضا ان نعمل على تبسيط الحروف الطباعية ، اذ من المشاكل التي تقف في طريق العربية كتابتها كون الطباعة الحديثة لم تقو لحد الان على شكلها ؛ ومن ثم جاءت صعوبة قراءتها اذا ما قورنت باللغات الاخرى كالفرنسية او الانكليزية مثلا ؛ وهذا ما حمل الاستاذ ماسنيون على القول ان الرجل يقرا الجملة الفرنسية ليفهمها بينما يتحتم عليه ان يفهم معنى الجملة العربية قبل ان يهتدي لقراءتها قراءة صحيحة ، وذلك لعمري عائق كبير في طريق انتشار اللغة العربية ؛ فلو كان الحرف العربي يبقى على حالة واحدة بالنسبة لعمل الطباعة سواء كان في اول الكلمة او في وسطها او في آخرها لسهل على المنضد الطباعي عمله ، ولاستطعنا ترويج الكتاب العربي نظرا لتخفيض تكاليف اخراجه .

والواقع ان المتخصصين في الدول العربية حاولوا غيرما مرة ان يجدوا حلا لمشكلة الكتابة العربية ، ومن بين هؤلاء صديقي الاستاذ احمد الاخضر الذي اهتدى بفضل الله وعونه بعد عمل شاق طويل ، الى العثور على طريقة مبتكرة تتضمن اختصار الكتابة العربية بما يعود بالنفع على الطباعة والآلة الكاتبة في نفس الوقت .

وقد حظي هذا المشروع القيم بعناية منظمة اليونسكو ، ومجامع اللغة العربية واعضائها المحترمين ، على انه يشخص خطوة تاريخية هامة لجعل لغتنا في مستوى اللغات التي تكتب وتطبع وتعلم بسهولة ؛ ولم يبق على دول المغرب العربي التي يهمها الامر قبل كل شيء وبعد كل شيء ،الا ان تتبناه وتعتمده حتى يخرج باذن الله الى حيز التنفيذ ؛ فالمشروع كفيل بتوفير الاسباب كلها لانتشار العربية كي تحتل مكانتها في السوق الادبية والعلمية .

نحن في حاجة الى ان نمهد الاسباب كلها لتعليم العربية بصورة تدفع الاحداث الى اكتسابها في رغبة وشوق ، واللغة تكتسب اذا وجدت البيئة الصالحة لتدريسها ، وخلقت الظروف التي مهدت سبيل اقتباسها للعرب في القديم ، حتى كانوا يتحدثون بها دون معرفة نحو او صرف ؛ فعلى المعلمين اذن ان يتشبثوا بالاكثار من القراءة والحفظ ، حفظ ما تيسر من المحفوظات النثرية والشعرية التي من شانها ان تطلق لسان المتعلمين باللسان الفصيح ، محاولين الاقتباس ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، من الطرق المستعملة اليوم في تدريس اللغات الحية كالتي يعتمدونها مثلا في معهد ميشيغان بالولايات المتحدة الامريكية، وهي

طريقة لا نعلم ان هناك من يجادل فى اصالتها وفعاليتها، وباختصار يجب ان تكسب اللغة بطريقة لا شعورية ، على نحو ما يتعلم به الاطفال اللغة العامية ، مطبقين قواعدها بصفة عفوية . على هذه الطريقة يجب ان تلقن العربية وعلى هذا النحو تصبح اداة صافية المشرب صالحة للاستعمال فى كل زمان ومكان .

❋ ❋ ❋

تلك هي باختصار الخطوات التي يجدر اتباعها ، بحسب ما نعتقد ، لكي نحافظ على تراثنا العربي الاصيل فى هذا الوعاء اللغوي الممتاز ، واذا كان مستقبل هذه اللغة منوطا بما بذلناه وما زلنا نبذله من جهد لاحيائها واجراء ماء جديد فى شرايينها ، فان معركة المصير المشترك بالنسبة لدول المغرب العربي مربوطة اولا وقبل كل شيء بقدرة هذه الدول على الاندماج فى عملية تصنيع موفق شامل ، وهذا معناه ان مستقبل اللغة العربية فى هذه البلاد منوط الى حد كبير بما تسفر عنه جهود وزراء الاقتصاد الوطني لدول المغرب العربي من اعمال ايجابية ، لا من قرارات تسجل على الورق فحسب ، فمتى استطاعوا تركيز المشروعات الاقتصادية الضخمة التي تتطلب الخبرة العلمية والعمل الفني والكفاءة الاختصاصية بناء على تجهيزات آلية فى كل جهة من جهات هذه البلاد ، ومتى استطاعوا تعبئة العاملين للخروج من التخلف الذي نحن فيه ، وارساء قواعد شبكة اقتصادية وصناعية متكاملة الحلقات ، اطمانت نفوسنا على مصير اللغة العربية وآمنت انها بالغة — ان شاء الله — هدفها الاسمى ، وفى ذلك اليوم الاغر ستتمكن اللغة القومية من ان تفرض نفسها فرضا فى كل مكان ، دون ان يخشى عليها من مزاحمة اجنبية او ضغط لغوي غريب ، ان غاية ما يثير العجب فى هذه اللغة ، هو انها برغم عوامل المقاومة والضغط التي تعرضت لها فى الماضي القريب والبعيد ، فانها لم تمت ولن تموت ابدا ، لكنها لن تستطيع متابعة رسالتها في شتى مناحي التفكير والانتاج ، وفاء بحاجات الحياة المتطورة ، حتى تعيد اليها اولا ذلك النفوذ التي كانت تتمتع به ، يوم كان اهلها يحملون مشعل الحضارة والتقدم فى الشرق والغرب .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

مصـــادر البحـــث

بالعـــربيـــة :

1 — كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة ، بيروت 1965

2 — مجلة التربية الوطنية : عدد خاص باسبوع التعريب 1964 .

3 — اللســـان العربـــي : العدد الاول ، يونيو 1964 .

4 — اللســـان العربـــي : العدد الثالث ، غشت 1965 .

5 — اللســـان العربـــي : العدد الرابع ، غشت 1966 .

6 — احمـــد الاخضـــر : الطريقة المعيارية للطباعة العربية ، 1962 .

7 — اللغة العربية من خلال الصحف والمجلات : معهد الدراسات والابحاث العربية ، الرباط .

بالفـــرنسيـــة :

8 — Classicisme et déclin culturel dans l'Histoire de l'Islam, Ed. Bosson et Chantemerle, 1957 - Paris

9 — محمد محي الدين المشرفي : Problèmes d'arabisation



نحن والشعر

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

الشعر هو احد تلك الفنون الجميلة التي نسلمها قياد انفسنا ، ونخلي بينها وبين هذه الانفس لتفعل بها ما تشاء ، فاذا بلغت الكلمات الشعرية من السحر شاوا بعيدا كنا على استعداد للتنازل عن جزء كبير من مقاييسنا التي تكونت عندنا من قبل ، حيث يتمكن الشاعر من نقلنا معه الى جوه الخاص ، الذي قد لا نرضاه لانفسنا الا في اللحظات التي نهب خلالها قلوبنا للقصيد قدر ما نستطيع .

فنحن ننقاد للشاعر المبدع معصوبي الاعين ، مكتوفي الايدي ــ ولو الى حين ــ ليأخذنا معه الى دنيا فتونه ، فنجد انفسنا مغمورين في روائعه من فرع الرأس الى اخمص القدم . ومع ذلك فليس الشاعر ماردا من مردة الجن ، ولا ابليسا من ابالسة الشياطين الذين تمتلىء بهم الخرافات والاساطير ، اذ يتسلطون على الناس بقوتهم الخارقة للعادة ، ويضربون البحر لينشق نصفين ، او يمدون سبابتهم الى الجبال فتندك وتنهار ، او يرسلون من افواههم لهبا من نار يلتهم كل شيء . كلا ليس الشاعر واحدا من هؤلاء ، وانما هو انسان مثلي ومثلك ومثل الاخرين ، الا انه يملك شيئا صغيرا جميلا رشيقا قد يهزا بقوة كل جن ومارد ، يملك الكلمة !! فهو بها لا يشق البحر ويدك الجبل ويحرق الكائنات ، كما يفعل المردة والشياطين ــ وهم من خلقه ــ فحسب ، ولكنه يستطيع ان يذهب بهذا العالم كله وياتي بعوالم اخرى اجمل واروع ، الهاما من خالقه الذي فطره على قوة الخلق والتكوين .

كل هذا والشاعر قابع تحت ظل شجرة، او منزو في ركن، او مستلق على قفاه لا يفعل شيئا الا انه يحلم ، فيتجسم حلمه في كلمات . . . فانت لا تشعر بالارض مادت تحت قدميك ، ولا بالسماوات تنهار فوق رأسك ، ولا بالحرائق تلتهب من حولك ، في الوقت الذي تكون فيه الدنيا من حولك قد تغيرت ، وذهبت معالم وجاءت معالم اخرى ، بفعل شيء بسيط ، يداعب ويناجي ويهمس ، انه الكلمة !!

ولا تحسبن ان هذا الذي نقوله ضرب من الخيال المحض ، فلو كان كذلك ما شعرنا به ولا استقر في اعماقنا ، وقلب مفاهيمنا راسا على عقب ، وجعلنا ننظر الى الدنيا وهي في شكل جديد ، فلا حقيقة اشد ظهورا من نفس الانسان في صلتها بالعالم الخارجي ، ولا حقيقة لهذا العالم الا من خلال الزاوية التي ينظر منها الانسان اليه . والحرارة والبرودة ، والضوء والظلام ، والارتفاع والانخفاض ، والقرب والبعد ، والجمال والقبح ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، كلها كامنة في المنظار الذي ينظر به الانسان الى الظواهر التي تحيط به ، وكل ما خطر ببال الانسان او خياله ، اما انه كان او هو كائن ، او سيكون (1) . وعلى هذا الاساس نفسر جميع الخرافات والاساطير والمعتقدات التي آمنت بها جميع شعوب الارض .

---

(1) (الطاقة الانسانية) لاحمد حسين .

والشعر ليس الا الوجه الجميل للحقيقة ، او هو الحقيقة كما تلوح لخيال الشاعر وتمتزج بعواطفه . فعندما يضع العالم الجغرافي - مثلا - خارطة للارض، تتحدد فيها معالمها بدقة ، يجيء الشاعر ليتغنى بجمال الارض ، ويحول جداولها وجبالها ومروجها قطعا من البيان الساحر . نعم يبيح الشاعر لنفسه ان يغير من نظام الكائنات فيخلق للحقيقة ابعادا جديدة ، وحينئذ فهو لا يعمل شيئا لا نعلمه نحن بمعنى من المعاني ، وانما ينطلق من التجارب الانسانية ، التي لا تخلو منها حياة كل واحد منا ، في كثير من لحظات حياته ، بل في مرات من كل يوم من ايامه ، فكثيرا ما ينظر الواحد منا الى بقعة جميلةمن الارض امامه فيحاور نفسه قائلا مثلا:حبذا لو شق مجرى لنهر في ذلك الموضع ، وغرست انواع من الزهر في الموضع الآخر ، ونهضت ربوة هنا ، وانخفض منحدر هناك ، واصطفت اشجار باسقات وارفة الظلال في ذلكم الممر . او هو يتخيل انه اصبح في رمشة عين من ذوي الثراء العريض ، فظفر بغادة مشرقة القوام ، صبوحة الوجه ، يسعى بين يديها الخدم ، وتحفها الوصائف ، واسكنها قصرا عالي الشرفات ، مترع الجنبات بالافراح والمسرات . او هو ينظر الى زوجته الجميلة الفقيرة فيتخيل ذلك القد مزدانا بأبهى الحلل ، وذلك الجيد مطوقا باروع القلائد، وتلك المعاصم محاطة بأثمن الاساور ، والشعر احتفلت به الماشطات ، والانامل رطبها النعيم ، والشفتين نداهما الترف ، ثم اذا هو يفيق من حلمه الجميل ، ليعود الى الواقع القاسي الصامد . احلام كهذه كثيرا ما تشغلنا عما حولنا ، وكم منا من استطاع ان يحيل الحلم الى واقع ، فخلق جنات من الارض ، والفى نفسه وقد ظفر بالغادة الحسناء ، والمغاني الفيحاء ، او رأى زوجته الجميلة الفقيرة تلك ، وقد اصابت حظا من عز ، ونالت قسطا من نخوة وبسطة ومتاع ، ولكن اين الحلم الجميل ؟ لقد مات عندما استحال الى واقع ، فاصبح ذكرى تعاود صاحبها مقرونة بالحسرات !! فاجمل امانينا واحلامنا ما بقي ممتنعا عن التحقيق ، فسبحانك يا الهي ، وما اعجب ما صنعته بخلقك !!

وما نفعله أو يفعله الشعر احيانا من اعادة ترتيب الكائنات ، او خلق كائنات جديدة مركبة من عناصر قديمة ، او تجسيم الآمال الحائرة العذاب ، ان هو الا تطور لما نفعله في حياتنا كل يوم ، لا عن طريق الحلم فقط ، وانما حتى عن طريق تصرفاتنا العملية . تصور سيدة البيت عندما تمل من نظام بيتها فتقلبه راسا على عقب ، فتنقل هذه المنضدة الى ذلك الركن ، وتجيء بآلة التلفزة الى هذه الزاوية ، وتغير اتجاه سرير النوم ، وتستبدل الستائر البيضاء بالستائر الحمراء ، او تصورها وقد رمت بهذا الاثاث كله الى الخارج ، واقتنت اثاثا جديدا ، مع ان الاول ليس به من عيب الا ان العين اعتادت النظر اليه ، فلابد من اجالة يد التغيير دفعا للرتابة ، وجلبا للتنوع ، كذلك الذي يقتني مائة نوع من اربطة العنق ، وخمسين صنفا من القمصان ، مع انه لا يحتاج الى كل هذا العدد ، وانما هو حب التجديد . ولو نحن ذهبنا نستقصي الامثلة على هذا النحو ، لوصلنا الى حد الاملال ، في الوقت الذي نتحدث فيه عن حب التجديد والتغيير ... والشعر يفعل نفس الشيء الذي نفعله نحن في حياتنا الواقعية ، مع تطويره ليناسب ما للشعر من طبيعة مجلوبة على الاشراق والسمو ، فهو قد ينقل معنى الجريمة من حضيض الرذيلة الذي اعتاد الناس ان يضعوها فيه ، الى سماء الفضيلة التي يراها لائقة به ، تماما كما تفعل تلك المراة عندما تنقل المائدة من موضع الى آخر ، وهو يعمد الى المنظر الطبيعي يصفه ، فيجعل زهوره اشد بياضا مما هي ، واشجاره اشد خضرة مما هي ، وقد يتفنن فيضيف اليه راعيا ينفخ في شبابته ، وحسناء بدوية تحمل جرتها ، ويشق الارض ليطلع منها دوحة عظيمة يملؤها بالبلابل الصداحة الطروب . وكل هذه الاضافات انما هي عملية نقل اشياء من مكان الى آخر ، فهو يجول بخياله بقاع الارض ، ليلتقط ما يروقه من معالم تتمم جمال المنظر الذي يصفه ، كما تجول تلك السيدة الاسواق لتلتقط احسن الاثاث لمنزلها الجميل . وقد لا يلذ السيدة ان تؤثث بيتها الا بافخم الاثاث ، او قد تكون اميل الى البساطة فتكتفي بالاثاث البسيط الجميل ، وكذلك الشاعر ، اما ان يؤثث قصيدته باسماء الذهب واللآليء والمرمر والقصور وما الى ذلك ، واما ان يؤثثها بأسماء الشفق والفسق والظلال والنسمات وهلم جرا . وقد يلذ لهذه السيدة - كما قد يلذ لنا جميعا - ان تسمي اشياء بغير اسمائها الحقيقية ، فهي - مثلا - قد تسمي آلة التلفزة (صندوق الضجيج) وحجرة زوجها التي ينفرد فيها بكتبه واوراقه (بيت الاعزب) على سبيل التعريض والمداعبة فقط ، كما قد تطلق على خادمتها النشيطة الدؤوب (النحلة) وعلى زوجها اسما من اسماء التدليل ، تماما كما يفعل الشاعر عندما يقول عن شجرة عامرة بالبلابل انها جوقة من المطربين ، وعن الجدول الرقراق انه سيف ممدود ، وعن الراعي النافخ في الناي انه

شاعر الرياض . ولا يظنن احد اني اجعل عمل الشاعر الذي الفنا ان نحيطه بهالة من القداسة ، حتى لنرفعه احيانا الى مقام الاشياء الخارقة للعادة ، قرين عمل تلك السيدة فى تصرفاتها داخل بيتها ، واني اضع ترتيب الشاعر للاشياء الى جانب ما تفعله تلك السيدة باثاث بيتها ، فانا لم ارد بهذا المثال الذي ضربته الا شيئا واحدا ، وهو التدليل على ان من الخطا نظرنا الى الشاعر بكثير من الاستغراب ، عندما يعمد الى الاشياء فيغير من نظامها المالوف ، او يضيف اليها ما من شانه ان يصل بها الى صورتها المثالية ، لاننا فى حياتنا العادية نفعل نفس الشيء ، دون ان يخطر ببال اي واحد منا انه اتى عملا غريبا او خرج عن العادة المالوفة . وها نحن راينا من خلال ذلك المثال ان الشاعر اذ يضعنا امام عمله الشعري يكون قد اخذ بعض عاداتنا المشتركة فتسامى بها وخلع عليها حلل الفن وشملها بالتهذيب ، حتى لتبدو لنا من خلال نصوصه وكأنها من الاعمال المدهشة . فالشعر من هذه الناحية ان هو الا احد الاشياء الثمينة فى حياتنا ، والتي ترتد فى اصلها الى عناصر عادية بسيطة ، قد لا نعيرها ادنى اهتمام . فالعطر النفيس الذي نشتريه باغلى الاثمان ، يعود الى تلك الزهرات التي ندوسها بالاقدام ، او نفركها بين الاصابع ، والفنا ان نشاهدها بين حين وآخر . والثياب الثمينة الزاهية ، مردها الى بعض مواد الطبيعة ، التي قد لا يخطر ببالنا ان نقف عندها لنتاملها مليا . وقل مثل هذا بالنسبة لكل الظواهر المحتلة مكان الصدارة فى هذه الحياة ، ويمكنك أن تضيف اليها أيضا ما يتمثل فى الشعر من جمال رائع فى تناوله للاشياء ، فان هو الا بعض طبائع الناس بعد ان سما بها الطبع القوي ، والخيال الخصب ، والذوق السليم ، والوجدان الحي. وبناء على هذا يمكن ان نساير الشعر فى نصوصه الممتازة ، الى آفاقه المشرقة العالية ، لم نعود به الى التجارب الحياتية البسيطة التي ينطلق منها ، نرده الى احلام اليقظة التي تستغرق جانبا كبيرا من حياتنا، والى كثير من اساليب عيشنا المختلفة ، وردود افعالنا حيال بواعث الحياة ومؤثراتها المتعددة ، فنحن نحب فنحيط من نهوى بهالة من نور ، ونتخيلها ملكة متوجة على عرش الجمال ، او حورية سابحة فوق السحب ، وقد تحجبها عنا جدران سميكة من عتيق التقاليد ، ولكننا نستطيع بمخيلتنا ان نفتح فيها كوة نلمحها من خلالها . ونحن قد نكره فنتخيل اعداءنا الالداء وقد نزل بهم الهم ، واحاطهم الويل ، وتخطفهم الشيطان . ونحن قد نتمنى مفرطين فى التمني ، فنتصور التراب ذهبا ، والقرش الابيض كنزا ، والكوخ الحقير قصرا ، الا ان الشعر يمتاز — من بين ما يمتاز به — ان يعمد الى احلامنا تلك ، مضافة اليها احلام الشاعر المبدع ، فيضع لها قالبا من اللفظ الجميل ، ويهبها كيانا ويحيطها بسياج من الموسيقى والبيان ، ليمكن الرجوع اليها مرات ومرات ، ولولا ذلك لصارت الى التلاشي والعدم، تماما كما يحدث لاحلامنا نحن الذين لسنا شعراء ، اذ سرعان ما تتبدد وتتلاشى ، بعد ان تكون قد اخذت منا اوقاتا تقصر او تطول ، ولكن دون جدوى . فى حين ان الشاعر بما اوتي من مهارة وقدرة ، يستطيع ان يستغلها ويكون منها شيئا رائعا لا سبيل الى تلاشيه او اضمحلاله . فنحن عندما نرسل آهاتنا واناتنا وصيحات فرحنا تضيع فى الهواء ، ولكنها بالنسبة الى الشاعر تتجمع ذبذباتها فى الفاظ حية معبرة ، ونحن عندما نبكي تنزلق دموعنا ليدركها الجفاف حينا او بعد حين ، اما بالنسبة الى الشاعر فهي تنعقد لآلىء فى ديباجة شعره الجميل . ونحن قد نصاب بماساة تكوي منا القلوب وتمزق الاكباد ، ثم لا شيء نستفيد منها الا المرارة والالم الممض ، فاذا هي اصابت الشاعر او احب الناس اليه ، حول المأساة الى مهرجان شعري كبير ، فيا له من ساحر ماكر لا يشق له غبار ! ! ونحن عندما نتملى شعره نعجب لصوره الشعرية البديعة القسمات، مع انها من بعض احلامنا . الم يسبق لنا ان تخيلنا الغول ذا الرؤوس السبعة ، والسمكة التي نصفها الاعلى آدمي ، كما تخيلنا الملائكة تطير باجنحة عجيبة ، والشيطان مخلوقا بشع الخلقة ذا قرنين منكرين ، والمراة حية رقطاء تنفث السم الزعاف ، وغيرها من الصور الخيالية التي عملت فيها الاسطورة والتربية وما ملأ به الكبار اخيلتنا ونحن صغار ؟ اليس لهذه الرؤى علاقة بالصور الممتازة التي يركبها خيال الشاعر؟

واخيرا ياتي مبدع الشعر ليصول علينا بشعره الذي هو بضعة منا ، مزهوا كالطاووس ، يسير بيننا الهوينى تيها ودلالا ، وقد ينظر الينا من برجه العاجي وكانه يتفضل علينا بنظراته المتعالية ، فيا له من لص محتال ! ! يتسلل الى نفوسنا ليسرق مآتيها الكثيرة فى غفلة منا ، لاننا منهمكون فى شؤون دنيانا المتبددة القاسية ، ولكن يجب الاعتراف بانه لص ظريف سريع الخطى ، رشيق الحركات ، بارع اللمسات ، وهو لص شريف ، ما يلبث ان يعيد الينا بضاعتنا بعد ان يكون قد قضى لبانته منها ، ويعيدها بعد ان يكون قد باركها فاينعت وزكت ، وكانه يرشونا لنتجاوز عن فعلته تلك ، وما دمنا لم نستطع ان نصنع منها شيئا فهو بها اولى ، وكانما الطبيعة حسبت حسابها لهذه الحقيقة ، فاعطته مفاتيح نفوس الناس ليلجها متى

شاء ، دون ان نملك له ردا ولا دفعا ، لانه يتحول الى طيف من نور عندما يمارس عمله الساحر . وبالرغم من المفاتيح التي يملكها ذلك اللص الظريف الشريف ، او ذلك الشاعر فهو قد لا يستعملها بعنف ، وفي كثير من الجاية ، بل هو يوثر التسلل الحذر ، والانسياب الخفيف ، لانه تخلب لبه لذة المغامرة ، او لان طبيعة عمله قد تقتضي ذلك . الا تراه كيف يغافل تلك الحسناء ، ليسرق منها التفاتة جيد بارعة ، او رفة رمش ساحرة ، او رنة ضحكة ناعمة الا تراه كيف يلامس الجوانب الرقيقة الخفيفة من الاشياء ، ويوثر أن يعرض علينا اشباحها واطيافها حائما حولها ، ينتظر منها حركة عفوية ، او اشارة تلقائية ؟ انظر اليه كيف يصف الشمس خيوطا ارجوانية تزخرف صفحة الافق ، والزهرة علاها الشحوب كعاشقة ولهى ، والغناء رق وشف كانه المعنى الجميل فى الخيال التائه ، فاذا هو عبر عن الاشياء دون ان يتلطف في ملامستها ولا ان ياتيها من جوانبها الرقيقة الشفوف ، كان شعره غليظا سرعان ما تمجه الاذواق وتعرض عنه الاسماع .

الى هذا الحد يقع الامتزاج بين ما هو للشاعر وما هو للناس ، وعلاوة على ذلك فاللغة التي يعبر بها فيها من الناس الشيء الكثير ، واصوات الحياة من حوله تحمل اليه اصداء هي من صميم هؤلاء الناس ، واحتفاؤهم به واكبارهم اياه يمد خيطا رفيعا بين نفسه ونفوسهم ، فيوحي اليه ويفجر طاقته الروحية ، وازورارهم عنه يثير فيه السخط والحنق فيجيء رد فعله شيئا من آثارهم ، بل ان مجرد رغبته فى أن يقول شعرا لا بد ان يتاثر بكونه شاعرا بوجود جماعة من البشر يمكن ان يساق اليها عذب الحديث ، وان ترتل على مسامعها انغام القصيد . واخيرا فان الشعر نفسه يحمل فى تضاعيفه اصنافا من ردود الافعال ، تثيرها تلك التحديات التي غالبا ما تواجه الشاعر من طرف الناس المحيطين به ، كأن يضعوا العراقيل في طريقه ، ويبخلوا عليه بالثناء ، ويقتصدوا فى شانه بالتشجيع ، ويسيئوا به الظن ، فلا يستطيع انتزاع الاعجاب منهم الا بعد جهد مرير . وقد تكون اجمل اعمال الشاعر ، هي تلك التي رافقت فترة النضال من اجل اثبات الشخصية .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، حقيقة الاتصال العميق بين مشاعر الشاعر ومشاعر الجماعة التي يعيش فيها ، اجدنا احيانا كثيرة نصاحبه فى بعض اعماله ، فياخذنا معه الى دنيا من السحر والفتنة ، ولكننا اذ نفتح ابصارنا وبصائرنا على روائعها نحدث انفسنا قائلين : متى سبق لنا ان شاهدنا هذه الصورة ، وان لمحنا ذلك الطيف ، وأن عانقنا تلك الخاطرة ، واحتضنا ذلك المعنى ؟ ان نغم هذا البيت ليس غريبا علينا ، وان تقابل تلك البدائع ليس اجنبيا عنا ، وان تلك الاخيلة البديعة ليست بعيدة عن بعض ما نجد بين اضلعنا ، كيف امكن ان تقضي فترة ليست بالقصيرة من اعمارنا دون أن نفطن الى هذه الحقيقة ، حقيقة انطواء قلوبنا واخيلتنا على كثير من معاني الشعر ، الى أن جاء هذا الشاعر فنبهنا اليها ؟ والغريب فى الامر ، ان هذه الاشياء التي نلقيها فى عمله الشعري قد تكون لم يسبق لنا ان وجدناها فى عمل شاعر آخر ، فكيف وجدنا شيئا منها فى انفسنا مع ذلك ؟ هل دخل بيننا وبين انفسنا فسمع نجوى ضمائرنا ، والتقط هواجس قلوبنا ، وتلا من صفحات قلوبنا ؟ ثم نحن نعمد اخيرا الى هذه القاعدة المقررة فى الكتب لنقول : انه توارد الخوطر . ولكن هل نستريح عندما نصل الى هذا الحد من التامل ؟ الجواب بالنفي ، فما ان يشتمل علينا سلطان عمل شعري آخر من النوع الرائع ، حتى تبدا شكوكنا من جديد ، وهكذا دواليك . قد تكون تلك الخواطر والتجارب التي عالجها الشاعر ، ووجدنا لها شبيها فى نفوسنا ، راجعة الى بعض تجاربنا فى الحياة ، او الى قراءات او مشاهدات مضى عليها زمن ليس بالقصير ، ولكن آثارها بقيت راسبة فى اعماقنا ، الى ان حركها عمل شعري يمت اليها بصلة ما ، وقد لا تكون شيئا من ذلك مطلقا ، وانما هي ارث تسرب الينا من تجارب اسلافنا الاقدمين ، وهذا امر اقره العلم الحديث ، فكل واحد منا يحمل خصائص الجنس الذي ينتمي اليه ، وتتمثل فيها جميع مراحل التطور التي عرفها هذا الجنس فى تاريخه الطويل ، ولا ينطبق هذا على الانسان فقط ، بل على جميع خلايا الكائنات الحية . وعلى هذا الاساس فقد تكون الخاطرة التي تهز وجداني قد تسربت الي من احد اجدادي القدماء ، وقد تكون الفكرة التي ساورتني هي احدى بقايا عقل موغل فى القدم ، وهذه قضية كثر الحديث عنها فى كتب الباحثين .

ولكن بالرغم من هذا ، فليس مما يحط من قدر الشاعر فى نظرنا ان نجد عنده شيئا ليس غريبا عنا ، فلم يخطر ببالنا قط ، ان نستهين بالوجه الجميل لانه يحتوي على عينين وانف وفم ووجنتين كوجوهنا ، ولا ان نهزا بالبحيرة لان بها ماء كماء الانابيب التي تمتد داخل بيوتنا ، ولا ان نسخر بالموسيقى لانها تمت بصلة الى بعض ما نترنم به فى لحظات انبساطنا ، لم يخطر لنا ذلك ببال ابدا ، ذلك لاننا نتعشق الاتقان في

كل شيء ، والشعر الرائع شيء متقن ، كله نظام وتناسق ، على حين ان تجاربنا وعواطفنا نحن مشوشة مضطربة . ويمكننا ان نزيد المسألة وضوحا بنظرنا الى وجوه الناس ، فالوجوه الدميمة لم تكن على هذه الصفة لافتقارها غالبا الى اية شية من شيات الجمال، فقد تجد العينين الجذابتين اللتين تذهب جاذبيتهما لانهما تحت جبهة بشعة ، او فوق انف ذميم ، بينما وجه آخر به انف جميل ، ولكن يذهب جماله لانه تحت عينين منكرتين ، ولو انك خالفت بين هذه الملامح ، فنقلت كلا منها الى ما يناسبه في وجه من الوجوه ، لزالت البشاعة وحل محلها الجمال والوسامة ، وهذا بالفعل ما تفعله الطبيعة عندما تراعي التناسق بين ملامح الوجوه الجميلة . نفس الشيء يحدث بالنسبة للشعر ، من حيث قياسه الى ما هو مشاع بين الناس من خامات شعرية كالكلمات والعواطف والتجارب الروحية ، فنحن عندما لا نكون شعراء ، لا نقدر على وصل كلماتنا بذلك السلك الذهبي الذي يسمونه الاسلوب ، وانما نضم بعضها الى بعض كيفما اتفق ، واحيانا عن طريق القسر والتعسف ، تماما كما يحدث عندما توضع عينان جميلتان تحت جبهة بشعة ، او يوضع فم عذب الثنايا وسط عارضين منكرين . اما عواطفنا وتجاربنا الروحية — متى لم نكن شعراء ايضا — فهي هابطة صاعدة ، ممتزجة بطحالب نفوسنا ونفاياتها ، ولو اننا جسمناها لكانت غرفة تجاورت فيها هذه الاشياء : كتاب شعر ، مكنسة ، زجاجة عطر ، علبة سردين صدئة ، موسى للحلاقة ، منفضة مليئة باعقاب السجائر . كذلك نفوسنا : احساس نبيل يختفي في مثل سرعة الطيف ، ليحل محله تصميم للانتقام من عدو لدود ، اعجاب بتلك الوردة الزاهية على فننها ، يعقبه حينا التفكير في وسيلة نفوز عن طريقها بمغنم مادي ، تملي من ابيات شعرية رائعة في ديوان شعر ، نتخلص منه سريعا لنذهب بعيدا وراء شيء لا يمت الى الشعر بصلة ، وهكذا تستمر تجاربنا النفسية الى ما لا نهاية . اما في الشعر فتلك التجارب تكون قد صفيت مما قد يكون عالقا بها من الاحساسات غير المرغوب فيها ، فاحتفظ منها بالاعمق والسامي والامثل، ولا اقصد بالسامي والامثل معناهما الخلقي ، وانما اقصد معناهما الفني الصرف . فمعدن الذهب اذا وجد عند قوم لا يعرفون للذهب قيمة ، يمتزج في ارضهم بالحصى والتراب ، ويجرف ويهرس بالفؤوس ، ليكون اديما تطؤه الاقدام ، او احجارا تقام فوقها البيوت ، او وقودا يتوهج جمرات يستدفأ بها في الشتاء ، ويطبخ عليها الطعام ، او قطعا لامعة يعبث بها الصبية ويتقاذفونها في نشوة ومراح . ولو افترضنا ان انسانا متحضرا وفد على هذه الارض ، فسيعرف كيف ينتفع بمنجم الذهب فيها ، فهو يفرزه عن المعادن المختلطة به ، وينفض عنه طبقات التراب ، ليبدو مشرقا صافيا ، وكم من احلام تساوره حينئذ وهو ينظر اليه مجلوا ياخذ بريقه بالابصار ، حلى تزين اطراف العذارى ، ونفائس تبهرج اركان البيوت ، ونقودا ثمينة تحقق غوالي الاماني وتصنع المعجزات ! . وحالنا نحن مع الشاعر ، كحال اولئك القوم مع ذلك الانسان الراقي ، اذ يعمد الى التجارب الانسانية واللغة المتداولة فيكشف عن معدنها النفيس وينفي عنها الطفيليات العالقة بها ، فننظر فاذا باشياء كثيرة احسسناها ، واجريناها على السنتنا ، وازدانت بها اخيلتنا تتحول بمعجزة الى شيء فاتن رائع . وكما ان اولئك القوم المتاخرين قد يتقدمون يوما ويدركون قيمة الذهب ، فيشترون ذهبهم المصوغ باثمان باهظة ، كذلك الشأن فيما يتعلق بنا نحن ، حيث ناخذ عواطفنا ونظراتنا من الشاعر مصوغة في شكلها الجميل ، في مقابل ما ننقده اياه من ثمن ! ! وليس من الضروري ان يكون هذا الثمن ماديا ، فهو قد يكون — مثلا — تصفيقا تلتهب به اكفنا ، نقاطع به ما ينشدنا من روائعه ، كما قد يكون اشتغالا بشعره دراسة وتحليلا ، او جريا وراء آثاره ، نهفو اليها في لهفة وشدة شوق .

لقد راينا حتى الآن ان الشعر يضم كثيرا من التجارب الانسانية العامة ، الى جانب التجارب الخاصة بالشاعر ، والمتاثرة بالاولى الى حد بعيد ، ولكن الشاعر اذ ينتهي من ابداع عمله الشعري ، ويدفع به الينا ، يخرج وعليه اسم صاحبه وحده ، وكان كل ومضة من ومضاته ، وكل خلجة من خلجاته ، هي ملك له وحده ، وكل النقاد والدارسين ، لايذكرون هذا العمل الشعري الا مقرونا به فقط ، على حين ان نسبة مائوية منه قد تقل وقد تكثر ، هي من معطيات الكيان الانساني العام. فجميع الناس يعانون التجارب النفسية ، وتكلفهم احيانا كثيرة آلاما واحزانا ، وتؤثر تأثيرا عميقا في مصائرهم واتجاهات حياتهم ، فاذا ظهر بينهم شاعر استفاد من تلك التجارب التي عاناها الناس ، عن طريق اتحادها بتجاربه الخاصة ، هذه التي تكون عادة اعمق من الاولى ، ومزج بين الجميع مزجا بارعا ذكيا ، يصعب عليك معه ان تميز بين ما هو للجماعة وما هو للفرد ، وان شئت مثالا محسوسا لهذه القضية ، فعليك ان تنظر الى ذلك البناء الجاري امامك ، الا ترى انه يتعاون على رفعه عشرات العمال ، هذا يحمل الحجارة ، وذاك

يحمل التراب ، والآخر يرفع الاخشاب ، وآخرون يتولون وضع هذا كله في موضعه المناسب ليصعد البناء ، بيد ان هؤلاء لايذكرون ولا يشار اليهم عندما ينسب هذا البناء الى المهندس الذي وضع التصميم ، أو المقاول المشرف على عملية البناء ، مع ان اثرهم موجود في كل شبر منه . ونحن لا ننازع الشاعر في هذا الامر ، لاننا نعلم مقدما انه لم يقم بعمل يخطر علينا ان نساهم فيه ، فالمجال واسع ويمكن لكل من انس من نفسه الاستعداد ان يلجه ، والشاعر نفسه يكون مستعدا للاخذ عنا والاستماع الينا اذا نحن استطعنا ان نجاريه في مضماره ، والمشاعر الانسانية قدر مشاع بين الناس جميعا ، اذ هي الناحية التي تمردت على ميل الانسان الى اقتسام مناطق النفوذ ، فلم يكن في امكان احد ان يعلن بقوة : هنا تبدأ مشاعري!! كما يقول هنا تبدأ ارضي وممتلكاتي . . . ولعل شيوع هذه المشاعر بقية من شيوعية الارض وشيوعية الجنس ، التي سادت فجر الحياة البشرية . واذا كان الشاعر قد استحق ان يختم على عمله الشعري باسمه وحده ، فلانه قد بذل جهدا (فنيا) لم نستطع نحن ان نبذله لافتقارنا الى الوسائل التي تيسرت له . واقيد الجهد بانه فني ، لاننا في الحقيقة قد نبذل جهودا في معاناة العواطف ثم التعبير عنها ، ولكنها جهود فطرية اكثر منها مكتسبة ، ومن ثم فهي ليست فنية . فنحن ــ مثلا ــ ننشد الاناشيد الحماسية في كثير من مواقفنا الوطنية ، تلك التي وضعها لنا شاعر ما ، وتصدر عنا كلمات العطف والشفقة اذا نحن مررنا بيتيم في اسمال بالية ، ونسكب في آذان حبيباتنا ما تكنه لهن من شوق وحنين ، ولكن كل هذا قد يكون من خامات العمل الفني ، دون ان يكون هو العمل الفني نفسه ، فلا يرفعنا الى مقام الفنانين ، وانما يتركنا في المستوى العادي لاكثرية الناس . بينما الشاعر يفعل نفس ما نفعله نحن ــ مع وجود الفارق ــ اي انه يقوم بردود افعال مختلفة امام شتى المؤثرات التي تحيط به ، ويزيد علينا بقدرته على ان يستمد منها آثارا جميلة معبرة عن عمق في التجربة ، وذلك هو سر هيمنة الشاعر على العمل الشعري ، وقبولنا لهذه الهيمنة ، بالرغم من مساهمتنا غير المباشرة في جزء مهم من محتويات عمله ، بمقتضى كونه واحدا منا ، ويحمل في نفسه كثيرا من طبائعنا ، ويأخذ مادته احيانا من نتائج معاناتنا ، بل نحن لا نكتفي بذلك ، وانما نحيطه بمظاهر التكريم والاعجاب ، ونحله من انفسنا مكانا عاليا ، ولا نذكره الا هفت نحوه قلوبنا ، واكتحلت بطيفه مآقينا ، ولا غرو ، اليس بلبلنا الفريد ، وصفوة ما رزقناه من استعداد لحب الفن والهيام باسرار الجمال ؟ الا تنساب اعماله في حياتنا العاطفية فتشيع فيها الانس ، وتتوهج في خيالنا فتغمره بموتقات الاماني ؟ الا يصبح شعره رسولا بين المحبين ، وعزاء للمعذبين ، وثراء للمحرومين ، وضميرا للشعوب ، واملا للاجيال ؟ ها هنا تبدو لنا عظمة العاطفة الانسانية عندما تصادف انسانا شغوفا بالكلمة ، آخذة في صعود مراقي الفن ، مرورا بالادباء والشعراء الصغار ، الى كبارهم ونبغائهم ، الى ان تتوهج على قمة الجهود البشرية ، موصولة الاسباب باسرار الخلود ، مضافة الى المعالم الكبرى في تاريخ الانسانية الطويل ، مشرقة كالشمس على جغرافية الفكر الانساني على اختلاف العصور ، حتى لتصبح دولة داخل الدول ، وامبراطورية داخل الامبراطوريات ، دائما تعود اليها الانسانية لتجد فيها مجالا لتجريب عبقريتها ، وصدى لما يهزها من خطوب واحداث ، وهنا ينقلب الشعر رائدا عظيما يحث الخطى نحو مثل عليا وقيم خالدة ، فاين منه تلك المشاعر المشتركة بين الناس ، والتي اليها يرجع ما للشعر من قوة عندما يتراجع عن مكانه الممتاز ، وينحل الى العناصر الاولية التي يتركب منها ، فيرتد الى حياة الناس في مسراتهم واحزانهم ، شأنه شأن طائر خلق في مجتمع الطير ، فيه كل ما في بني جنسه من خصائص ومميزات ، ولكن الطبيعة لم تلبث ان اخذته بكثير من الاعداد الخاص ، قوة في الجناحين ، وصلابة في الجسم ، وحدة في المخالب ، وحصانة ضد عوارض الجو ، فارتفع يحلق مع الطيور في مجالها المحدود ، ولكنه استطاع التفوق عليها في الطيران ، عروجا الى اعلى ، صامدا امام تقلبات الطبيعة الهوج ، على حين انها تقوض اجنحتها ، وتطاردها لتعود الى اوكارها تحتمي بها في وجل الضعيف واضطراب المهزوم . ولكن هذا الطائر الغلاب لو تصورنا امتيازاته تولت عنه ، لعاد القهقرى الى حيث يوجد غيره من الطيور ، كما اننا لو تخيلنا امكان تمرد الكلمة على الشاعر واعتدال عواطفه وانطفاء ومضات فكره الحادة ، لعاد الى حيث يزحف ملايين الناس ، غامسة اقدامها في الوحل ، مضطربة في طريق الحياة السلطاني الطويل . وكما يحلق ذلك الطائر الجبار ما شاء له التحليق ، واخيرا يعود الى جذع شجرة ، او ثقب في جبل ، كغيره من الطيور ، يحلق الشاعر العظيم في آفاقه البعيدة المترامية الاطراف ، فيصنع اعماله العظيمة الرائعة ، ليعود بها اخيرا الى بسطاء الناس ليعرضها عليهم ، منتظرا اقبالهم عليها ، معجبين بها ، حتى ولو كانت في اساسها من ابتكار خيالهم الشعبي

كالاساطير والخرافات التي قد يجعلها الشعراء من وسائل بيانهم . وهو ـ اي الشاعر ـ لا يعود الى الناس على هذا النحو فحسب ، ولكنه يعود على نحو آخر ، وهو التصاقه بالارض التي يزحفون فوقها ، ليلتقط مادته من صميم الحياة ، ثم يحلق بها من جديد ، كما يفعل ذلك الطائر عندما يترك الاجواء العليا ويهبط الى الارض ، باحثا عن غذائه الذي ما ان يتزود منه حتى يرتفع مرة اخرى الى فضائه الرحيب . وقد يكون من المفارقات العجيبة ان ذلك الشاعر الممتاز على بقية الناس ، صاحب المملكة السماوية الواسعة الارجاء ، يتخلى عن عليائه ويحل بيننا نحن الناس العاديين ، ليستمع الى اغنية تترنم بها فتاة بدوية ، او مطارحات نتبادلها في جلسة ودية ، او ينظر مسحورا الى نبات غرسناه بايدينا ، او باقة ورد قطفناه بأصابعنا ونسقناه بأذواقنا ، او ما الى ذلك من عاديات حياتنا التي قد لا يخطر لنا على بال ان تكون مصدر الهام الشاعر المبتكر . وهناك عدد كبير من شؤون الحياة العادية ، نتصل به من قريب او بعيد ، دون أن يدور بخلدنا انه ذو خطر ، الى ان يجيء الشاعر المبدع ، فيجد فيه ينبوع فتنة وسحر . كيف ذلك ؟ هل نحن ذوو قلوب غلف ، واذان صم ، وعيون عمي ؟ لماذا سلخنا سنوات وسنوات من اعمارنا ننظر الى تلك الشجرة ، وذلك الجدار ، وهاتيك المغاني ، ونستمع الى ذلك الطائر ينقر شرفة بيتنا ، والخرير صادرا عن غدير قريتنا ، من غير ان نحسب ان لهذا علاقة بالشعر ، وانه مادة صالحة للشعراء ؟ اتكون مهابط الوحي الشعري على مقربة منا ، وعن يميننا وشمالنا ونحن عنها غافلون ، ثم ياتي اخيرا انسان فيزيل الغشاوة عن اعيننا لنرى اننا كنا شبه اموات قبل ان تمسنا عصاه السحرية ؟ سيبقى سر ذلك عند الشاعر الذي ربما كان هو الآخر لا يدري من امر نفسه شيئا ، سوى انه خلق هكذا ، طرازا خاصا من الناس ، يقترب منهم حتى ليشم رائحة عرقهم ، ويبتعد عنهم حتى ليبعد مئات الفراسخ والاميال ، خاضعا في ذلك لقوة لا يعرف لها مصدرا . ولامر ما شاءت الطبيعة الا تركب العين الشعرية في وجوه جميع الناس ، بمعنى أن تجعل منهم اناسي يعيشون للشعر ، فماذا يحدث لو كنا جميعا ننظر الى مظاهر الحياة كشعراء ؟ لنتصور وضعنا الاجتماعي مع هذه الحالة ، لنتخذ من الاسرة الواحدة مجالا لتطبيق هذا الامر المفترض . هب ـ مثلا ـ ان جميع افراد اسرتي ـ بما فيهم انا وزوجتي واولادي ـ شعراء (1) ، فكيف ينعكس ذلك على حياتنا المشتركة ؟ الكل يعلم ان الشاعر الذي نذر نفسه لفنه واعطاه زمام امره ، كلف بالجمال في أسمى معانيه ، شغوف بالكمال يطلبه بكل عصب من اعصابه ، متبرم بكثير من الاوضاع المستقرة من حوله ، وانه تصدر عنه احيانا تصرفات غريبة ، وقد يعتاد عادات شاذة ، وتستبد به نزوات حادة ، متأثرا في ذلك كله بالطبيعة النفسية المفطور عليها ، الامر الذي قد يضر بالناس المحيطين به ، فلا يستطيعون التوفيق بينه وبين مقتضيات الحياة العائلية المشتركة ، فاما ان يقطعوا الاسباب التي تصلهم به ان كان ذلك في الامكان ، واما ان يتحملوه متأسين بكونهم يؤدون واجبا لامتهم ، اذ يحيطون برعايتهم شاعرا من شعرائها الافذاذ . فاذا كان جميع افراد اسرتي شعراء ، كان لكل واحد منا نزواته واحواله المتناقضة وحماقاته ايضا ، وبذلك لا نستطيع ان نعيش مجتمعين تحت سقف واحد يوما واحدا ، في جو هادىء جميل ، اذ ان كل واحد منا سوف لا يحتمل الآخر ، وهكذا نفهم انه لكي يكون انسان ما شاعرا يهب حياته لهذا الفن الجميل ، لا بد من وجود أناس عاديين من حوله وعاديين جدا ، يقدمون له الرعاية الكافية ، لينصرف الى آفاقه العلوية ، ويعيش في ملكوت الشعر وادعا رضي الخاطر مطمئن البال . وقد لا يجد الشاعر ممن حوله رعاية على الاطلاق ، فهم يحاربونه ويناصبونه العداء ، ويفسدون عليه جوه الجميل ، ولكن هذا كله قد يحتمل الا ان يكون الكل شاعرا . فاذا نحن خرجنا من محيط الاسرة الى المجتمع الكبير ، لنجده بقدرة قادر ، مكونا من الشعراء فقط ، تصورنا مدى الحماقة التي ارتكبناها عندما ذهب بنا الخيال بعيدا فافترضنا هذا الافتراض الغريب ! !

واذن يكون الخير كل الخير في الوضع الذي اقرته الطبيعة التي لا تخطىء ابدا ، وهو ان تبقى القدرة الشعرية مقصورة على افراد معدودين في كل بيئة ومجتمع ، على حين أن الآخرين ينصرفون الى شؤون دنياهم الكثيرة ، دون ان يمنعهم ذلك من أن يحلموا احلاما شعرية جميلة في بعض لحظات حياتهم .

فاس : عبد العلي الوزاني

1) اقصد بالشعراء اولئك الذين وهبوا حياتهم للشعر ، لا من يقولون الشعر في بعض الاحيان .

الوجود وتكسره (1)

بقلم الدكتور حسين نصر
استاذ الفلسفة بجامعة طهران
تعريب الدكتور عبد اللطيف السعداني

لو بلغ الانسان مقام الكشف والشهود لاصبح تعريف الوجود من اسهل الامور . غير ان ذلك محال بدون التوسط بهذا المقام ، فليس للعقل (2) — وهو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الوجود من حيث هو وجود — مفهوم اوضح من مفهوم الوجود (3) اذ ان اصل العقل والوجود واحد . اما عند ما يمنح الكشف والشهود مكانهما للعقل الاستدلالي فان كلمة الوجود تصير « اكثر الكلمات غموضا » . تتضح هذه القاعدة جيدا في الحكمة اللدنية والفلسفة الجديدة ؛ فقد كانت الحكمة اللدنية سواء في الشرق او في الغرب مبنية على العقل الكل ولذلك بقيت مصونة من التعقيد والابهام حول مفهوم الوجود . ولكن الفلسفة الغربية الجديدة منذ عصر دكارت الى بداية هذا القرن كانت تتبع أحد انواع الاساليب المحدود بالاستدلال يعني Rationalisme وعلى ذلك كانت تقع دائما في صعوبة ادراك معنى الوجود . ويبلغ عدم هذا المفهوم درجة دفعت بعض الفلاسفة المعاصرين في الغرب الى ان يجعلوا اساس فلسفتهم الوجود الجزئي والارتباطي Existence او « الظهور » بدلا من الوجود الكلي « Etre » ناسين ان كلمة الوجود الجزئي في اللغات الاوربية يعني Existence مشتقة من الاصل اللاتيني « Ex-Stâre » التي هي بمعنى ؛ موجود مبني على اصل غير نفسه .

لقد عرف الوجود في الحكمة اللدنية التي سماها Leibnitz « Pilosophia perennis » بالتعين الاول الذي لا اسم له ولا رسم لذات الباري تعالى ، كما عرف بمبدأ ومنشأ جميع صفات واسماء العالم (4) ونحن نقصر بحثنا في هذه المقالة المختصرة على المقولة الثانية لانها اقرب الى موضوع الفلسفة ، ولكن يجب ان نذكر ان للحقيقة في الحكمة اللادنية والعرفان وجود وذات وراء كل نوع تجل . وظهور ووراء الكون والظهور معا .

---

1) تكسر يعني Paratisation فكما ان العدسة تظهر نور الشعاع منكسرا فان العالم ايضا يكسر الوجود المطلق في تشتت الوجود المقيد .

2) المقصود بالعقل هنا هو العقل الكل او العقل القدسي وآلته عند العرفاء هي عين القلب ، فبالاستفادة من هذه الآلة يمكن مشاهدة الحقائق مباشرة . العقل الكلي Intellect فعال ويحصل مباشرة على العلم والمعرفة . اما العقل الجزئي Raison فمنفعل ومتكسر وليست له طريقة مستقيمة للحصول على العلم . فطريقة العقل الكل توائم الاشراق والشهود.وطريقة العقل الجز هي الاستدلال والبرهان. لقد كان غلط الفلسفة الجديدة منذ عصر داكارت الى اليوم هو: اولا في المعرفة Intellect وال Raison مما جعل اتباعها لا يستطيعون فهم العرفان والحكمة الذوقية .

3) ان للوجود جهتين : احداهما مفهوم الوجود الذي هو اكثر الامور بداهة للفهم . وثانيهما حقيقة الوجود، والوصول اليها في غاية الصعوبة ، ولا يمكن مطلقا ان يزعم فهم ادراكها كما يقول الملى هادى البزواري في منظومته :

مفهومه من اعرف الاشياء — وكنهه في غاية الخفاء

4) ان ما وراء الوجود او العماء هو في الحقيقة جهة من الحقيقة ليس لها اى نوع تعين في حين ان الوجود هو تعين حقيقة بالنسبة لتجليه اوتعد بذلك جهة شخصية للالوهية .

F. Shuon : « Les stations de la sagesse », Paris, La Barque du Soleil, 1958, p. 30

ان الفكر الانساني الذي هو انعكاس انفعال العقل الكل يميل بالطبيعة الى تجزئة تجاربه وتركيبها ، فعندما يحس الانسان شيئا معتدل الحرارة ، ينطبع بالفطرة في فكره تصور الحرارة والبرودة اللذان يكون مجموعهما اعتدال الحرارة . وعلى هذا النحو عاين الحكماء والقدماء ان لكل شيء « شيء » اعطى بواسطته الواقعية وحال دون ان يكون معدوما « على اعتبار ان كل وجود طارد للعدم » كما ان له محدودية تميزه عن الاشياء الاخرى . ذلك « **الشيء** » في اصطلاح الفلسفة الاسلامية هو « الوجود » وتلك المحدودية هي « الماهية » ، علاوة على ذلك فقد جعلوا الوجود المطلق هو ما وراء كل الموجودات. واعتبروا الوجود الجزئي وظهور الموجودات فقط بالنسبة الى الوجود المطلق . لقد كان هؤلاء الحكماء يدركون تماما بان الموجودات من حيث هي موجودات غارقة في بحر الوجود ، لذلك فقد وضعوا تعريفات للوجود على هذا النحو : « الوجود : ما به يمكن ان يخبر عنه » او : « الوجود : ما بأثر الكل » او « امكان الخبر عن الشيء وجوده » .

يجب ان لا نغفل ان المقصود ب « وجود » الاشياء هو فقط بالنسبة الى الوجود المطلق . ويعترض الفيلسوف الفرنسي باسكال Pascal في احدى مؤلفاته بانه لا يمكن تعريف الوجود المطلق لان هذا التعريف متوقف على استعمال كلمة « وجود » التي تشتمل هي نفسها هذا الموضوع الذي نريد تعريفه ويؤدي حسب اصطلاح القدماء الى الدور وحيث ان الدور سيتلزم تقدم الشيء على نفسه فهو باطل . وللجواب على ذلك يجب الرجوع الى النسبة بين الوجود الكل والوجود الجزء .

ان بناء بعض اللغات مثل اللغة العربية يوضح الحقيقة العرفانية لاستغراق الموجودات في الوجود . فكل الاشياء في اللغة العربية تنضوي نسبيا تحت الوجود ولا يحتاج في تعريف شيء الى كلمة «الوجود»(1)

ويمكن تعريف اي صفة بكلمة « الوجود » وذلك من حيث ان الوجود مبدأ كل صفات العالم . فالمراد في الحقيقة من جملة « الجبل ابيض » هي ان الوجود له صفة البياض فقبل الوجود اذن اما ان يقيد معنى الوجود او ان يقيد معنى صفة من الصفات (2) ، كما ان الوجود المطلق موجود وله في الوقت نفسه اتباع يعني النور والعلم وغيرهما . ان اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات المستغرقة فيه امر عديم الجدوى، كما قال بعض الحكماء :

« اثبات الوجود المطلق عن طريق الموجودات غير ممكن لا من حيث عدم الاستطاعة فحسب بل من حيث ان الوجود في كل مكان ولا يمكن وجود غيره » (3) .

ان النسبة بين الوجود الكلي Etre Being والوجود الجزئي Existence في اللغة العربية واللغة الفارسية واضحة . فكلمة الوجود في هاتين اللغتين تفيد معنى الوجود من حيث هو وجود كما انها تفيد معنى وجود الشيء ، فمثلا يمكن القول ان اتباع الوجود هم النور والعلم وغيرهما ؛ كما يقال ايضا الشيء الفلاني موجود ، فالموجودات باسرها تشترك في الوجود . والماهية هي التي تشخص الموجودات عن بعضها، وهذه في الحقيقة هي المثل الافلاطونية او الاعيان الثابتة لدى العرفاء. وهي ايضا معنى الصورة والهيولي ان المادة هي المحدودية والصورة هي الرابطة التي تربط الموجود بالوجود الكلي. الوجود والماهية هما بابا وجود العالم ، والممكنات تقع بينهما وبين الكل ؛ ووراء احداهما واجب الوجود ، ووراء الاخرى العدم المطلق .

لقد اطلق كل مذهب من مذاهب الحكمة اللدنية اصطلاحا خاصا لتعدد الوجود ، فمثلا يتحدث الـ تاؤليست Taoist الصيني عن يين Yin وياتك Yang ويتحدث البرهمان عن بوروشا Purucha وبراكيرتي Prakiti ويتحدث المزدكيون عن الخير والشر ويتحدث الاشراقيون عن النور والظلمة ويتحدث عرفاء الاسلام عن تجلي الوجود والعدم . غير ان اهل هذه الاصطلاحات حقيقة واحدة لا غير .

فجميع الممكنات تكونت من سلسلة من المراتب تبتدىء بالمادة الاولى وتنتهي الى الوجود الكلي ،

---

1) فمثلا معنى « موجود » ظاهر في تعريف «الانسان حيوان ناطق » من غير استعمال كلمة « موجود » .

2) اذا كان مقصود الوجود « شيء » فمفاد كان تام واذا كان صفة من صفات موجود فمفاد كان ناقص .

3) يقول الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي : « رايت اسماكا صغيرة تمتص ثدي امها وتسالها لقد سمعنا كثيرا من الماء فأين هو ؟ أرينا اياه ؟ فاجابت السمكة الام : اروني غير الماء حتى أريكم الماء» يقول احد العرفاء المعاصرين :

ان الحبيب اقرب مني الي واعجب من ذلك اني بعيد عنه
فلمن أبوح : واعجبا ان الحبيب جنبي وانا مهجور

والموجودات كلها تشبه دوائر متحدة المركز ، كل موجود يرتبط مباشرة بالمركز كما ان جميع الاعداد ترتبط بالعدد « واحد » من غير ان تنشا عن بعضها ، فمائة هي مجموع تسعين وعشرة غير ان لها في نفس الوقت صفات وخصوصيات ليست لـ تسعين ولا لـ عشرة ؛ ومجموع هذه الخصوصيات هي ماهية المائة ، وتكونت مائة من جهة اخرى من تكرار الواحد الذي يشبه في توليد الاعداد الوجود في ايجاد الاشياء. ان سائر الاعداد تتفق في انها تركبت من العدد واحد وتتباين في ان كلا منها له خصوصيات تنحصر فيه وكذلك الامر في سائر الموجودات تتفق من حيث الوجود وتختلف من حيث الماهية .

قسم الحكماء احكام الوجود الى احكام ايجابية واحكام سلبية . موضوع الاحكام الايجابية هو الوحدة والكثرة والعلة والمعلول والقوة والعقل والجوهر والعرض والعلل الاربعة والمقولات العشرة . وهذه الاحكام هي جوانب من الوجود يمكن معرفة الممكنات بواسطتها . والاحكام السلبية هي عدم تعريف الوجود كون الوجود بسيطا وعدم كونه مركبا وكون الوجود كلا وعدم كونه جزءا وقس على هذا .

فبتركيب هذين المسلكين يعني طريق الاحكام الايجابية والسلبية يتيسر العلم الكامل بالوجود .

الوجود من جهة هو ما وراء العالم الظاهر « ولا شيء خارج عنه اصلا » (1) . ومن جهة اخرى ؛ منه تنبع جميع صفات العالم واليه تعود (2) . ان معنى الخلقة في القرآن المجيد هي اعطاء الوجود ورسم الاعيان الثابتة في اللوح المحفوظ كما يقول الشيخ محمود الشبستري في « كلشن راز » :

وما ان نفخ قاف قدرته من روحه في القلم
حتى انطبعت آلاف الاشكال على لوح العدم
تلك القدرة التي اظهرت الكونين
من الكاف والنون في لمح البصر

ان التاويل العرفاني لكلام القرآن المجيد الذي يقول بأن الله ظهر في العالم باسمائه ، هو ان الوجود ظهر في صفاته . ورد العدم — في الخلق من العدم الذي هو من اصول اغلب الاديان — بمعنى عالم الاحدية او اقل تعيين ذات الباري تعالى التي لم تتشخص فيها بعد درجة الاعيان الثابتة عن بعضها البعض . الخلقة يعني تصور امكان ظهور تعيين الممكنات في العقل الكل وبالتالي ايجادها . العالم في راى العرفاء هو مجموعة من المرايا ينجلي الوجود في كل منها بدرجة معينة كما اشار ابن العربي الى ذلك في فصوص الحكم « جميع الممكنات في الحقيقة عدم . ولا وجود غير وجود الله تعالى الذي ظهر بصورة الاحوال ، المختلفة الناتجة عن الممكنات مثلما هي في نفسها ؛ يعني في تعينات ذاتها » . فكل الموجودات تشترك في الوجود وهي بدونه عدم صرف . كل ذرة في عالم الخلق مظهر من وجوده استقرت في مكان وزمان واستوفت شرطين ، هما الصورة والكمية .

ان للرحمة الالهية الفريدة حسب قول العرفاء فيض يحتضن كل شيء حتى العدم الذي هو في الظاهر ضد لها . يقول مولانا (جلال الدين الرومي) في ديوانه مثنوى معنوى :

نحن العدم الذي هو مظهر الوجود
وانت الوجود المطلق لوجودنا
كينونتنا وتكوينها من عطائك
ووجودنا كله من ايجادك
لقد جعلت العدم يعشقك
وبذلك عرفته لذة الوجود
لم نكن ، ولم نطمح لان نكون
فعطفك هو الذي سمع صمتنا

بعد هذه الجولة المختصرة في تعريف الوجود نرى اننا وصلنا الى هذه النتيجة وهي ان الموجودات كلها ترتبط من حيث الوجود ومن حيث الصفات بالوجود المطلق ، لذلك لا يمكن تعريف الوجود بنسبته الى شيء خارج عنه ، فالوجود من جهة هو التعين الاول للحقيقة المطلقة وهو من جهة اخرى نور يكون باشراق على مثل الامكانات ؛ يعني الاعيان الثابتة ، الاشكال والاجسام التي تشكل العالم . ان الموجود سلم بين العدم والوجود فهو من حيث كونه بعيد عن الوجود المطلق ليس الا حلما وخيالا ولكنه في نفس الوقت يتصف بالواقعية من حيث كونه لا شيء غير الوجود . وحدة الموجودات اى ذلك الترابط الذي يشبه الخيوط التي تجمع عناصر العالم كلها مع بعضها هي مشتقة بذاتها من وحدة الوجود لان

---

1) جعل الصوفية والعرفاء معنى « لا اله الا الله » هي وحدة الوجود . يقولون: لا وجود غير الوجود المطلق. راجع الفصل الاول من فصوص الحكم ، وتنزيل الارواح لعزيز النسفي .

2) لا يمكن عد هذه الصفات امرا ذهنيا فقط لان مكانها في الوجود وفي سلسلة المراتب اكثر واقعية من طبيعتنا وهي تعين طبيعتنا بالدرجة التي تجعل فيها انفسنا مثل الوجود المطلق . قابليتنا لهذه الصفات هي بالقدر الذي لنا من الصفات » .

F Schuon : « Sentiers de Gnose », Paris, La Colombe, 1957, p. 115.

وجود العالم هو الظهور الكلي للوجود المطلق ، وعلم الموجودات يؤول الى علم الوجود لان كل الاشياء غارقة في بحر الوجود .

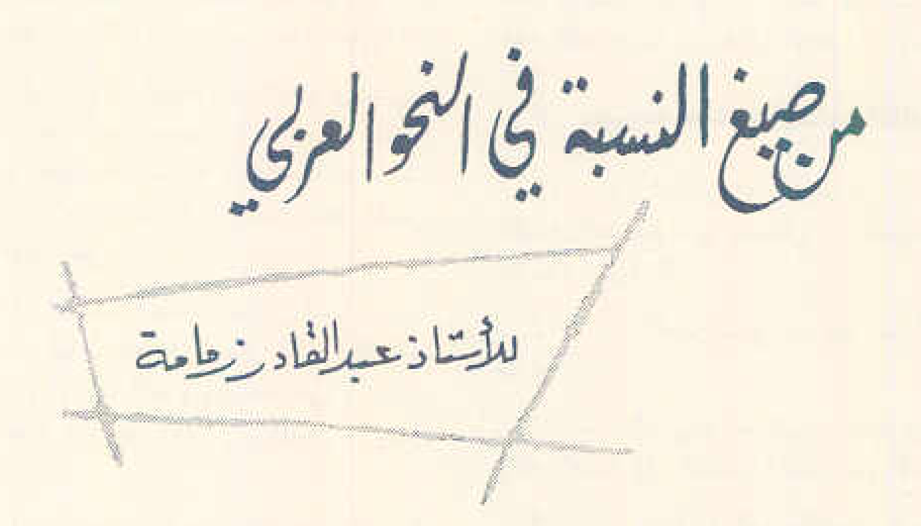
ان قولة دكارت المشهورة « انا افكر فانا موجود » توضح جيدا ابهام مفهوم الوجود فى الفلسفة الجديدة لان كفة تجربة الفكر فى هذه الجملة ارجح من معرفة الوجود . ولكن لا مجال لترديد او شك فى الحكمة اللدنية،حيث ان الوجود هو المركز الذي يمكن بواسطته معرفة كل الاشياء .

وبنفس الدرجة التي ينساق معها العقل الاستدلالي بذاته ابدا الى الشك ، فان الذوق والشهود، ينتهيان الى اليقين ، لان العالم او العلم يصبح واحدا مع المعلوم او الوجود فى العقل الكل او عقل العالم القدسي ويكون اليقين حصيلة هذا الاتحاد بين العلم والوجود .

فكما ان هدف العلوم القديمة هو اظهار وحدة الموجودات والعلم بناحية من الوجود فان غاية الحكمة اللدنية هي معرفة الوجود من حيث هو وجود ثم الاتحاد به وعندما يصبح الاتحاد بين العلم والوجود ميسرا فلن تعترض تعريف الوجود اية صعوبة . واذ ذاك يمكن القول بأن « الوجود هو ما هو موجود » من دون ان ينتج عن ذلك تكرار عقيم .

غير اننا ما دمنا لم نصل الى هذا العلم الرفيع بالوجود فليس امامنا طريق غير ان نعرف الوجود : بانه مبدأ اصل الموجودات ، فنعرف الوجود المطلق عن طريق وجود العالم والصفات الدنيوية التي هي لا شيء غير تكسر الوجود وتجليه على لوح العدم .

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني



من صيغ النسبة في النحو العربي

للأستاذ عبد القادر زمامة

في كتب التاريخ والجغرافيا ، وفي معاجم الرجال وطبقاتهم ، بالاضافة الى كتب اخرى تعنى بموضوعات التراث الاسلامي في الفلسفة والمنطق والطب والصيدلة وغيرها .. يجد الباحث نفسه ازاء كلمات وضعت موضع النسبة الى عدة اشياء فيها الاعلام ، من بقاع ، وقبائل ، واجناس .. وفيها غير الاعلام من حرف واعضاء واسماء الذوات واسماء المعاني وغيرها من كل ما تصح النسبة اليـه ..

ورغم ان النحاة قديما وحديثا عقدوا في كتبهم المطولة والمختصرة بابا سموه باب « النسبة » او « النسب » ورغم انهم جعلوا هذا يدور حول الحاق الياء المشددة بآخر الاسم المنسوب ... لتظهر عليها علامات الاعراب .. مع بعض التغييرات اللاحقة لبعض الصيغ ، والمقصور والمنقوص والممدود .. والمحذوف بعض اصولـه ...

ورغم انهم جعلوا المنسوب في قوة الاسم المشتق حيث اعطوه صلاحية اسم المفعول في العمل .. ! برفع النائب عن الفاعـل ...!

فان هذا كله ليس الا قاعدة للاسماء التي نسبت بالفعل بهذه الوسيلة وهي الحاق الياء المشددة .. اما الاسماء الاخرى التي نسبت فعـلا بصيغة اخرى ... وعلى طريقة اخرى .. واستعملت فعـلا في كتب التراث الاسلامي منذ العصور القديمة ... فان النحاة يمرون عليها مر الكرام ... ويعتبرونها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها رغم كثرتها وشهرتها ، واستعمالها منذ العصور الاولـى ..

وهذا ابن مالك يختم باب «النسب» بهذا البيت الشهير ..

وغير ما اسلفته مقررا
على الذي ينقل منه اقتصرا

بعد ان قعد قاعدة المنسوب بالياء .. واشار الى ما يستغني بالصيغة عن اليـاء ..

كبزاز — ونجار — وعواج — وعطار .

في النسبة الى بيع البز ، والنجارة ، وصناعة العاج ، وبيع العطـر .

وقد لفت نظري ان سيبويه عقد في « الكتاب » بابا سماه هكذا « باب الاضافة وهو باب النسبة » مشتملا على عدة فصول ، من جملتها فصل فيه اشارة الى اسماء فيها النسبة بالالف والنون .. مثل :

جماني — لطويل الجمة .

اللحياني — لطويل اللحية .

الرقباني — لغليظ الرقبة .

كما ذكر اثناء الباب : الروحاني ، و الرباني ، في النسبة الى الروح ، والرب .

وقد دفعني هذا الى مزيد من البحث عن هـــــذه الصيغة في كتب النحو المطولة .. لاسيما وقد تزاحم امام السمع والبصر عدد من الكلمات نسبت بهذه الطريقة .

لكنني كنت اخرج من مراجعة كتب النحو والصرف بنتيجة واحدة ...! وهي انهم يعددون المنسوبات بالالف والنون .. ويعقبون عليها بانها نسبة شاذة ...! فهـــذا العلامة رضي الدين الاسترابادي في شرحه المفيد علـــى شافيـــة ابن الحاجب يقول :

وقد يلحق ياء النسب اسماء ابعاض الجســـد للدلالة على عظمها . اما مبنية على فعال كأناني للعظيم الانف ..! او مزيدا في آخرها الف ونون كلحياني ورقباني وجماني لطويل الجمة .. وليس البناآن بالقياس ..! بــل هما مسموعان (1) ...!!

والاشموني في شرح الالفية يشير الى هذه النسبة اشارة عابرة ذاكرا منها بعض الامثلة «الشـاذة» (2) .

والشيخ خالد الازهري في « التصريح » يشيـــر في آخر باب النسب الى الشواذ وهي تسعـــة اقسام..! ويجعل هذه النسبة في القسم الثاني قائلا :

«والثاني بالزيادة فقط كقولهم مروزي بزيادة الزاي نسبـــة الى مرو — ورباني — وفوقاني — وسفلاني — وتحتاني — نسبة الى الرب . وفوق — وسفل — وتحت قاله طاهر بن احمد القزويني » (3)

وعبارات النحاة والصرفيين الآخرين لا تخرج عن هذا النطاق من كون النسبة بالالف والنون مسموعـــة شـاذة .

واذن فالنحاة من سيبويه الى من دونه يعتبـــرون هذه الصيغة اعني النسبة بالالف والنون شاذة تحفظ ولا يقاس عليهـــا ..

وحيث ان هذا كله لم يكن كافيا لاقناعي بطـــي البحث والاعتماد على قول النحاة القدامى والمحدثيـــن فقد اتجهت الى المعاجم اللغوية لاخذ رأيها ومذهبهـــا في الموضوع ..

والمعاجم اللغوية تحتاج الى استقراء مواد اللغة مادة مادة ليمكن استخراج المنسوبات بالالف والنون ..

وهذا عمل يحتاج الى زمان وفراغ ... ورغم ان الاستقراء التام لم يكن متيســـرا ... فقد حصلت على مجموعة من هذه المنسوبات من خلال اوقات ... ومراجعات

أ) مجموعة لصفات الانسان الخلقيـــة

1) — البلتعي ، والبلتعاني : فالبلتعي الرجـــل اللســن الفصيح ، والبلتعاني : المتظرف المتكيس وليس عنـــده شيء ...!!

2) — البيذرانـــي : رجل بيذراني كثير الكـــلام مهــذار

3) — خالصي وخلصاني : يستوي فيـــه الواحـــد والجماعـــة (4) (بمعنى المختار من الاصدقاء) .

4) — رجل رباني والجمع الربانيون . والكلمة مذكورة في القرآن الكريم بصيغة الجمع ... وقد وردت في الآثار بصيغة الجمع وصيغة المفرد ، ومعناها شهيـــر معـــروف ..

5) — رجل قنعاني وقنعان : قال الشيخ مرتضى في (تاج العروس) ومما يستدرك عليه (صاحب القاموس) رجل قنعاني بالضم كقنعـــان ...

والقنعاني هو الذي يرضى الناس برأيه وشهادته وحكمه ويقتنعون بكلامـــه ...

ونص صاحب القاموس على ان قنعان ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ..! ويظهر أن القنعاني كذلـــك ...

6) — كلماني : بفتح اللام وتسكينه ... مع صيغ اخرى في القاموس ... الفصيح الكثير الكلام ...

7و8) — منظراني ، مخبراني : رجل مخبرانـــي منظراني ذو مخبر ومنظر . نص على ذلك الشيخ مرتضى في مادتـــي نظـــر ، وخبر من « التاج »

9) — وحداني : الرجل الوحدانـــي المفـــارق للجماعة المنفرد بنفســه ... قـــال الشيـــخ مرتضـــى : منسوب الى الوحدة . الانفراد بزيادة الالـــف والنـــون للمبالغـــة ...!!!

---

1) الرضي على الشافية — القاهرة 1926م ص 90.
2) الاشمونـــي ج 4 ص 192
3) التصريـــح ج 2 ص 337 .
4) انظر تاج العروس ج 4 ص 390

10 – عرباني : منسوب الى العربية فهو عرباني اللغة ....

11) – شهواني منسوب الى الشهوة وامراة شهوانية

ب) مجموعة لصفات الانسان الخلقية

نذكر منها على سبيل المثال :

1 – الشعراني : كثير الشعر

2 – اللحياني : عظيم اللحية

3 – الجماني : طويل الجمة

4 – الرقباني : غليظ الرقبة

5 – انفاني : عظيم الانف

6 – املواني : شاب ناعم .... وامراة املوانية ....

7 – انفخاني : رجل انفخان وانفخاني امتلا سمنا

8 – صدراني : كبير الصدر

9 – خوطانية : فتاة خوطانية منسوبة الى الخوط

10 – شعشعاني : الشعشعان الطويل الخفيف الجسم ، والشعشعاني الطويل العنق .

ج) مجموعة النسبة الى البقاع والاجناس والمهن

1) بهراني : منسوب الى بهراء من احياء اليمن ويقال فيه ايضا بهراوي على الصيغة المشهورة

2) صنعاني : منسوب الى صنعاء

3) الهندواني : سيف هندواني منسوب الى الهند

4) منبجاني : منسوب الى « منبج » بالشام ، قال ابن سيدة كساء منبجاني منسوب الى منبج على غير قياس ....!

5) العبراني : العبرانية اللغة الاسرائيلية ، والعبراني والعبري : اليهودي ....

6) البحراني : منسوب الى البحرين ....

7) اسكندراني : منسوب الى الاسكندرية .

8) الديراني : منسوب الى الدير .

9) الصيدلاني : منسوب الى الصيدلة . وهو الصيدلي ايضا ....

10) الطوراني : نسبة الى الطور بمعنى الجبل وقد اخذت الكلمة مدلولا جديدا شهيرا .

11) الفاكهاني : بائع الفاكهة ومنسوب اليها .

د) مجموعة منسوبات شتى :

1) الجواني : نسبة الى الجو بمعنى باطن الشيء .

2) البراني : نسبة الى البر بمعنى خارج الشيء ومنه : « من اصلح جوانيه . اصلح الله برانيه » وهو من كلام سلمان الفارسي ...

وقد اخذت كلمة «البراني» معنى الشيء الخارجي وقد ذكر الزمخشري في « اساس البلاغة »

« افتح الباب البراني » واستعملها في المعنى الحقيقي قبل ان يذكر المجازات ..

والاستعمال المغربي جار على ذلك فيقولون الباب البراني . ويعنون الخارجي ... ويصفون الطارىء على البيت او المدينة بالبراني ....

3) نوراني : منسوب الى النور .

4) روحاني : منسوب الى الروح . ولسيبويه وغيره من النحويين واللغويين كلام طويل في مدلول الروحاني .

5) نفساني : منسوب الى النفس .... وقد سبق ان نقلنا عن « التصريح » .

6) الفوقاني : نسبة الى فوق .

7) سفلاني : نسبة الى سفل .

8) تحتاني : نسبة الى تحت ....

9) ارنباني : منسوب الى الارنب يقال خز ارنباني يعني شبيه بلون الارنب في الدكنة ....

10) بحراني : دم باحر . ودم احمر باحر . وبحراني شديد الحمرة .

11) سمساني : منسوب الى السمسم .... الحب الدهني المعروف

12) جسداني : منسوب الى الجسد

13) جسماني : منسوب الى الجسم .

14) صوفاني : كبش صوفاني كثير الصوف .

هذه بعض الكلمات التي وجدتها في مناسبات شتى لمراجعة قاموس الفيروز بادى ، وتاج العروس

للشيخ المرتضى الزبيدي ولاشك عندي أن هناك عددا أكبر منها قد نسب بهذه الطريقة : طريقة الالف والنون .

وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق اللغوي ان تكون هذه الطريقةشاذة غريبة عن الاستعمال العربـــي ....!

وليس مما تطمئن اليه النفس ويرضى عنه الذوق اللغوي أن « ينفي » النحاة والصرفيـــون من كتبهـــم المطولة والمختصرة هذه الصيغة فى « النسبة » بينمـــا نجد المواد اللغوية فى المعاجم تقدم لنا كثيرا من الاسماء نسبت بهـــا ....!

— فاذا كانت هناك «النسبة» بالياء المشددة ....

— وهناك النسبة بصيغ فعال ، وفاعل ، ومفعال وغيرها

— فلتكن هناك نسبة بالالف والنون ...

والذوق اللغوي مستعينا بالقواعد الاساسية هو الذي يستطيع ان يستفيد من هذه الطرق كلها ويستعمل كلا منها فى المكـــان المناسب ...

فاس — **عبد القادر زمامـــة**



دم العروبة غال ...

للشاعر: محمد الحلوي

خطب ! ولا كخطوب هزت العربا — فصارعوها وصدوا عنهم النوبا

ومحنة جرعتنا الصار مترعة — كؤوسه وسقتنا صابها نقبا

تلك الفجيعة لم ترزء عروبتنا — بمثلها بين من عاشوا ومن ذهبا !

مشت بها عجلات الدهر مرصدة — للعرب فاغرة فاها الذي احتجبا

وصوبتها سهاما لم تصب هدفا — وانما مزقت ارواحنا اربا

قد داهمتهم وهم لاهون في دعة — فما استطاعوا لها صدا ولا غلبا

ومن ينم بجوار النار مغتبطا — وآمنا شرها يصبح لها حطبا

صهيون في صمتها تبني ووحدتها — فلا خلاف ولا دعوى ولا شغبا

والعرب تحيا على الامجاد راكبة — اهواءها همها ان تلقي الخطبا

في عالم حيواني شريعته — ان لا حياة به الا لمن نهبا

فلا وفاء ولا اخلاق يكبرها — ولا مبادىء يرعاها ولا ادبا

لا الغرب اعطته اخلاقا حضارته — الكبرى ولا الشرق من ايمانه اقتربا

والشرق قوته في دينه فاذا — جفاه ضاعت قواه واستحال هبا

فكيف اغفل قومي قوة خلقت — امجادهم ومشوا في ظلها حقبا ؟

وكيف ينسون دينا كان رائدهم — في كل نصر وكان القلب والعصبا ؟

وكيف ساروا فرادى والعدى كتل — تهز ايديهم الاجراس والطلبا ؟

ومن يحارب بلا دين يباركه — يخذله ما ساق من جند وما جلبا

❊ ❊ ❊

ومن وضاعة دنيانا وخستها   أن يسحب المسخ فيها ذيله عجبا !

وان ترى لبني صهيون الوية   خفاقة تتحدى هامها الشهبا

وان ترى الاسد من أبناء يعرب في   ايدي القرود تعاني الاسر والسغبا

اسد اذا زارت في اسرها انخلعت   قلوبهم وانثنوا من بأسها رهبا

كانوا ـ ومن سينكر ـ احرارا اذا ظلموا   يستصرخون الرماح السمر والقضبا

ولا يطيب لهم عيش اذا هضمت   لهم حقوق ولا يخشون من وثبا

لم يعرفوا الذل الا في قصائدهم   اهاجيا لاعاديهم ولا الغضبا

ولم يرق دمهم الا على شرف   ديست كرامته او مبتلى نكبا

شمائل عربيات توارثها   ابناء يعرب اما حرة وابا

* * *

فكيف تطمع صهيون وشيعتها   ومن يساندهم أن يقهروا العربا ؟

ومن لهم أن يردوا الاسد جامحة   او يوقفوا السيل هدارا ومصطخبا ؟

ومن لهم ان يهدوا الشم راسخة   اطوادها تنطح الاجواء والسحبا ؟

الغرب يعلم انا امة كتبت   في صفحة المجد ما قد ارهق الكتبا

واننا لم نهن يوما لطاغية   ولا ضعفنا فلم ندرك لنا طلبا

ونحن من عجموا الاحداث واقتحموا   اهوالها وامتطوا تيارها اللجبا

فلم يزدنا اقتحام الهول يفجعنا   الا اقتدارا على تذليل ما صعبا

مفاخر حسبها ـ لو لم تكن عربا ـ   بين الشعوب لامست وحدها نسبا !

* * *

عدمت قومي ان لم يثاروا لدم   جرى على عتبات القدس وانسكبا

دم سقى ارضها العطش فما ظمئت   من بعد وروى القيعان والهضبا

دم العروبة غال لا كفاء له   ولو شروه بما في ارضهم ذهبا

بكت فلسطين يوم الروع فتيتها   وعاركت وحدها الاهوال والكربا

يا يومها وفوى العدوان ترتع في   احشائها ونصب الموت واللهبا !

وقد ابيحت مجالي الوحي وانتهكت   واصبحت بين ايدي المعتدى سلبا

واطبقوا كانسياب السيل يجرف ما   يلقى فلم يتركوا سينا ولا نقبا

واصبحوا واهانيهم تعللهم   ان يدخلوا مصر او ان يفتحوا حلبا

كانما القدر الاعلى تحركه   آمالهم فيلبى كل ما طلبا

او آن يعرب قد خارت عزائمها ... وضيعت رشدها من هول ما ارتكبا

* * *

كانت مصابا وكانت غصة وشجى ... ونكبة وقضاء مبرما كتبا

الشر كشر عن انيابه شرها ... والغرب مزق عن اطماعه الحجبا

والعرب تصرخ في الدنيا مجلجلة ... كانما تسمع الموتى او النصبا

كفى بكاء ! فان النصر مرتهن ... بوحدة تصلح الوضع الذي انقلبا

وفي الخطوب لمن يمنى بها عبر ... اجدى وانمن مما ضاع او ذهبا

متى سترفع ايدينا مشاعلها ؟ ... وينصف الدهر من اعدائه العربا ؟

اني ارى الفجر قد لاحت بشائره ... وموعد العرب من دقاته اقتربا

محمد الحلوي





للشاعر عبدالله العمراني

بينما اغدو مليا … اذ رات عيني شهيا
منظرا يخلب لبا … ويثير الحب نيما
منظرا يستلفت الحـ (م) … ـس ويستدعيه : هيا !
قد يتيح النهى عجزا … قد يعير اللسن عيا
ان يكن ايقظ ميتا … فلكم اقبر حيا ؟

* * *

غادة قدت من البد (م) … ر جمالا والثريا
وغدا حسنها يسمو … في سما الحب سنيا
وسرى في الناس يغزو … كل مقدام كميا
واذا ما القلب سرعا (م) … ن ما اضحى « طابوريا » (1)
فاندحار المرء في هـ (م) … ـذي الوغى بات حريا

* * *

وقفت تجذب صبا … نحوها جذبا حصيا (2)
وهي في روعتها كالـ (م) … ـهـرة الفضة ريا
وهو منها في لحام … يجعل الجسمين شيا
قد احاطته بايد … بضة بيضاء ري
ثم راحت في حنان … تنقر الجسم الفتيا
باطا فيرحسان … كيت لونا بهيا

---

*) Lanjaron بلدة تقع جنوبي غرناطة ، وتبعد عنها نحو 40 كيلو مترا .
1) من « الطابور الخامس » وهو الاصطلاح الذي اطلق في الحرب الاهلية الاسبانية على دعاة الهزيمة .
2) متعقلا قامت به ذات حصاة اي ذات عقل وراي .

فاستساغت مني اذن لحنها هذا الخفيا
اذ سمعت الصمت تحنا (م) نا وتنفيما شجيا
ورايت اللطف قنا قائم اللذات جليا

※ ※ ※

واثارت بيد يهما في تفكيرا جريا
قلت : لو كنت خليا قلت قولا « اشعبيا » :
حبذا لو كنت منها ذلك الصب الحظيا
فأرى الكون جميلا وارى الكل هنيا
وارى « لانخرون » العذ (م) ب مكانا عبقريا
ارتضيه لي مصيفا جليا بي حفيا
حيث الفيهما اما قد يكونان سويا
فهو يلقاها وتلقا (م) ه ، هنيئا ومريا
ويظل الحب حبا ابديا سرمديا
او ارى « كيوبيد » يرمي سهمها رميا قويا
فيصيب السهم شخصا شد ما كان ابيا !
ويثير العشق فيه اجتراء « كيخوتيا » (3)
يا ترى ، يشفيه حب ؟ ام ترى ، يكويه كيا ؟
هل يرى فيه سعيدا ؟ ام يرى – حتما – شقيا ؟

※ ※ ※

كل هذا وانا في معزل ابدو قصيا
ارقب المشهد خلوا فاعانيه شجيا
كيف لا اشجى وحبي ظل في « تطوان » حيا ؟
لم يكن الا سريا وشريفا ابويا
هادفا يبتغي « نوارا » فلذتي انس عينيا

※ ※ ※

سدد ن – ربي – خطاها واحبها عمرا زكيا
واحمها – ربي – وصنها كن نصيرا ووليا

لانخرون 3 – 9 1967 **عبد الله العمراني**

---

3) نسبة الى : Don Quijote بطل قصة Cervantes الشهيرة .



من احر الافق الجريح ، من القلاع المسبيات ، من البروج الهاوية
من ضفة الاطلال ، من كهف الرماد ، من المراكب في البحار الصادية
عبر النداء الى احمر كالجروح يؤججني ، يدوي دوي الساقية
يتدفق في وجهي حصى ، في ناظري شوك ، وفي حرقي نواح الساقية
فالثلج في الكلمات يسقط في مهاوي الصوت كالاوراق نارا عاوية
والصمت في الاحداق يرحل عبر افق موحش لم تستحم به شادية
والعنكبوت وكل جدراني التي في الكهف تهوي مثل دمع السارية
فانا لهيب للجمار ! انا صدى للصوت تحرقني الحروف النارية
فانا غبار للحوافر في دروب الموت تعلكني رياح عاتية
فانا رشاش الجرح في كلمات طفل سادر عبر الخيام النائية
قدماه تحترقان في الرمل الخصيب ، وافقه انهار نار جارية
تيهان يزرع في الطريق دموعه حمراء كالدم في الجراح القانية
النار في اذنيه تصرخ كالابالس في الجحيم . كما البحار الراغية
والحزن في عينيه يكبر كلما طافت به رؤيا الديار الغالية
والحقد في القلب الصغير يطل كالصفصاف يعلو في سماء الرابية
فاذا هفا بالناظرين الى بعيد هاله طوفان سحب داجية
واذا التوى خلف الديار راى الدخان يموج في الاجواء ريحا صارية
عيناه تنتظران أن تلد الرمال الماء في دوحات ورد زاهية

فيها ظلال من هجير النار فيها العطر أشهى من رحيق الدالية
فيها فناء الدار والام التي فتحت له الاحضان ولهى باكية
تشتمه تتلوه آية شوقها في قبلة في غمغمات حانية
في ضمة كالظل يكبر في جنين الامسيات الشاعرات الغافية
لكن تطول به الطريق وتكبر الاشباح في ليل الرمال الدامية
وتطل من كل الدروب محاجر الاغوال تلهث جائعات ضارية
وتموت في عينيه آلاف الرؤى الخضراء تغرب في بحار شاتية
لكن شيئا رائعا ينـدق في شفتيه كالاعصار احلى قافية
ازهى من الانغام في الاعراس أخلد من زغاريد الطيور الحاكية
يتوغل الاسوار ، يكسر كل جدران الزمان ، يطير روحا سامية
حتى يغوص الى قراري ، يزرع الامواج في شطآن ثلج ساجية
حتى اعود انا حروفا في النداء ، انا حريق في الجراح الشاكية
فانا هو الصوت الجريح انا لكل السادرين التائهين الراوية
انا لن اموت ولو تداعى الزحف وانتكست لنا رايات ارضي الباقية
ساظل احفر في الجماجم ، أزرع الازهار شائكات غاوية
ساظل اغرس في العيون براعم الاحقاد سوداء العطور الداوية
حتى يموت الموت فينا . نهجر القبر الكبير الى الحياة الثانية
نمشي الى الساح العريض لنغزل الفجر الجميل من الدماء الغالية

شفشاون : عبد الكريم الطبال



اضربه توجعه فصاحا ... واضناه تألمه فناحا

واحرقه الهوى بشواظ نار ... فضاق بحملها ذرعا فباحا

فتى فضحته ادمعه غزارا ... ودمع الصب يفضحه افتضاحا

تبرحه جراح داميات ... واي متيم كتم الجراحا ؟ ...

* * *

الى م الحب يلهيني فالهوا ؟ ... ويصرعني ... فاحسبه مزاحا ؟ ؟

الى م الذكريات يرعن قلبي ... فاكتمها ... واصطنع انشراحا ؟

لتعلم كل كائنة باني ... مشوق ... لا عتاب ولا جناحا

وليس بشاعر في الناس من لم ... يذق حبا ... ولم يهو الملاحا

وليس بسيد من عاش سال ... واخلد للسكينة فاستراحا

فجر يا حب ، او فارحم فاني ... فتى في الحب قد مرن الكفاحا

وجرعني السموم فان قلبي ... يرى في سمك الماء القراحا

واشعل شمعدانك في فؤادي ... وحاذر ان تذيب به الصلاحا

غرامي فيك ايماني وديني ... وفي حبي ارى الشرف الصراحا

اينقصني العذول ببيع عرضي ... وفي حبي جعلت دمي مباحا

فخل ذوي الغباوة في دناهم ... حيارى ، واغنم القدر المتاحا

ولا تحفل بما قالوا ... فاني ... ارى الدنيا بلا حب براحا

مفدي زكرياء

غداً ستلتئم الجروح

للشاعر: محمد الميموني

يا قومى اندلعت بالنار والغضب   حناجر ومشت جحافل العرب

لموعد النصر تملأ الفضاء صدى   وتفرش الدرب بالرصاص واللهب

التل يا ملتقى ألوية عقدت   لتمحو الذل عن جبينك العربى

انا بنو أمة تسيل مهجتها   أو تنجز العهد منذ سالف الحقب

أبر « خالد » فى اليرموك وانخنخت   امام «طارق» هوج «الابيض» اللجب

سل (بور سعيد) وسل عنا جزائرنا   سل البطولات من بناتها ؟ تجب ..

.. باننا أمة سيوفها لمعت   شموس نصر على الدنيا ولم تغب

نما دها جيف فى القعر مهملة   عبر الزمان تثير الليث . واعجبى ! .

صهيون يا ذنبا بالامس هشمت رأ   سه فكيف أراع اليوم بالذنب

اذا صبغت دروب القدس من دمى الـ   ـمسفوح فالبذل شيمتى وشأن أبى

غدا ستلتئم الجروح فى وطنى   ويزهر الدم فى سيناء والنقب

محمد الميموني

مؤلفات علماء غرب افريقيا في المكتبات المغربية

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

نقـــدم فى هذا العدد نص المحاضرة القيمة التي القاها فضيلة الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني ممثل جامعة محمدالخامس المغربيـــة بمؤتمـــر الدراسات الشرقية الدولي السابع والعشرين الذيانعقـد بجامعة آن اربر ميشيغان بالولايات المتحدة يـوم 17 غشت 1967 فى لجنـــةالشرق الادنى والعالم الاسلامي .

1 ــ فى المكتبات المغربية أزيد من مائـــة مؤلف ، لحوالي خمســة عشر مؤلفا مـــن افريقيـــا الغربيـــة (الســودان المغربي) . وبعضها مما لا تكاد تخلو منـــه مكتبة مغربية ، وبعضها تتعـــدد نسخـــه فى المكتبـــة الواحـــدة .

وتبلغ هذه المؤلفات فى مجموعها حوالي للاثمائـــة نســخـــة .

* * *

2 ــ ومما يعطي لهذه القائمة قيمـــة خاصـــة ما ورد فى كتاب (افريقيا تحت اضواء جديدة) للاستاذ بازل دافيدسن المنشور ســنة 1959 والذي عربه جمال محمد احمد مـــن اديـس ابابا ســنـــة 1961 وطبعت ترجمته ببيروت ــ قوله عن احمد بابا (963 ــ 1036 هـ 1556 ــ 1667 م) : الذي لا نعرف على التحقيـــق ان كانت ءاثاره ضاعت ام هي فى مكان لم تصل اليه يـــد بعـــد ! ثم يعقب فى تعليق باسفل الصحيفة قائلا : قيل لنا ــ ونحن نعد هذا الكتاب للطبع ــ : ان باحثا كدودا ! قد عثر ــ فيما يبدو ! على مخطوط لاحمد بابا فى مكتبة المتحف البريطاني ! ! (ص 161)

فيا هو باحث كدود ! ءاخر يقف بالفعـــل على حوالي 30 كتابا ورسالة لاحمد بابا ! وبعضها فى نسخ عديدة ، تبلغ فى مجموعها مائة نسخة !

3 ــ ومن بينها (كفاية المحتاج) فى اختصـــار (نيل الابتهاج) بالذيل على الديباج ، وقـــد ختمهـــا بالترجمة لنفسه ، وذكر اسماء مؤلفاته ، وتبلغ نسخها 11 نسخة ، بعضها منقـــول من خط المؤلف مباشرة وبعضها منه بواسطـــة .

4 ــ ومن بينها (معراج الصعود) الذي يتضمن ــ على صغر حجمه ــ معلومات مهمة عن تاريخ القبائل الســودانية وصلتها بالاسلام :

فاهل برنو ، وكانو ، وكشن ، ومالي ، وكويـــر ، وسغـــي ، مسلمون وجل فلان ، وبعض زكزاك ، اسلموا بدون استيلاء احد عليهم ، ومنهم من هم قدمـــاء في الاسلام ، كاهل مالـــي ، اسلموا فى القـــرن الخـــامس

الهجري (11 م) او قربه ، وكاهل برنو ، وسغى ، وقد اسلموا طوعا ، كما يفهم من كلام ابن خلدون .

وربما تقاتل بعض سلاطين هذه البلاد مع بعضهم (فيحرك) سلطان لغيره ، ويغير على بلاده ، ويسبي ما تيسر له منهم ، وهم مسلمون ! ويباع السبي وهو حر مسلم !

قال : وهذا مستفيض عندهم في بلادهم : يغير اهل كشن على كنو ! وكذا غيرهم . والسنتهم واحدة ولغتهم متحدة ، وحالاتهم متقاربة ، لا يفرق بعضهم عن بعض ! » .

وتبلغ نسخه سبع نسخ .

5 ــ والى جانب مؤلفات ورسائل احمد بابا ، يوجد حوالي 30 مؤلفا للشيخ المختار الكنتي التنبكتي دفين ازواد (1143 ــ 1226 هـ 1729 / 30 ــ 1820 / 1 م) .

و 13 مؤلفا لولده محمد (ت ــ 1241 هـ 1828 م)

و 9 لحفيده احمد البكاي (ت ــ 1282 هـ 1865 / 6 م)

ورسالة واحدة للمختار بن محمد (ت 1296 هـ 1878 م)

6 ــ ولبعض هذه المؤلفات قيمة كبيرة في الكشف عن اتجاهات خاصة في التفكير الاسلامي في هذه المنطقة وما يجاورها على عهد مؤلفيها :

(أ) مثل كتاب (جذوة الانوار) للمختار الكنتي ، وموضوعه الرد على عالمين من شنقيط احدهما يقال له ابن بونا الذي اعلن بكفر من يقطع بقول الاولياء الصالحين ! وثانيهما ابن حب الله الذي يتهمه المختار الكنتي بالطعن في الامام مالك ابن انس ، لانه زعم ان الامام مالكا انما ياتي بالاقوال الظنية كسائر المجتهدين وجميع الائمة ! وهذا ما يراه الكنتي غير صحيح !

وابن بونا هذا هو المختار بن بون الجكني ، كان حيا سنة 1208 هـ 1794 م ترجمه أحمد بن الامين الشنجيطي في (الوسيط ، في تراجم ادباء شنجيط) ص 277 ــ 284 . القاهرة 1378 هـ 1958 م .

ووصفه بتاج العلماء ، وذكر انه كان يشدد الانكار على المختار الكنتي ، ثم رجع عن ذلك وصارت بينهما مكاتبات .

وابن حب الله هو محمد المجيدري بن حبيب الله ، ترجمه ايضا في الوسيط (ص 214 ــ 216) فقال عنه : هو العالم الوحيد ، الذي ما له من نديد ! واتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ونال الحظوة عنده ، ورحل الى المشرق واكرمه امير مصر .

قال : ويكفيه ان الصالح سيدي احمد بن ادريس الفاسي تلميذه ، وهو نزيل مكة وعسير من بلاد تهامة ، ومؤسس الطريقة الادريسية الشهيرة وكان داعية للعمل بالقرآن والحديث ونبذ التقليد المذهبي (1173 ــ 1253 هـ 1759 ــ 1837 م) (راجع عنه محمد زبارة في (نيل الوطر) ج 1 ص 223 ــ 227 القاهرة 1348 .

وذكر في (الوسيط) ان المجيدري كان من اعظم تلامذة ابن بون ثم وقعت بينهما وحشة شديدة! (ص 215)

وحلاه الشيخ حمدون ابن الحاج الفاسي (1174 ــ 1232 هـ 1760 / 1 ــ 1817 م) في احد دواوينه الشعرية بالمجتهد على الاطلاق ! واورد بعض مساجلات جرت بينهما (راجع مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 383)

وانشدني له صديقي العالم الداعية الشيخ محمد سالم بن الهادي المجلسي الاداري من شنجيط (موريطانيا) في احدى زياراته للرباط ، قوله ــ ينفي عن نفسه تهمة الابتداع التي وجهها له انصار التقليد . ومنه يتبين اتجاهه الفكري في حصر القداسة الدينية في الوحي الالهي وحده ــ :

لو كنت بدعيا لما كان الصواب
عندي الاحاديث الصحاح والكتاب

وذكر لي ان له تاليفا في الفقه سماه (زهر الافنان) مخطوط في شنجيط (موريطانيا) ولا شك ان الاطلاع على هذا الكتاب سيفيد في التعرف على اتجاهه في الاجتهاد .

(ب) ــ ومثل كتاب (فتح القدوس في الرد على ابي عبد الله محمد اكنسوس) لاحمد البكاي بن محمد ابن المختار الكنتي ، وهو مجلد ضخم في الرد على الطريقة التجانية ، وفيه يندد مؤلفه بالتقليد ودعوى انقطاع الاجتهاد ، ويعد ذلك صدا عن الكتاب والسنة !

7 ــ وتتجاوز نسخ مؤلفات هذه الاسرة وحدها مائة نسخة .

8 – وتشتمل القائمة ايضا على مؤلفات :

للسوداني ؟ شارح المختصر (مختصر خليل) .

ولمحمد بابا بن محمد الامين بن حبيب بن المختار التنبكتي (ت 1014 هـ 1605 / 6 م) .

ولاحمد بن محمد بن احمد السوداني قاضي تنبكتو (ت 1044 هـ 1634 / 5 م)

ولمحمد بن محمد الفلاني الكشناوي (ت 1154هـ 1741 / 2 م)

ولصالح الفلاني (ت 1218 هـ 1803 م)

ولمحمد عبد الله النعاني البرتلي الولاتي المتوفى سنة 1220 هـ 1805 م)

ولاحمد الفوتي بن القاضي ابي بكر بن ابراهيم التنبكتاوي (زار مدينة فاس في طريقه للحج ، واخذ عن علمائها عام 1224 هـ 1809 م)

ولعبد الله بن فودي الفلاني (1179 – 1245 هـ 1765 / 6 – 1829 م)

ولسلطان نيجريا محمد بلو بن المصلح المجاهد عثمان بن فودي (1196 – 1253 هـ – 1782 – 1837م)

ولعمر الفوتي التيجاني المجاهد الشهير (1203 – 1280 هـ 1788 – 1864 م)

ولمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ثم التواتي دفينها نزيل برنو وتمبكتو المتوفى سنة 909 هـ 1502 / 3 م) وهو مغربي كما ترى ولكننا تساهلنا في عده سودانيا لصلته القوية بالسودان وتاثيره العظيم هناك

9 – وهذه المؤلفات تتناول على العموم مختلف الموضوعات التي تناولها المؤلفون المسلمون في العصور المتاخرة ، قبل اتصالهم باوربا .

كتفسير القرآن ، وشرح الحديث النبوي ، وروايته ، والسيرة النبوية، ، والفقه عبادات ومعاملات والنوازل والتصوف ، والعقائد ، والوعظ ، والتاريخ ، والتراجم ، والمناقب ، والنحو ، واللغة ، والاوفاق والاسماء (سر الحرف) والاوراد والاذكار والدعوات، والسياسة ، والنظم الاسلامية ، والطرق الصوفية ، والجدل والمناظرة ، والرد على المبتدعة وانكار المظالم وغير ذلك .

الى جانب الكتب الدراسية من متون وشروح وتعاليق .

* * *

10 – وهي تشتمل في عمومها على معلومات مفيدة جدا فيما يتعلق بالنواحي الفكرية والعلمية والاجتماعية والخلقية في عهد تاليفها . كما انها مفيدة بوجه خاص فيما يتعلق بميدان الصلات الفكرية بين غرب افريقيا وشمالها ، وبينه وبين الشرق العربي .

11 – وتوجد بالمكتبات المغربية – الى جانب هذه المؤلفات التي الفها مؤلفون سودانيون – من غرب افريقيا – مؤلفات نسخها فقط نساخ من غرب افريقيا مثل رسالة ابن ابي زيد القيرواني ، التي نسخها احمد ابن دنبسل الفلاني سنة 995 هـ 1587 م لامير المومنين ابي عبد الله محمد بان بن امير المومنين اسكي داود بن امير المومنين اسكي الحاج محمد .

ومثل الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج، والشفا للقاضي عياض وعليهما سند كاتبهما احمد بن دنبسل الفلاني السابق الذكر .

ومثل المجلدات العشر الاخيرة من كتاب (المحكم) في اللغة لابن سيدة الاندلسي كتبت في تمبكتو في اواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وغير ذلك .

12 – فهذه الكتب – وان كانت لمؤلفين غير سودانيين – فانها تفيد في معرفة بعض الاتجاهات الفكرية والثقافية في الوسط الذي كتبت فيه ، ومعرفة مستواه الثقافي ، وما اشبه ذلك .

فمجلدات (المحكم) – مثلا – تدل على انه :

1 – كانت بتمبكتو وقت كتابتها – نسخة اخرى – على الاقل – من المحكم ومنها انتسخت هذه النسخة.

2 – وكتاب (المحكم) ليس كتاب لغة عاديا تتجه اليه عناية من له ثقافة لغوية وادبية متوسطة ، ولكنه من المعاجم العربية الكبرى التي لا يهتم بالاستفادة منها الا من لهم ثقافة لغوية وادبية عالية .

3 – ثم ان هذه الاجزاء وحدها بخط اربعة نساخ مختلفين ، وذلك يدل على مبلغ انتشار العلم والثقافة وازدهار حرفة النساخة تبعا لذلك .

4 – ثم ان اربعة من هذه المجلدات العشرة كتبها شخصان ، وقام بشكلها الكامل شخص ءاخر ، وذلك

ما يصور مبلغ الحرص على سلامة النسخة من التحريف ، واسناد كل عمل لمن يستطيع القيام به ، والمستوى الثقافي الممتاز الذي يمكن صاحبه من ان يقوم بشكل اربعة اجزاء من (المحكم) على ما به من غريب .

5 – كما يوضح ان الثقافة اللغوية والادبية العالية استمرت الى هذا العهد في هذا الوسط مسايرة للثقافة الفقهية المعتادة .

* * *

ولا شك ان في المكتبات الشخصية المنتشرة انتشارا كبيرا في مختلف مدن المغرب وقراه ، وبواديه وجباله وصحاريه عددا عديدا من المؤلفات التي لم نستطع التعرف عليها .

وخصوصا في المناطق الصحراوية المجاورة لافريقيا الغربية ، والتي كانت بها مراكز علمية مهمة ، وظلت مغربية عدة قرون الى مطلع هذا القرن الجاري، مثل موريطانيا ، والساقية الحمراء ، وتوات والقنادسة والساورة ، وغيرها .

14 – كما اننا قد نكون اغفلنا كثيرا من المخطوطات التي خيل الينا في مؤلفيها انهم من احدى هذه المناطق وقد يكون بعضهم من غرب افريقيا لا من شمالها !

* * *

15 – ويرجع انتشار هذه المؤلفات السودانية بالمغرب الى اسباب عديدة :

1 – منها مبايعة الرئيس ابي العلاء ادريس سلطان مملكة برنو سنة 990 هـ 1582 م ، الملك المغربي احمد المنصور السعدي ، ثم غزو جيش هذا الاخير مملكة مالي وما انضاف اليها وضمها للمغرب سنة 999 هـ 1591 م ونقله بعض علمائها الى مراكش مثل الشيخ احمد بابا الذي تتلمذ له كثير من المغاربة واعترفوا بفضله وتهافتوا على انتساخ كثير من مؤلفاته

وخصوصا (نيل الابتهاج ، بالذيل على الديباج ، لابن فرحون) في طبقات الفقهاء المالكية ، الذي خدم به خزانة احمد المنصور ، المشتملة على الطم والرم ، من كتب العلم ! – حسب تعبيره –

وتشتمل قائمتنا على وصف عشر نسخ مخطوطة منه ، احداهما من مبيضة المؤلف ، واخرى من مبيضة المؤلف التي كان اعطاها للمؤرخ المغربي الشهير احمد ابن القاضي (960 – 1025 هـ – 1616 م) واجازه ، واوصاه ان لا يمكن احدا من الانتساخ منها ! لانه في المخرجة زاد وغير ، فالاعتماد على المخرجة .

ونسخة ثالثة نسخت من نسخة كتبت من اول نسخة منها بخط المؤلف .

وقد طبع (نيل الابتهاج) على الحجر بفاس ، ثم طبع بالقاهرة ، واصبح مرجعا اساسيا من مراجع الثقافة الاسلامية التي لاغنى عنها لباحث في تراجم الرجال .

2 – ومنها رابطة الطريقة الصوفية ، مثل طريقة الشيخ المختار الكنتي التنبكتي القادرية التي انتشرت في المغرب باسم الطريقة المختارية والكنتية ، والتي انتسب اليها بعض الملوك والوزراء والعلماء بالمغرب وكانت لها زوايا بمراكش وفاس ومكناس والرباط وءازمور وغيرها .

وكان في بعض هذه الزوايا مكتبات علمية ، مما ساعد على انتشار مؤلفات الشيخ المختار وولده وحفيده ، وبعض مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي الذي نجده موصوفا في مخطوطة من مخطوطات تفسيره (ضياء التاويل) بانه (مختاري) مشربا .

ومثل الطريقة التيجانية التي اسسها بفاس الشيخ احمد التيجاني (1150 – 1230 هـ 1737 – 1815 م) وانتشرت في اقطار افريقيا انتشارا كبيرا . والف فيها كثير من الافارقة ، كما الف في الرد عليها ءاخرون .

3 – على ان بعض مؤلفات غرب افريقيا لم تصل الى المغرب من السودان ، وانما جاءت من الشرق العربي ، الذي هاجر اليه مؤلفوها والفوها هناك ، مثل (بهجة الآفاق) لمحمد الكشناوي الذي الفها بمكة المكرمة وتوفي بعد في القاهرة ، ومثل (قطف الثمر) لصالح الفلاني الذي الفه بالمدينة المنورة ، بعد ما طلب العلم في الغرب الاسلامي مثل تامكروت ومراكش وغيرهما .

ءان اربر – ميشيغان (الولايات المتحدة)
17 غشت 1967 .

محمد ابراهيم الكتاني



انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ: محمد حجي

«3»

اذا كانت المواقف السياسية والحربية التي اتخذتها الدولة والشعب في المغرب خلال القرنين الهجريين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) قد برهنت عن وعي قومي كما راينا ، فان الادب بدوره لم يخل في هذه الفترة من شواهد رائعة في هذا المضمار . وابادر الى القول بأني اقصد بالادب القومي كل ما قيل او كتب للتعبير عن عواطف ناطقة بحب هذا البلد الطيب ، او لاثارة حماس الجمهور وايقاد الحمية الوطنية فيه ليدافع المغير الاجنبي المحتل ؛ سواء كان ذلك الاثر شعرا او نثرا ، رسائل او خطبا او كتبا مستقلة او استطرادات في فصول من كتب ، ولو اصطبغت بصبغة تفسيرية او حديثية او فقهية ...

واذا كنا سنكتفي هنا باستعراض نماذج موجزة من هذا الادب القومي ، فلا بد من الاشارة ـ ولو اشارة خاطفة ـ الى بعض مميزاته وخصائصه . فهو قبل كل شيء أدب يصطبغ بصبغة دينية ، يدعو الى الجهاد ومجالدة العدو والكافر ، والى نصرة المسلمين والذود عن حرماتهم وبلادهم . ولا يقصد بالعدو والكافر ـ تلويحا وتصريحا ـ غير البرتغال والاسبان الذين كانوا يحتلون عددا مهما من الثغور المغربية ، كما لا تعني كلمة المسلمين وبلادهم ـ هنا ـ غير المغرب الاقصى وساكنيه خاصة . ويمتاز الادب القومي المغربي بنظرة الشمول ، الى حرارة العاطفة وصدق التعبير ، فهو ـ خلافا لما يزعمه المتنكرون للقومية المغربية ـ صادر عن جميع الطبقات الواعية في مختلف جهات القطر ، لا يختص بمن اصابهم شرر الاحتلال وشره ، بل ربما كان انتاج العلماء والادباء المقيمين في الداخل كتافيلالت وجزولة وتازا وفاس أوفر واغزر . ثم هو ليس ادبا اجوف خياليا يكتفي بالتفجع والتشكي والبكاء على الدمن ، وانما هو ادب حي صادق يساير الواقع ويقترن بالعمل ، اذ كثيرا ما كان اولئك الكتاب من رجال السيف والقلم معا ، يحبرون الرسائل والخطب وينشؤون القصائد والموشحات والازجال ، ثم لا يترددون في الخروج الى ميادين الكفاح متى دعاهم الواجب . وسبقت الاشارة الى انقطاع الاساتذة والطلبة عن الدراسة في غير الفصل المطير للتفرغ الى الرباط والقتال في سبيل الله ...

ومن أقدم رواد القومية المغربية محمد بن عبد الكريم بن يحيش التازي ؛ المتوفي حوالي عام 920 / 1514) وهو اديب كبير وصوفي عارف ، الف كتابا في الحض على الجهاد ، وقف عليه ابن عسكر مؤلف دوحة الناشر ـ ص 54 ـ وقال انه : « مما ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب دون المداد باللجين » . وله ديوان شعر يحتوي على موشحات وقصائد كثيرة . ومن احسن آثاره القومية تائية عجيبة يتفجع فيها على سقوط الثغور المغربية في يد العدو ويدعو الى الجهاد لتحريرها . وهي تقع في 168 بيتا ، يقول في مطلعها :

ابى القلب أن يسلو ومن لي بسلوة
ونومي جفا من اجل ما ناب مقلتي

وصرت حليف الحزن مما كتمته
ومثل ضلوعي مثل كي بجمرة

وللقلب ما بين الجوانح زفرة
ودمعي على الخدين يجري كمزنة

ولم استطع صبرا وكيف يصح لي
وقد هتكت من ديننا كل حرمة

وشاركنا الاعداء في قطر غربنا
وقد اخذوا جل البلاد البهية

وقد ارعبت تلك السواحل منهم
وصاروا يؤدون الخراج كجزية

وانتم شغلتم بالتعلل والمنى
بلغتم مراد النفس من كل لذة

واسعفتم الشيطان مما اراده
وملتم الى نهج الطباع الخسيسة

فهذا هوان واحتقار وذلة
وعار شنيع ثم قلة حيلة

نصرت اذا ادعو وارغب راجيا
ولي في الذي ارجوه اصدق لهجة

واندب اهل الجد والعزم قائلا
عليكم بنصر الدين يا خير امة

وقوموا بجد للعداة لقد طغوا
عليهم من القهار اعظم لعنة

... ولم يقتنعوا بما سبوا في بلادكم
واخوانكم في حال تلك القضية

فقصة اصيلا عرفتم جميعها
وما فعل الاعداء من شر غدرة

واضحت على الاسلام تبكي رسومها
كذا سكن قد صاروا في ارض غربة

مساجدها تبكي على فقد اهلها
كان لم يكن فيها مردد سورة

صوامعها قد عطلت عن اذانها
كان لم يكن فيها اذان مصوت

مجالس اهل العلم يا صاح بدلت
بتلبيس رهبان ورجس الاخسة

والقصيدة على طولها تسير في هذا النسق المؤثر .

ولا تقل آثار احمد بن عبد الله بن أبي محلي (المتوفى عام 1022 \ 1614) في ميدان الادب القومي عن آثار ابن يجبش التازي ، ولو انه لم يؤلف في الجهاد كتابا خاصا ولم يجمع له ديوان – فيما نعرف – . وانك لتجد في اثناء مؤلفاته من ذلك الشيء الكثير مما يدل على غيرة وطنية قوية ولو ان فكرة المهدية والفاطمية قد خامرت عقله وطغت على قلمه احيانا . ففي كتابه (الاصليت) يستطرد في الباب الاول ذكر احوال المغرب المؤسفة بعد موت احمد المنصور الذهبي ويتفجع قائلا : « ... ولما ضجت الاقطار ، وغلت في كل ناحية من الغرب الاسعار ، والفتن فيه مع الوباء منذ سنين لا تنفك عنه كموج الزخار ، والمسكين ضائع ، وانعكست الرؤوس فاعتلى السخيف، وتدلى الشريف ؛ ومات الحق واضمحلت رسومه ، وقام سوق الباطل في كل بلد وهاجت سمومه ، والبحر بافلاك الكفرة ملآن ، والبر بسواحله في غاية الذل من عبدة الصلبان (...) هنالك سالت دموع القلم على خد الطروس ، فاسود وجه المبيض من شدة الباس وكثرة البوس ، في يوم عصيب عبوس ، قمطرير يشيب الرؤوس ، وقد انهدم الصبر بين يدي الجور وصالت التيوس ... » .

وبينما ابن ابي محلي يؤلف كتاب (سلسبيل الحقيقة والحق) اواخر عام 1019 \ 1610 اذ بلغه خبر سقوط مدينة العرائش في يد الاسبان ، فقطع ما كان يكتب عن ارزاق الائمة والقضاة والمفتين ، وكتب صفحات وطنية رائعة نثرية وشعرية :

« ... ولما وصلت الى هذا المحل من هذه الفصول ، وقد ورد علينا خبر مهول ... وان العرائش من الساحل قد اخذها الكفار وهم على اثر ذلك بجيش بجيش يريدون استئصال الاسلام ، واقتناء الحرائر بنات الاعلام ، وابناء الكرام ، واذلال كل ملك بالغرب ، وجعل الذلة والصغار بالقرب ، على اهله بالتمام . ارقني ما سمعت ، واقلقني لما رايت من شتات الكلمة ، خوفا ولهفا على كل مسلمة ، ان يطأ فراشها الاغلف ، ويتخذ بعلها عبدا اجلف ، وولدها يبكي ، وحال زوجها تبكي . فانا لله وانا اليه راجعون ان صح هذا النبأ العظيم ، والى الله تعالى وحده الضراعة في كشف البلوى عن هذا الاقليم . هنالك تنفست الصعداء بهذه العجالة ، لعل بني النجدة من المومنين يستيقظون لوعي المقالة ، خصوصا منهم من كان ذا سلطان ، كيف لا يغضب لله تعالى عن حزب الشيطان . فواها على الدين ، ان لم يتداركه بعزته على يد هؤلاء المؤيدين :

لئن صح ما قد قيل ما عيش عائش
اذا اخذ الكفار ثغر العرائش

فيا معشر الاسلام من بعد عزكم
عليكم اخاف الذل لا من مناوش

فاين ملوك الغرب من كل ضارب
بسيف ورام في جيوش الابارش

سهـــام المنايـــا والخـــزايا غنيمـــة
لفرسان حـــرب كالاسود النـــوابش
من اهل الجبـــال والوطا ومـــدائـــن
وعـــرب ضـــوار باللقـــا والتنـــاوش
... وطفل يصيح بالنفير هلـــم لـــي
بكـــل جـــواد ضيغـــم في التهـــارش
وكـــل عقـــاب افتـــخ ذي مخالـــب
كانيـــاب غول في صقـــور نواهـــش
كهـــول وشيـــب شيبتهـــم وقائـــع
ودونهـــم الشبـــان مثـــل الاراقـــش
وكـــل عقـــاب افتـــخ ذي مخالـــب
نسيب حسيب مدهش غير داهـــش
اريـــب اديـــت مقـــدم ومقـــدم
على كـــل جيش بالصناديـــد عائـــش
... وكـــل كريـــم بربـــري ميربـــر
كليث الشرى عنـــد اشتباه الهوائـــش
عريـــض طويـــل رمحـــه ونجـــاده
ومسدل شعـــر خلفـــه كالمنـــاوش
من ابطـــال تـــل صائـــل غـــوق صاهل
وبحر على بحر من الهـــول جـــائـــش
... فيا معشر الاسلام عـــار عليكـــم
تذلـــون بعد العـــز خوف الخشائـــش
الا همـــة تعلـــو علـــى كـــل همـــة
تفـــك عـــرابـــا قلبهـــا كالاحابـــش
... فللـــم يوم آخـــذ كـــل ثـــاره
بـــه الاندلس من حميـــر الفواحـــش
... لحـــا الله غيشا دونهـــم لمرابط
وذى شرف مستضعف فى البشائـــش
يخوضون بحرا من دمـــاء فـــلا تـــرى
سوى راغب فى الموت لا فى القشائـــش
يريـــد رضـــا الله من طلب العلـــى
على همـــة مـــن فوق بـــان وعـــارش
اذا احجـــم اللاهون عنهـــا تقدمـــوا
اليهـــا احتسابا لا طـــلاب المعايـــش

والقصيـــدة من خمسين بيتا كلها دعوة الى افتكاك الثغور المحتلة واستنهاض لهمم كل سكان القطر فـــي السهول والجبال . وله فى هذا الشان غيرها كثير .

اما في سوس فنجد من بين علمائها اديبا خلـــف آثـــارا قومية عدة ، هو عبد الرحمن التمنرتي المتوفى عام 1070 / 1660 ، كان يعيش فى ترودانت اثنـــاء العقود العصيبة التي تلت وفاة احمد المنصور ، وقـــد انتهت اليه رياسة العلم بمدينته وبلاد جزولة كلهـــا . وحدث ان قام فى ترنيت ثائر دجال هو محمد بن عبـــد القادر التهرتي ، حاول استغلال الفوضى المنتشرة اذ ذاك بالمغرب فادعى المهدية وراح يجمع الغوغاء من حوله ليستبد بالجنوب ، فوقف فى وجهه التمنرتي كاحسن ما يقف عالم وطني واع ، وجرد قلمه لدحض اباطيـــل الدجال وزجره عن غيـــه ، سالكـــا فى ذلك سبيلي الترغيب والترهيب . ولحسن الحظ نجـــد بعـــض المراسلات المتبادلة بين الرجلين مثبتة فى صدر ديوان التمنارتي ، وفي احداها يقول مخاطبا التهرتي :

« ... فانك منذ نزلت هذا القطر تصبت للاطماع حبالتك ، ولا اراها الا تقتنصك ، وحـــددت شوكـــة اطماعك الفارغة ، ولا اراها الا تفترسك . ولا يحملك حروف هجائك ، الى مضايق حـــروب هيجائـــك ... وهلا اتعظت بصاحب هواك احمد بن عبد الله (1) الذي بلغ غبار جراته وفتكه عنان السمـــاء ، وهول بما هولت به من الفاطمية والمهدية وخواص الاسماء ، قد لعبت به عقبان جو القطر الذي طمعت أن تدبر ملكـــه ، وان تدير فى الامور فلكه (...) ثم ان انتهيت فلك السلامة، وانتفت عنك الملامة ، والا فانظر اي سماء تظلك ، واي ارض تقلك ، فان القطر بامرائه سيرميك بجبله وفضائه، موشك أن ينزل بك كريه قضائه ، فتشتت عنك حيلة معيشتك ، وتتلون عليك ايـــام عيشتك . فلـــو كنت صادقا فيما قلت ، وتبعت صريح ما نقلت ، لكفاك مع فهمه . ثم كانك لم تعلم ما انزل الله فى حفظ النظـــام ، الذي به صلاح الدين وصلاح الانام ، من قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) وقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله عز وجل : (ومن يشاقـــق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيـــل المومنين نوله ما تولى ونصله جنهم) الى غيرها مـــن الآيات الفاضحة لك ايها التهارتي . ومن قوله صلى الله عليه وسلم فيما رويتـــاه من صحيـــح الاحاديـــث (اطع الامير ولو كان عبدا حبشيا كان راسه زبيبة . ومن خرج من الطاعة ، وفارق الجماعـــة ، مات ميتـــة جاهلية . اذا رايتم من ولا تكم شيئا تكرهونه فاكـــره عمله ولا تنزع يدا من طاعته) ... وهـــذه النصوص القرآنية والنبوية كلها ايها التهارتي اضعتها ، وانتحلت لها تمويهات اهواء فاطعتهـــا ، ويوشك ان تواجهـــك بالعقاب ، وتخاطبك بضرب الرقاب ، اذا نكبت بها عن

1) الاشارة الى ابن ابي محلى المتقدم ، فانه ادعـــى المهدية وتغلب على زيدان السعدي وملك مراكش نحو ثلاث سنوات لكن عاقبته كانت القتـــل والصلب عام 1022 / 1614 .

طاعة من أوجب الله طاعته من الامراء ، وزاحمتهم بالتضريب فى البوادي بضروب الاهواء . وكان يكفيك لو قبلت النصيحة ان تسمع لامير المسلمين بقاعدة ملك المغرب مدينة مراكش . فالناس كلهم او جلهم فى السمع له والاعانة بحسب الامكان ، طلبا لاستبقاء الامان ، وتسكين الاحوال ، والحذر من تفاقم الاهوال. وانت تريد بوهمك النازغ ، وطمعك الفارغ ، ان تشبها، وتثير فى المسلمين شبهها ، لم لا طائل يعلو لك منها ، ولا مذاق يحلو لك بها ... فباعد فضول الفتن والتمطي اليها ، واتق النار التي توقد بين يديها ... »

وهي رسالة طويلة تنتهي بقصيدة فى نفس الموضوع من 29 بيتا . وللتمنرتي رسائل اخرى غير هذه الى الثائر التهارتي كلها تستهدف ارشاده الى الصواب وتجنب البلاد شرور الفتن والحروب .

وانشد التمنارتي فى عيد المولد عام 1033 بين يدي استاذه يحيى الحاحي المستبد اذ ذاك بحكم تارودانت وبعض بلاد سوس والاطلس الكبير قصيدة مطلعها :

الا ايها الروح اليماني تجددا
وبل حشاي والفؤاد الموقدا

وجر بكثبان اللوا وتلاعها
وقاعاتها الذيل الرطيب المرندا

وبعد أن يتخلص الى مدح الرسول الكريم يخاطبه بقوله :

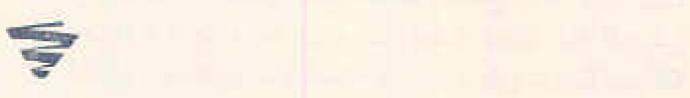
... فيا خير موصول ويا خير واصل
ويا خير ما مول جدا وتوددا

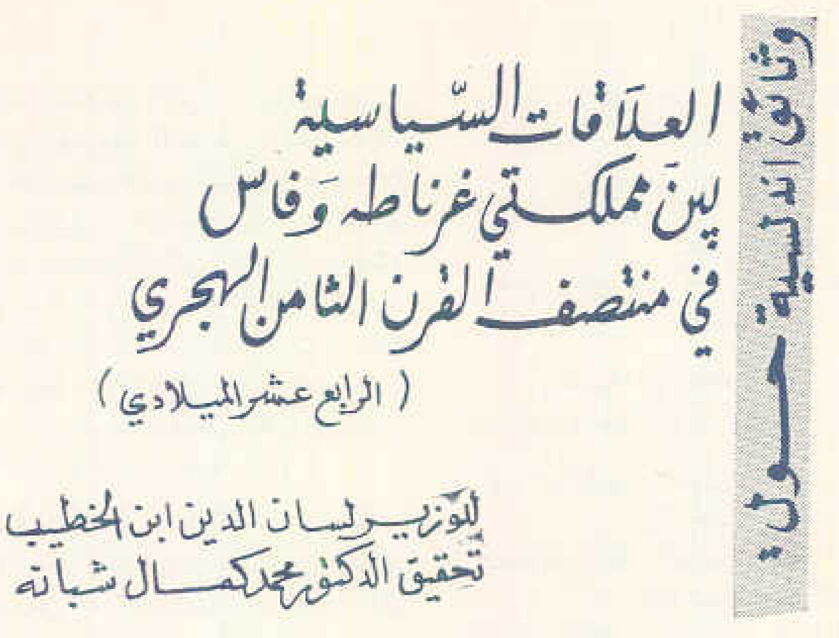
تدارك بلاد الغرب منك بهمة
فقد صار منها الشمل شلوا مبددا

تعقدت الاهواء وامتد شؤمها
وبالمصطفى ينحل ما قد تعقدا

ـ يتبع ـ

الرباط ـ محمد حجي





(5)

(الوثيقـة السادسـة)

(52 : 1) وكتب اليه ــ رحمـه الله ــ فى قضيـة اخيه المذكور ، وقد اشتهر انه ركب البحر (من اسبانيا) برسم اللحاق ببعض الجبال (فى المغرب) ، فظهر عليه الاسطول المأمور بالترصد له (بامر السلطان ابى عنان)، واخذ الجفن بالمذكور وبمن معه ، ولم يصـح الخبـر ، فاستدرك (ابو الحجاج يوسف سلطان غرناطة) الامر ، وامسك الكتاب :

« المقام الذي شهد الليل والنهار باتصال سعادته، وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته ، وتعود الظفر بمـن يناوئه فاطرد ــ والحمد لله ــ جريان عادته ، فوليـه متحقق لافادته ، وعدوه مرتقب لابادته ، وحلل الصنائع الالهية تضفو على أعطاف مجادته ، مقام محل اخينـا الذي سهم سعده صائب ، وأمل من كاده خاسر خائب ، وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب ، فسيان شاهد منـه فى عصمة الله وغائب . السلطان (الكذا) أمير المؤمنيـن ابو عنان ، بن السلطان ابى الحسن ، بن السلطان ابـى سعيد ، بن السلطان ابى يوسف يعقوب ، بن عبد الحق. وقاه الله تعالى مسدد السهم ، ماضي العزم ، تجـل سعوده عن تصوير الوهم ، ولا زال (52 : ب) مرهوب الحد ممتثل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعود القسم ، فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم . معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يسنيه الله تعالى له من اعتزاز نصره ، واظهار امره ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم السعيد، ومثابتكم التي حازت فى الفخر الامد البعيد (1) ، (وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد) (2) ورحمـة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله تعالى الذي فسح للككم الرفيع فى العز مدى ، وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصـر على اعدائه يوما وغدا ، وحرس سواء علائـه ، بشهـب من قدره وقضائـه ، فمن يستمـع الان يجـد له شهابـا رصدا (3) ، وجعل نجح أعماله وحسن مآله قياسـا مطردا ، فرب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملا الكون نورا وهدى ، واحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا (4) ، اعلى الانام يدا ، واشرفهم محتدا ، الذي ــ بجاهه ــ نلبس اثواب السعادة جددا ، ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع ابـدا . والرضا عن آله واصحابه الذين رفعـوا لسماء سنتـه

1) فى نسخ الريحانة (يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى ، التى حازت .. الخ)
2) زيادة فى نسخ الريحانة فقط .
3) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا كنا نقعـد منهـا مقاعد للسمع ، فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا » سورة الجن آية : 9 .
4) اقتباسا من قوله تعالى : « وانا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا» . سورة الجن آية:11

عمدا ، واوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا ، وتقبلوا شيمه الطاهرة عدلا وفضلا وبأسا وندى ، فكانوا بالنهار اسدا ، وبالليل ركعا سجدا ، سيوفا على من اعتدى ، (53 : أ) ونجوما لمن اهتدى ، حتى علت فروع ملته صعدا ، واصبح بناؤها مديدا مخلدا . والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتصل سرمدا ، والصنع الذي يتوالى مثنى وموحدا . كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب ، على توالي الاحقاب ، يجعل سيفكم سفاحا ، وعلمكم منصورا ، ورايكم رشيدا ، وعزمكم مؤيدا — فانا كتبناه اليكم — كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف اودا ، وعزا (1) يملأ افئدة الكفر كمدا ، وجعلكم ممن هيا له من امره رشدا (2) ، ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد (به) (3) في كتابه العزيز (4) والله أصدق موعدا — من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زائد — بفضل الله سبحانه — الا استطلاع سعودكم في آفاق العناية ، واعتقاد جميل صنع الله لكم في البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على اعدائه بآية ، واجرى جياد السعد في ميدان لا يحد بغاية ، وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية . ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ، ويسدل عليه من العصمة سجفا ، تقاسمه (5) الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ، ونعقد بين ابقاء مسرته وبين الشكر لله حلفا ، ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ، (53 : ب) ونأمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى ، وتروى غلل النفوس وتشفى .

والى هذا — وصل الله سعدكم ، ووالى نصركم وعضدكم — فاننا من لدن صدر عن اخيكم ابي الفضل ما صدر ، من الانقياد لخدع الآمال ، والاغترار بموارد الال ، وفال رايه في اقتحام الاهوال ، وتورط في هوة حار فيها حيرة اهل الكلام في الاحوال ، وناصب من امركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال، ومن ذا يزاحم الاطواد ، ويزحزح الجبال ؟؟ !! اخلف الظن منا في وفائه ، واضمر عملا استأثر عنا باخفائه ، واستعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به زند ، ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند . وان الطاغية اعانه وانجده ، وراى انه سهم — على المسلمين — سدده، وغضب للفتنة جرده . فسخر له الفلك ، وامل أن يستخدم بسببه ذلك الملك (6) ، فاورده الهلك ، والظلم الحلك . علما أن طرف سعادته كاب ، وسحاب آماله غير ذات انسكاب ، وقدم عزمه لم يستقر من السداد في غرز ركاب . فان نجاح اعمال النفوس مرتبط بفضل نياتها ، وغايات الامور تظهر في بداياتها . وعوائد الله تعالى — فيمن نازع قدرته — لا تجهل ، ومن غالب امر الله خاب منه المعول .

فبينما نحن نرتقب خسارة تلك الصفقة المعقودة ، (54 : أ) وخمود تلك الشعلة الموقودة ، وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ، ويهدي طرف المسرات على اكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار . فاعاد في الافادة وابدى ، واسدى من الفضائل الجلائل ما اسدى . فعلمنا منهم مآل من رام ان يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام (7) ، هيهات ، تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام . ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص ، وسددتم له من السعد سهما ماله عنه محيص، فيما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في مطاره، حائلا بينه وبين اوطاره ، فما كان الا التسمية والارسال، ثم الامساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال . فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجدله ، واستنصر بالبحر فخذله ، وصارع القدر فجدله لما جد له !! .

وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنتسب الى نصبه (8) غير سعيدة ، وثائر غمرته من الكفار ، خدام الماء واولياء النار ،

---

1) في نسخ الريحانة (وعزما) وهو مناسب كذلك .
2) اقتباسا من قوله تعالى : « اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من امرنا رشدا » . سورة الكهف ، آية : 10 .
3) زيادة في نسخ الريحانة .
4) زيادة في نسخ الريحانة.
5) في نسخ الريحانة « فقاسمه » .
6) في نسخ الريحانة « وامل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك » .
7) القتام : الغبار .
8) في نسخ الريحانة (نسبة)

تحكمت فيهم اطراف العوالي وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، (54 : ب) واخماد الله لهذا الضرام ، وقلنا : تكييف لا يحصل في الاوهام ، وتسديد لا تستطيع اصابته السهام . كلما قدح الخلاف زندا اطفا سعدكم شعلته ، او اظهر الشتات الما ابرا يمن طائركم علته . ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت ، واسترسلت بركتها وسحت ، وجهاد تدرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت ، واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي همت (1) .

فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ، ونسأله أن يلبسكم من اعتنائه أوفى جننه . فاملنا ان تطرد آمالكم ، وتنجح ــ في مرضاة الله ــ اعمالكم ، فمقامكم هو العمدة (2) التي يدفع العدو بسلاحها ، وتتبلج ظلمات كفره بانوار صباحها ، وتنام العيون الساهرة تحت ظلال صفاحها . وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبآفاقنا تطلع منه السعود ؟؟ !! فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بسحة الود قد وكفت . الله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم عناية وسعادة . وهو سبحانه يعلي مقامكم ، وينصر اعلامكم ، ويهني الاسلام ايامكم ، والسلام (الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته) (3) ».

(الوثيقة السابعة)

(54 : ب) « وكتب (ت) عنه جوابا عن التعريف بالقبض على المذكور ــ بعد هذا ــ بما نصه (4) :

المقام الذي يبدي الفضل (55 : 1) ويعيده ، ويحق الحق ويشيده ، ويزيح الباطل ويبيده ، ويسوغ الطول ويفيده ، فلا يشرئب للنزهات جيده ، ولا يخلص وده الاصيل جديده (5) ، ولا ينفق عنده من القول والعمل الا ما ظهر صدقه وبان تسديده . مقام محل اخينا الذي برهان وده لا يعارض بالشبهات ، واصيل اعتقاده لا يستنزل بالترهات ، وشمس فضله باهرة الايات ، وجياد مجده مستولية على الغايات . السلطان (الكذا) ابو عنان بن (فلان) ، السلطان ابى الحسن) ابن (فلان) (السلطان ابى سعيد) بن (فلان) (السلطان ابى يوسف يعقوب) . ابقاه الله يعطي الامور بعقله الرصين حقوقها ، ويحرس ارجاء المودة ــ في الله ــ ان تعتد الا لا في الكاذبة طروقها ، وينحني على غراس السعايات فيتتبع عروقها . معظم مقامه الحقيق بالتعظيم منصبا وشيما ، وموقر ملكه توقيرا دائما ملتزما ، المثنى على فضله ثناء متمما ، الداعي الى الله في صلة بقائه برفع الاسلام علما ، ويسمر من ربع المجد معلما ، الامير (فلان) (السلطان ابو الحجاج يوسف) .

سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله مظهر الحق ومعليه ، الذي يحكم آياته وينسخ ما يلقي الشيطان ويمليه ، حتى يروق وجه اليقين لمجتليه ، ويفوز بحسن العقبى حزبه ومتوليه . والصلاة والسلام (6) على (55 : ب) سيدنا ومولانا محمد نبيه الذي جمع الفضل فيه ، وانقذ الخلق من مهاوي التلف بتلافيه ، فثبت ما كان الضلال ينفيه ، وحصت قوادم الباطل وخوافيه . والرضا عن آله واصحابه وقرابته وذويه ، الذين كانوا نجوم ناديه ، وبروق غواديه ، وسيوفه على اعاديه . والدعاء لمقامكم الاسمى حرس الله اكناف معاليه ، وعرفه مقدم الفتح وتاليه ، وابقاه لفخر يبنيه ، وامل للدين يسنيه ، بالنصر

---

1) في نسخ الريحانة (أهمت) .
2) في نسخ الريحانة (العدة) بدل « العمدة » فلعل كليهما بمعنى .
3) تتمة السلام زيادة وردت في نسخ الريحانة فقط .
4) هذه الرسالة من السلطان يوسف الاول الى ابى عنان فارس ، وقد ثبتت في الريحانة ، وتاريخها تقريبي كسابقاتها لنفس الموضوع ــ وهي كما يتضح من من مضمونها تفنيد للسعاية والمكيدة التي دبرها ابن ابى عياد ضد السلطان ابى الحجاج في شان هرب الامير ابى الفضل ، وهذا يتمشى مع الواقع الذي يراه معظم مؤرخي العصور كما ذكرنا ــ من ان السلطان يوسف الاول بريء من جريمة لحاق ابى الفضل بأرض النصارى ، حيث لا مصلحة لسلطان غرناطة في ذلك ، بالاضافة الى ان الدولة بغرناطة كانت تجتاز يومئذ نفس الظروف التي تقاسيها منذ تاسيسها تجاه جيرانها الاسبان الذين كانوا لها بالمرصاد ، يأملون ان يتوجوا بها حروب الاسترداد .
5) في نسخ الريحانة (ولا يخلق من وده الاصيل جديده) .
6) زيادة في « الريحانة » دون « الكناسة » .

الذي كرمت الفاظه ومعانيه ، والسعد الذي عذبت مجتنيه ، والصنع الذي يجمع للاسلام شتى أمانيه — فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم سعدا راياته منشورة ، وصنائع كتائب عناية الله لديه محشودة محشورة ، ومجدا آياته مؤرخة مسطورة ، وقضاياه ذائعة مشهورة من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والتشيع فيكم قوى سببه ، لاحب مذهبه ، والاعتداد بكم — فى سبيل الله — صريح نسبه ، جديرا أن يتسنى به للاسلام مطلبه ، ويتحصل للدين الحنيف أربه .

والى هذا — وصل الله سعدكم ، ووالى تأييدكم وعضدكم — فانا ورد علينا كتابكم الكريم الانباء الباهر السناء ، السافر عن محيا المودة والولاء . تعرفون بما انتهى اليه حال من عاندكم من التضييق على جهاته ، واخذكم عليه طرق (56 : ا) منجاته ، وانكم اقمتم تلقاءه الحصص ، وجرعتموه الغصص ، وان الخائن الذي دلاه بالغرور ، وقدح زناد هذه الشرور ، ورام شق عصا الامة بعد سكون الامور واشراق النور ، يعقوب بن ابى عياد ، اورطه الله فى حبال مكيدته التي نصبها ، واشرقه ماكلته التي غصبها ، وأمكن منه يد قدرتكم التي عودها التمكين ، وعرفها العز المكين ، وحدا له بما جحد من عفوكم الذي ابتسموه ، وحلمكم الذي اوليتموه . فاطفاتم بجدول السيف ذر شره ، وحسمتم بعلاج اليد سبب ضره ، وانفذتم فيه حكم الله — سبحانه — بمقتضى امره ، وانه لما استفهم عن شانه واسباب خذلانه ، ختم عار قوله (1) بعار لسانه ، وزعم أن هذه الفعلة التي ارتكبها ، والدرة التي حلبها ، انما كانت باشارة من جهتنا اعتمادها ، ورام امدها .

وان مقامكم الذي اقامه الله قسطاس حق ، وعقلكم الذي لا يلتبس لديه باطل بحق ، انحى على هذه الدعوى الخبيثة بالتكذيب ، ولم يعدها من الممكن البعيد ، فضلا عن الممكن القريب ، واضرب عن قول العدو فى الحبيب ، فاستوفينا ما فسرتم ، وحصلنا ما قررتم ، فقابلنا نعم الله عليكم بشكره وحمده ، وسألناه لكم مزيد رفده . ومعلوم ان مقامكم محفوف من الله بعناية ملابسها (56 : ب) لا تخلق ، مكنوف برعاية أنوارها تتالق . وانه — سبحانه — قد اختاركم وهو اعلم باختياره ، وقلدكم الامانة ولا يفتات عليه فى مقداره . فالعجب مما خفيت عن بصيرته هذه الدلائل والشواهد ، وغابت عنه هذه القواعد . زادكم الله من فضله ، وحكم لملككم باعتلاء محله . ونحن نصل شكركم على التعريف ، ثم على رخص ما القاه ذلك الخبيث من الكلام السخيف ، بين يدي الرعب المخيف والجبن المطيف . ومقامكم آصل عقلا ، واشهر فضلا ، من ان يصغى الى كلام يقوم البرهان على بطلانه ، ويشهد الحس بخسارة قائله وخذلانه ، فالدعاوي اذا وقعت من بريء الجانب ، واضح المذاهب ، لا تقبل عن (2) غير دليل يعضدها ، او شهادة تؤيدها ، فكيف بها اذا صدرت من ناكث غادر ، مسارع الى شق الامة مبادر لا مسلوب العدالة ، يستنجد خدع النفس الختالة ، ويشاهد فى السيف مجرى جريانه لمسالة .

ونحن نكل الامر الى علمكم بسيرتنا وسيرة سلفنا، فى اجتناب هذه الشبهات ، والاعراض عن شيم بوارق الترهات ، والتحفظ عن مداخلة الفتن مهما وقعت بتلك الجهات . ولا دليل ارجع ، ولا برهان اوضح ، مما شهده كثير من خدامكم الذين بين يديكم ، حسبما يقررون لديكم ، من ان (57 : ا) والدكم — محل ابينا السلطان الواجب علينا حقه ، الواضحة فى البر والتشيع لدينا طرقه — لما طلب منا الاعانة على ما كان بسبيله ، وصرف الى الانجاد فى الاجفان وغيرها وجه تاميله ، قابلنا طلبه بالاعذار ، وامسكنا عن الركض فى ذلك المضمار ، حذرا ان تكون بيننا وبين تلك الجهة نره تتعقب عند الهدنة،او مداخلة فى شىءمن اسباب الفتنة .

هذا ، وحقوقه تحجنا بالسنة فصيحة ، وتجادلنا بادلة صريحة . ولكن اخترنا الوقف مذهبا ، ولم نترك للحجة علينا سببا . والحال فى جهتكم عندنا الان اعظم ، والسبيل — بحمد الله — اقوم ، فانكم زدتم فى البر واربيتم ، وعدتم فى الفضل وابديتم . وما حمل اخاكم على ارتكاب الخطر الذي قلما نجا راكبه ، واقتحام البحر المحيط الذي لا تبين مذاهبه ، ولا تهدى السارين كواكبه ، وتقبيل يد العدو الكافر وهو العمل الذي لا تمحى مثالبه ، الا لما يئس من مداخلتنا فى امره الذي ابرمه ، واعانته على ما يممه . وبعد أن سدت عليه المسالك القريبة من مرمى امله ، ولم يجد فينا طمعا لقبول قوله ولا عمله . فانفرد بغائله ضميره ، ولم يطلع غير طائفته على تدبيره .

1) فى نسخة الريحانة (وختم عار فعله) ولعله انسب
2) فى نسخ الريحانة (من) بدل (عن) ولعله اوفق .

فالذي عملتم في رفـض هـذا القول هو اللائق بدينكم ، وصدق يقينكم ، فمثلكم لا يرتاب في احبابـه واوليائه ، ولا يلتبس) 57 : ب) لديه مذاهب التشيع لعلائه . وتعريفكم عندنا مقابل بشكر مقامكم الرفيـع وثنائه ، على اتصال الدهر وتوالي آنائه . الله تعالـى يعرفكم عوارف اعتنائه ، ويجزيكم عن الاسلام خيـر جزائه ، وينصر عزمكم على اضداد دين الله واعدائـه ، والـسلام (الكريم المبارك العميم يخصكم ورحمـة الله وبركاته) » . (1)

حققـه

د . محمد كمال شبانه

---

1) تتمة السلام زيادة في نسخ « الريحانة » ، ساقطة من نسخة « الكناسة » .

قبـــــول الهـديـــة

استوفد عبد الملك بن مروان عاملابلغه انه قبل هدية ، فقال له اقبلت هديـــة . قال : يا امير المومنين :

« بـلادك عامـرة ، ورعيتكراضية . فقال : اجب عمـا تسأل عنـه . قال : نعم . فقال عبد الملكاما واللـه لان كنت قبلت الهديـة كافأت صاحبها بأن وليته من عملنـاما لم تكن لتوليه لولا هديته ، انـك للئيـم ! !

وان كنت قبلتها ولم تعوضه منها انك لخائن حسود ، وان كنـت اعطيته مثل ما اخذت واطمعت فيشعبك رعيتك وعرضتها لخليفتـك لانك لاحمق . وما من اتى شيئـاالا يخلو فيه من حمق او لؤم او خيانة حقيق بأن لا يقر على عمل .

أبو إسحاق ابراهيم التادلي من خلال أقواله

1242 هـ — 1311 هـ

1826 م — 1894 م

للأستاذ مصطفى الغربي

ان من الشخصيات المغربية الفذة ذات المواهب النادرة المثال ، التي اتسعت جوانبها واستطالت طاقاتها ، وتسنمت أسمى مكانة علمية – اواخر القرن الماضي – بمدينة الرباط ، وتربعت كرسي مشيخته باستحقاق وكفاية كاملة ، وامتازت بمشاركتها الفعالة في جميع الفنون المتداولة في ذلك العهد تاليفا ومناظرة وتدريسا ، واتصفت من بين معاصريها بقوة العارضة وسرعة الادراك ، وسعة الاطلاع ، معززة بذهنية حادة لالتهام المعارف انى وجدت ، والتقاطها من الافواه والكتب بنهم زائد مع تباين موضوعاتها ، وامتلاكها بحافظة مقتدرة على الاكتناز حتى اكتمال الغاية ، حاديها نشاط غريب يحفه الجد المثمر ويغمره الانكباب المستمر ، ورائدها حب العلم للنشر ، ونصرة الحق ، واعلاء كلمة الله ، لا يضنيها اجهاد ولا تغريها رغبات عابرة عن طلباتها المشروعة ، ولا تلهيها مشاغل الحياة ومشاكلها العديدة عن هدفها المأمول ، ولا يقعد بها عن العمل سغب او عزاء ، ولا يطوف حواليها فتور او سأم – الحجة الدراكة ابا اسحاق ابراهيم ابن محمد بن عبد القادر التادلي – ذلكم الرجل النفاعة النصوح المقدام ، العزوف عن المظاهر الخادعة والمطامح الزائفة ، والزاهد في السعي وراء الرغائب وعلو المناصب ، خاتمة العلماء الاماثل وشيخ الاقران المبرزين الذي انتهت اليه رياسة علمي المعقول والمنقول في الفروع والاصول بالرباط وسلا كما عبر عن ذلك جهينة الاخبار ومؤرخ العدوتين محمد ابن علي الدكالي في ارجوزته التاريخية « اتحاف أشرف الملا ببعض اخبار الرباط وسلا» لدى الكلام على ترجمته بقوله : ابراهيم التادلي شيخ الفضلا ، بعصرنا لدى الرباط وسلا .

ما شئت من علم ومن معارف
ومن جلالة خلت عن كلف
ومن دؤوب وعكوف بالعلى
ومن تعاطي وانقطاع كملا
قد ختم الدهر به الكمالا
بتفره فلم يبن مثالا

حقا فلقد كانت احاطة هذا الاستاذ الكبير الواسعة الفنون المتداولة – اذذاك بين اوساطه العالمة ، وقدرته على التصرف في معلوماتها الغزيرة رغم اختلاف الاوجه والنظرات ، واستطاعته لتبليغها بالوان رصيد مكتنز من القول شرعي وعقلي ، والافاضة فيها باسهاب غني بالمراجع الهامة ، والمصادر المختلفة ، ومليء بالالتفاتات التاريخية والادبية ، واستطرادات المتكاثرة المفيدة ، من العوامل الجذابة والدواعي المرغبة والبواعث الدافعة لعدد كثير من جهابذة علماء البلد ونجباء طلبتها لحلقة دروسه العامرة امثال ابي حامد البطاوري والاحمدين البناني ، وجسوس ، والمهدي متجنوش ، واخيه محمد ، والشريفين محمد ابن الحسني ، واخيه الفازي والد ابي المحاسن المدني ، ومحمد بريبش ، والهاشمي الحجوي ، وزين العابدين البناني واخيه فتح الله ، ومحمد بن قاسم اقديرة ، ومحمد الرندي ، وعبد الرحمان بريطل ، وعبد الرحمان لباريس ، والجيلاني ابن ابراهيم ، ومحمد عمر دينية ، وبنعيسى بن مسعود ،

والشريفين العربي بن التهامي الوزاني ، وولده عبد الله، وبنعاشر الجزولي ومحمد الرطل الرباطي ، وغيرهم كثير ، وهذه الدروس كانت تزدحم فيها كثرة الاراء ، وعدد عديد من الانقال لا ترى فيها طابع الارتجال او تشذيبا واختصارا يرمي للاختلال ، وكان يجول مترجمنا بعينيه الفاحصتين في هذه الحلقة ويصول – بصوته الجوهري – بالاقوال ، ومميلا راسه ذات اليمين وذات الشمال ، كأنه يستكنه الحاضرين عما يمليه عليهم بسرعة من معارف دون تلعثم وتوقف املاء كأنه يتلوها من كتاب امامه ، وقد اكتسب هذا الوسع في الاطلاع والطلاقة في الالقاء وشدة الاستحضار بفضل تهييئها وتحضيرها في غالب الاحوال وفق اعتماده على مطالعات تستغرق زمنا من الفراغ الذي كان يتخلل اوقاتها ليستخلص منها شروحا وحواشي عما كان يدرسه من متون، وبذلك انتج ما يربو على مائة وعشرين تاليفا جلها لم يتم ، وقد عرفنا بنفسه في تقييد عثر عليه المؤرخ الاديب ابو جندار واثبته في تاريخه ، ولقد افادني وجود هذا التقييد فائدة جلى بالاضافة الى ما دونه في بعض كتبه – عرضا – من ارتسامات طريفة وذكريات مقتضبة عن حياته الحافلة ، مع استئناسي بما كتبه – عن هذه الشخصية الكبيرة المغمورة – مؤرخو الرباط المحمدون ابن علي الدكالي ، ابن علي دينية، ابو جندار في تشجيعي على كتابة ترجمته ولو بمقال موجز ، مع ان مقامه العلمي ومكانته العالية تحتاج لتاليف خاص تبرز فيه معالمه الضائعة القيمة ، ويوضح بعض مواقفه الجريئة في نصرة الحق ، ومبلغ شجاعته الادبية في مختلف الميادين ، ويبين ما غمض علينا كثيرا من جانب هام من ترجمته ، وهو تطلعه لتعليم العلوم الحديثة ، وتشوفه الكبير لما عليه الغرب من رقي وتقدم ، ويكشف عن نتائج سفرياته في الشرق العربي ، وبلاد تركيا وتعاليقه الخاصة عن ذلك ، والامل وطيد في تحقيق هذا التاليف باكتشاف محتويات رسائله ومكاتبته العديدة ، وما سجله في مجموعات دفاتره . فلقد كان نشيطا في هذا الباب ، لا يدع شيئا يذهب نتيجة الاهمال والنسيان ، بل تجد معلومات عن حياته او غيرها مثبتة على طرر بعض المؤلفات بخط يده او مقحمة في بعض كتبه دعت اليها ادنى المناسبات .

هذا وقد ذكر في هذا التقييد الذي خصصه للتعريف بنفسه انه لازم الدراسة بفاس نحو خمسة عشر سنة تلمذ فيها على مشايخ القرويين واخذ عنهم سائر العلوم الشرعية والادبية ، وكان لا يترك اوقات العطل تذهب في اللهو والنزه كعادة الطلبة ، بل يغتنم فراغها لتحصيل العلوم الفلكية وفن الموسيقى ، واشار الى هذا ايضا في كتابه « اغاني السقا » فقال : « لما سافرت الى فاس شمرت عن الجد جهدي في تحصيل العلم من اربابه ، فكنت اذا فرغت من قراءة العلوم الشرعية ودخلت شهور « العواشر » واستراحة الطلبة من القراءة اتجرد لتحصيل علوم الفلسفة كالحساب والهيئة والموسيقى ليلا ونهارا حتى لا يمضي زمان في البطالة» ولم يغفل كذلك ذكر دراسته بمكناس ومراكش والرباط بعض الفنون كالتعديل والطب ، وسجل فيه رحلتيه للشرق اولاها سنة 1278 – 1862 ، والثانية سنة (1284 – 1868) واستفادته الكثيرة من رجالاته فقد اخذ عن علماء مصر وبلاد الشام والحرمين ، ودرس الفقه هناك على المذاهب الاربعة ، ثم جال ببعض البلدان الاوربية كاسبانيا واستقر بها مدة شاهد عن كثب تطورات العلوم الحديثة ، وقد اتصل اثناءها ببعض علمائها قصد الافادة ، وعرج على جبل طارق فدرس فيه علم الجدول وسر الحروف – كما قال – على شيخه الحسني التهامي ، وذكر في هذا التقييد ايضا جل اسماء تآليفه ، وقائمة كبرى من اساتذته الذين تلمذ عنهم في بلاد المشرق والمغرب ، ومما يلفت النظر في مجموعة هذه التآليف اهتمامه الكبير – زيادة على علوم التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والتاريخ – بفنون الحساب والفلك ، فقد كتب فيها عدة كتب كتحفة الاحباب في علم الحساب ، وشرح الكرة في علم التوقيت ، وحاشية على ابن الشاطر في علم الجيب ، وشرح روضة الازهار في علم التوقيت ، وحاشية على المنهاج في علم التعديل ، وحاشية على الرخامة في التوقيت ، وحواش على شرح التفاحة في علم المساحة ، واخرى على اقليدس في الهندسة ، وشرح المقنع في التوقيت ، والمبق في شرح سلم المنطق ، وحسان الحقائق في الدرج والرقائق ، وقد اختصر عدة كتب تاريخية ككتاب « اقوم المسالك في احوال الممالك » لخير الدين التونسي و « صفوة من انتشر من رجال القرن الحادي عشر » لمحمد الصغير الافراني و « جذوة الاقتباس في حل من الاعلام بمدينة فاس » لاحمد بن محمد بن القاضي، وكتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لاحمد بابا بن احمد التنبكتي السوداني و « تذكرة الانطاكي » في الطب ، وكتاب « الحايك » في الموسيقى ، وقد الف بعض الكتب في المذاهب الاربعة كحاشيته على نظم الزبير لابن وسلان في الفقه الشافعي ، واخرى على رسالة ابي شجاع فيه ايضا ، ودليل الطالب في الفقه الحنفي ، كما له كتابات عن تاريخ بعض الدول الاسلامية كبني امية والعباسيين والعثمانيين ، وله رسائل في التعريف بمشاهير بعض رجالات العراق والاكراد والحجاز وبلاد الشام والفرس ، كما له رسالة في علم

هيئة الارض واقاليمها ، ورسالة في البوصلة التي يستعملها البحارة لمعرفة اتجاهات الطرق البحريه ، و « قلائد النحر في علم البحر » كما هو موجود عنوانه بتقييد المؤلف في التعريف بنفسه ، والمعروف بعدد من النسخ باسم « زينة النحر في علوم البحر » ذكر فيه كثيرا من الالفاظ الاجنبية المستعملة لدى مستخدمي السفن ورؤسائها ذوي الخبرة ، كما عبر في خاتمته عن ذلك بقوله : « ان هذه الالفاظ كلها او جلها بلغة العجم ممن تلقيناه من بعض رؤساء البحر ممن سافر فيه او خدم دهرا طويلا » وهو كتيب صغير مكتوب بعبارات مبسطة تقرب من الدارجة ، وله رجز مطول كموسوعة موجزة في عدة فنون ، ورغم الجدية والوقار والدؤوب على العمل بإستمرار التي كانت تتسم به حياة المترجم، لم ينس قط ما لنفسه عليه من حق الترويح والاستجمام، فلقد كان ولوعا بالموسيقى الاندلسية منذ صباه يتذوق طبوعها ويتلذذ بسماعها من ارباب الفن وهواته المجيدين ويتقنها علما وعملا حتى صار يحاور مهرتها ويغالبهم في ذلك ، كما عبر في كتابه « اغاني السقا ومغاني الموسيقى» الذي خصصه في طبوع هذه الموسيقى الاربعة والعشرين بقوله : « لما ناهزت البلوغ عرفت طبوع الغناء عند « الذكارين » من رصد ومزموم ، وماية ، ورمل الماية ، وما يستعمل في كل طبع منها ، وذلك بالرباط اولا قبل سفري لطلب العلم بفاس، فصرت احاور مهرته واغالبهم فيه ، فكان لذلك اذا جاء سيدي‌عمر بن المكي بن سيدي المعطي بن الصالح صاحب « الذخيرة » من ابي الجعد ، ونزل بدارنا بالرباط دعاني حتى اجلسني بين يديه ، وانا صغير ، وكان يحب الطرب جدا ، وبمجرد نزوله يحضر له تلميذه جدنا للام القاضي السيد صالح الحكموي اهل الموسيقى من اصحاب العود والرباب ونحوهم ، فانه كان من تمام قرى الضيف واكرامه ، وزاد فقال : « لما جئت للرباط (أي بعد انتهاء دراسته من فاس) لم نجد فيه من يتقن « رصد الذيل » فلما سمعه مني شيخ الصنعة الفقيه السيد محمد الرطل ، ولا اعلم منه بالموسيقى بالرباط ، وكان يلازمني كثيرا في علم التعديل زمنا طويلا ، فاذا ببعض الايام صرت اترنم ببعض صنائعه ، فتعجب وقال لي يا فقيه أانت تحسن هذا العلم ؟ وهذه نغمة رصد الذيل ، فقلت له نعم ، واحسن اكثر من هذا ، ثم اخذ يلح علي في تعلم رصد الذيل لفقده بالرباط ، فصرت اعلمه منه ما تيسر هو والشريف سيدي المكي الفكيكي الرباطي ، وكانت نغمته في الموسيقى رخيمة حسنة ، وبعد ذلك ذكر ملاحظته عن « سماع » نغمات اهل المغرب بالموسيقى الاندلسية وميزتها الخاصة وبراعة توقيعها الحسن ، الذي لا يوجد مثله — كما عبر عن ذلك — في اى قطر حتى في اوربا وتركيا ، فقال : « سماع اهل المغرب بالموسيقى لم ار حسن صنيعه الا بالمغرب ، خصوصا بفاس وتطوان ، وكيف لا وذلك بقية من بقايا الطرب الاندلسي ، الذي لم يوجد مثله في الدنيا الى الان ! حتى عند النصارى ، مع انهم اهل طرب وآلات عجيبة ، فاني سمعت نغمات اهل اصطنبول وغيره ، ونغمات النصارى فلم اجد واحدة تقارب ميزان الموسيقى بالمغرب ، ولعل اصل وصولها للاندلس من الفرس لا من اليونان » .
ويزيدنا المترجم تعرفا على تذوقه بالطرب الاندلسي ودرايته الكبرى بفنه ، ومعرفته الكاملة بصنائع اربابه بقوله : « آخر المحسنين لضرب العود شيخنا السيد الحاج حدو بنجلون شيخ جماعة الموسيقى بفاس ، فانه كان اجلهم صوتا وضربا وسنا ، ولضرب الرباب شيخنا الشريف سيدي رشيد الجملي وهو من تلامذة بنجلون لكنه كان احلى صوتا منه ، وله فيه ترنيمات اذا صاح بها تذهل العقول . . . ! ثم سيدي الغالي في الكمنجة ، ثم الشيخ الصبان في ضرب العود ، ثم لضرب القانون القاسم ابن عسيلة الرباطي،كان يضرب به مرارا امامي، واوتاره نحو سبعين ، كان يسويه بحلقات في اصابعه ، وكان ياخذه حال غريب ويهتز براسه ، وقل من يحسن ضربه اليوم » .

نعم لم تكن هذه الحياة المرحة المفعمة بالوان جميلة من انواع السرور والغبطة — التي كان يختلسها من اوقاته العامرة — يحياها بين اقوام — بعيدين عن اهتماماته العديدة — دابهم الطرب والمرح الدائم وفراغ البال ان تكون مانعة له — ابدا — من الانكباب المستمر الرتيب على اعماله العلمية وتكريس جهوده لاستخراج مفاهيم لنقول في مختلف الفنون — متشعبة رغبة في ادراك نصوصها المستعصية ، بل كانت تزيده هذه السويعات التي كان يقضيها معهم قوة وحيوية ونشاطا في الاستكثار من الاطلاع والزيادة في الاستفادة من ذوي العلم مشافهة او مراسلة مع المثابرة على ملازمة القاء الدروس على طلبته الكثر ما يقرب من الثلاثين سنة — كما نص على ذلك في تقييده — من صلاة الصبح الى مضي وقت العشاء في مجالس من خمسة الى ثمانية ، وكان يخصص بعض هذه المجالس لصغار الطلبة يختصر لهم فيها وفق مستواهم ما يلقيه على حاضري دروسه من بعض مشايخ البلد وكبار الطلبة ، ولهذا تجد ضمن مؤلفاته مختصرات لعدد من حواشيه وشروحه .

حقا ، فكما كان معلما كبيرا يراعي في تدريسه المقدرة والمرحلة التدريجية للتحصيل ، ويعتني بسير

تلاميذه ، ويراقبهم فى الاجتهاد ومواظبة الحضور حتى الوصول الى مرحلتهم النهائية ، كان كذلك مربيا يقظا ، وموجها حازما ، ومرشدا لهم ـ دوما ـ قصد نجاحهم، وناصحا خبيرا ينبههم على عدم الخوض والجولان في ميادين المعرفة العميقة ذات الاتجاهات الفلسفية ، والمسائل المعقدة التي ترمي للتاويل ، وتدعو للتأمل الزائد وتوقف النظار ، قبل اتقان معدات المرحلة الاولى للتعليم واستكمال فهم قواعدها الضرورية ، وبامرهم لرسوخ تمكنهم وتمتين تكوينهم على نهج صحيح ـ غير مبني على اسس واهية من الحذلقة وسفسطة القول ، وتصيد اللقطات المتنافرة من الكتب ، وتزويد الفكر بالنتف من هنا وهناك ، لاتربطها روابط بحث مدروس او هدف مأمول او تصميم علمي متنوع محدود المراسيم بعدم الاشتغال ببحوث لن يطيقها مستواهم ومعلومات لن تهضمها مداركهم ، والترامي على مطالعات لمثل هذه المسائل العويصة الداعية للاستغسار والحيرة ، قبل نضج ملكتهم العلمية ، وأوجب عليهم تقديم الاهم فالاهم تجنبا لضرر صدمة النفور من المعرفة ، والبعد من التعلق بأهدافها ، مما يؤدي لتطليقها الطلاق البات ، والرجوع الى الامية من جديد مع السخط المرير عن كل مكتوب ينم اليها بأدنى صلة تجذب اليها او يعرف على مضامينها، واليك نموذجا موجزا من توجيهاته التربوية لقنه لاحد تلاميذه النجباء ابي العباس احمد بن قاسم جسوس (1331 هـ ـ 1914 م) لما سأله عن كلمة غامضة المعنى، اشتهر غزوها للامام الغزالي وحار فى تفسير مبناها اكبر علماء الاسلام وغيرهم ، وتعددت ردود كثيرة حول ما يرمي اليه نصها من مفاهيم عن كنه هذا الكون العظيم اللانهائي ، وعن قدرة مبدعه الكامل الذات المنزه عن التجسيم ، الذي لا يحده زمان ولا مكان ، وتكاثرت الآراء المتعارضة عن المقصد الجلي من محتواها العميق وهي « ليس فى الامكان ابدع مما كان . . ؟ ! » فاجابه بجواب نقله برمته ابو جندار فى تاريخه لخص فيه اجوبة السيوطي وبعض الاصوليين وما استفاده فى الموضوع من شرح « المرشد المعين » للشيخ الطيب بن كيران ، ثم أعطاه فى الاخير خلاصة عن رأيه ، وقال فى الخاتمة موجها الكلام لسائله ـ الذي لا زال فى الطور الاول من الدراسة ، وما فتىء ذهنه فتيا عن تحمل مثل هذه الدسامة الفكرية ـ بقولة قصيرة التعابير ، ولكن عريضة المدى فى التنبيه والارشاد ، محذرا اياه من ان يتغالى فى الطموح لمعالي العرفان ، وان يعود للبحث عن مثل هذه المسائل والتعلق بها قبل الاوان ، فقال : « اياك ان تعود للتعلق والبحث عن مثل هذا ، وانت لا زلت فى حال البداية فانه يضرك ، بل يجب عليك ان ترجع القهقرى لما يليق بحالك من معرفة الاهم فالاهم » ولا ريب ان هذه النصيحة اللاذعة الوقع المرة السمع الكبيرة الدلالة مع قلة اللفظ ، التي تلقاها هذا التلميذ النابه اللامع الذكاء ، الحاد الشعور من استاذه المهيب الوقور ، كان لها اثر عميق فى نفسه الشاعرة ، المتسمة بدقة الحساسية ورقة الوجدان ، وطبعا لم يستطع الزمان ان يمحو مفعولها من ذاكرته الواعية ، ولا ان يقضي على رواسبها الكامنة فى عقله الباطن ، ولا ان يزيل ما علق بقلبه النابض الدافق بالحيوية من تاثيرها البعيد فى تكوين شخصيته ، وتركيزها لامثل مكانة وارفع مستوى ، تلكم الشخصية التي صارت تعد ـ بعد ذلك ـ من رجالات الرباط وافذاذه المتفوقين علما وادبا فى عهد ماضينا القريب ، وكان المترجم لا يقتصر ـ لارشاد تلاميذه ونصحهم وانارة الطريق امامهم لتوضيح ما يفيدهم فى مستقبل حياتهم العلمية ـ على مثل هذه المناسبات فحسب، بل لقد كان يختص بالعناية والرعاية الكاملة من توسم فيه النبوغ والاقتدار وسمو الملكة منهم ، فيعقد معهم مجالس خارج حلقات الدروس للمناقشة والمذاكرة كي يزودهم بطرائف من النقول تكتنز عديدا من الآراء والنظرات تعلو عن مستويات تلك الحلقات ، رغبة منه فى توطيد تمكنهم على اسس متينة قوية ، ورسوخهم للتخريج على اكمل وجه ، وبفضل هذا تكونت نخبة من اماثل العلماء الكبار ـ كما سبق ـ أحيت معالم العلم بمدينة الرباط ، وازدهرت بها ميادينه ، وارتكزت دعائمه التي كادت ان تسقط وتندرس بقاياها ، ويندثر اثرها بهذه المدينة ، وكنت لا تجد بعدها من يحكي لك عن مآثر امجادها خبرا ، ولا من يحدثك عن اعمال اعلامها الفطاحل الذي هو بقيتهم المباركة ، لولا جهوده العظيمة التي صرفها باستمرار بلا هوادة ولا فتور ، فى انهاض شان التعليم ، وشدة اهتمامه بتعليمه أقدار طالبيه ، ونمو مداركهم ، وتهييئهم للانخراط فى عالم العرفان ، ما يزيد على ربع قرن من الزمان ، وصدق ـ وايم الحق ـ ما قاله ابو عبد الله محمد بن علي دينية مفيدي الكبير ، معبرا عن مدى قيمة هذا الدور الهام الذي كان يقوم به ، هذا المعلم المرشد والمربي الكبير فى تاريخه « ولولاه لم يبق العلم بالرباط اثر ، ولقيل : الله اكبر ، خربت خيبر ! » .

اجل فلقد خرج المترجم الى ميدان التعليم مبكرا ، تحدوه نفس ابية تمتلىء نشاطا وحيوية امتلكتها جراة ادبية نادرة للجهر بكلمة الحق والصدع بها امام الملأ ، غير ملتفت للمغاب والعواقب . متحليا بالجد الصارم والدؤوب على العمل فى افادة الغير وتوجيههم التوجيه الحسن واعلائهم لانتاج صوب الحياة الكريمة ، حياة

العلم والتطلع الى المعارف ، لا يطلب جزاء ولا رغبة في احراز شهرة ، ولا يغريه لذلك بارق مطمع ، ولا يغويه عن تحقيق مهامه المشروعة تقرب لجاه لسمعة ، او تملق لسلطة لادراك نفوذ ، تقوده عزيمة فولاذية لا يثنيها عن العمل الدائب مكايد خصومه من مشايخ البلد المعاصرين، ولا يصده عن اهدافه المأمولة ما يضعون في طريقه من اشواك وعراقيل ، ولا يحيد به عن وجهته المقصودة — التي وهب لاجلها حياته وكرس لها جهوده ، وهي القيام بمهمة التدريس — مضايقات ومماكسات قاضي مدينته — حينذاك — عبد الرحمان لبريبري (1293 هـ 1877 م) ولافت في ساعده ولا اضعفه عن السير الحثيث — لما خلق له — الى النهاية ، تسلطه عليه بصرامة للحيلولة بينه وبين هذه المهمة السامية ، ومنعه من القيام بالمراسيم الدينية، هو وجماعة من علماء مدينة الرباط ، فلم يمتثل — طبعا — لاوامره ، احتفاظا بكرامته وثقة بنفسه الوثابة ، وثابر على التدريس اعتزازا باقتداره وكفايته العلمية ، ولم يعبأ بتعاليم من اراد التشهير به ، فسجنه قاصدا بذلك — كما قال محمد بن علي دينية — اهماله وتنقيصه ، ولكن الله ابى الا ان يتم نوره . . . »

والى قارىء العزيز فحوى هذه القصة كما رواها محمد ابو جندار في تاريخه لدى ترجمة هذا القاضي العادل المستبد فقال: «انتهت اليه الرياسة في وقته، فلم يكن له ثان في وسمه وسمته غير انه بلغت به الصرامة مبلغها افضى الى التسلط على كثير من معاصريه من علماء الرباط ومدرسيه كالشيخ ابي بكر البناني ، والقاضي ابي العباس دينية ، والسيد المكي بوجندار ، والسيد الطاهر بريطل ، والسيد عبد القادر بوعياد . والسيد المعطي القربي ، والسيد الهاشمي الضرير ، وجماعة آخرهم ابو اسحاق التادلي فقد امتحنه بالسجن ، وطالما حال بينه وبين التدريس كبقية اولئك الجماعة ، الى ان كانوا يأتون بظهائر مخزنية ، فيتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسيم الدينية » .

علاوة على هذه الاعمال الجليلة التي كان يقوم بها في ميادين التعليم ، وما تتطلبه من مطالعات مختلفة ، ومراجعات لتحضير الدروس ، مع دوام اتصالاته بأهل العلم بالمكاتبة اجابة واسئلة في العالم الاسلامي وغيره ، وما يقضيه من وقت في تخريج تآليفه العديدة ، كل ذلك لم يجعله بعيدا عن مجتمع امته ، التي عاش بينها ، ولابس معها احداثها ، ووقائعها خيرا او شرا ، ولا كان انعزاله في بيته — غالب الايام — لتحقيق غايات مآربه العلمية — صادا له عن الاستطلاع والبحث عما يمس حقوقها من هضم واجحاف ، المؤدي للضرر في معاشها ، والداعي لفقد الآمال ، وضياع الثقة من الناس ، والرامي لخلق حياة التذمر والفوضى في اوساطها المدقعة ، نعم فلقد كان يدرك اتم الادراك كعالم مسلم ما تفرضه عليه واجباته الدينية من القيام المتعين على امثاله للدفاع عن هذه الحقوق والذود عن حوزتها عما قد يصيبها من الوهن ، فما طرق سمعه قضية المكوس ، وهي ترتيب اداءات على جميع المبيعات الداخلية والخارجية من ابواب المدن والقرى، حتى غضب وثار وتغيرت احواله، ولم يستطع ان يخفي ما يعتلج صدره عنها من شجون ، وما فتىء يبدي رأيه الصريح في ضررها وعواقبها الوخيمة على طبقات الشعب الفقيرة ، ويوالي الكلام في شأنها ويكرره مع الخاصة والعامة مدة سني وضعها حتى صار يعد لدى الناس كالمجذوب ! ، وقد قدم لعاهل البلاد المولى الحسن كتابا كنصيحة يذكره فيها بالمضار التي تنجم بسببها ، ويرجوه اعادة النظر بعين العناية ومراعاة واجب الرعاية في اسقاط هذا الامر الجلل ، واشار الى هذه النصيحة ابو عبد الله محمد دينية في تاريخه بما نصه : « وكتب للسلطان مولانا الحسن قدس مرقده ، وبل بمزن الرحمة معهده ، نصيحة يحثه فيها على الاهتمام بامور المسلمين والاسلام والنظر اليهم بعين الشفقة والرحمة الى الضعفاء والارامل والايتام » ولم يعتمد على تقديم هذه النصيحة — في طلب ازالة هذا الكابوس الثقيل الجاثم على الابواب — فقط ، بل رأى وسيلة اخرى قد تكون اجدى تبليغا واضمن اثارة لهذا المطلب المشروع ، وهي اغتنامه للصداقة المكينة التي كانت تربطه مع البيت البركاشي بيت الرياسة والكياسة . وعلى رأسه المندوب المفوض بطنجة للحكومة المغربية لدى الدول الاجنبية — حينذاك — محمد بركاش وولده الحاج محمد الامين المحنك ، فقد اتخذهما كوساطة لما لهما من دالة ووجاهة ومحل ثقة ، وموضع مكانة لدى ولي الامر عاهل البلاد ، لتبليغه استنكار الامة لقضية المكوس والمضار الناجمة عنها التي تلحق بالضعفاء اكثر من غيرهم . ولعل هذه الرسوم التي فرض اداؤها على الابواب في تلك الظروف أوجبها تخليص من دين نتج عن ضرب النقود الفضية الحسنية الواقع الاتفاق عليها بباريس عام 1298 هـ — 1881 م ، وندع المترجم يروي لنا بقلمه طرفا من عمله الجليل عن هذه القضية ، ومتابعته في رفعها ما يزيد على الست سنوات، مما وجد مكتوب بخطه على ظهر نسخة من شرح محمد ابن قاسم جسوس على الرسالة للقشيري نقله ابو جندار في تاريخه طبق تعبيره فقال : « وفي ليلة 27

رمضان عام 1302 طلب مني السلطان مولاي الحسن نصره الله واصلحه ، أن احضر معهم بمسجده بالرباط على العادة عنده في تلك الليلة بواسطة قاضي الرباط — حينه — السيد احمد ملين ، فامتنعت واعتذرت له باني غير « صحيح » ونويت باني غير صحيح بما يفعلونه من المظالم كالمكوس ، ثم بعد ذلك — اردت مصالحته ، فارسلت له مائدتين من « المخرقة » والحلاوي التي تصنع بالرباط على يد ولدنا السيد الحاج محمد بركاش اصلحه الله ، فقال لابد ان استاذنه في ذلك ، فاذن له ، وطلب مني ان اكتب بخط يدي بطاقة ارسلها مع المائدتين ففعلت ، ثم كتبت بطاقة اخاطب بها حاجبه السيد احمد بن موسى فقلت : وبعد : تصلك مائدتان من الحلواء لسادتنا الشرفاء اولاد سيدنا نصره الله ، فلما وصلت المائدتان فرح بهما السلطان ، وصادفه الحال يريد الركوب للعيد مع القبائل بعد العصر ، فادخلهما داره قبل ذهابه ، وقد كان السيد احمد المذكور — قبل ذلك — طلب الاذن في زيارتنا فاذن له — عقب ارسال المائدتين — مع الحاج محمد بركاش ، ونزل قرب دارنا مع الحاج محمد المذكور ، ووقف بباب البيت حتى استاذن عليه الحاج محمد فدخل ، وقبل يدي وترامى علي ، وهو خافض الراس ، ففرحت به ، واكرمته ، ثم جلس نحو نصف ساعة وهو ساكت ، وانا احادثه بكلام ليس طيب ، فلما اراد الانصراف ، قلت له زيارتكم عندنا ان ترغبوا سيدنا نصره الله ، حتى يعطف الله قلبه لزوال المكس ، فأجاب عنه سريعا ، بانه عازم على ازالته ، فقلت : بشرك الله بخير ، ثم خرج » وزاد فقال: وقد كنت قبل هذا التاريخ بنحو ست سنين لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش ، اغلظت له القول في المكس وقلت له المكس حرام نحو مرتين او ثلاث بحال عظيم ! حتى هم بالخروج من حينه ، ثم اعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى » وذلك بمحضر ولده الحاج محمد ، فاثر ذلك فيهما ، ثم بعد نحو سنة اراد ولده المذكور السفر من الرباط لفاس عند السلطان ، فأكدت عليه مرارا في ان يكلم السلطان في ازالة المكوس ان تلاقى معه ، ولا يقصر في ذلك فامتثل ، وقال له : الى متى تسود صحيفتك باخذ المكوس ، وتعطيها للناس ياكلونها ، فغضب السلطان لما سمع منه هذا الكلام ، وقام عجلا ، فقال الحاج محمد — حينذاك — قمت وقبلته واعتذرت اليه ، فعند ذلك سكن غضبه ، ووعدنا بازالة المكوس — ان قضى دين الفرنسيين الذي ترتب له من السكة » وفعلا في هذه السنة وفى بوعده المولى الحسن ، وهي سنة (1303 — 1885) وامر برفع ما كان مرتبا على أبواب المدن والقرى — من عطاء تدفعه العامة على انواع السلع وارسل مكتوبا لجميع عمال البلاد يامرهم بتنفيذ هذا الامر بقوله : « وبعد : فقد شرح الله صدرنا لرفع العطاء في سائر الابواب بالمدن والمراسي عن كل ما يمر به عليها داخلا وخارجا . واصدرنا امرنا الشريف لامين المستفادات بانهاض المشترين للابواب الجالسين للقبض بها ، والمتصرفين في شؤونها لحال سبيلهم ، واعمال الحساب مع مشتريها المذكورين على ما تصرفوا فيه الى يوم الانهاض ، وتوجيه القائمة بذلك لحضرتنا العالية بالله ، وغير الابواب من الاماكن المعطى فيها وعليها يبقى على حالها حتى تنظر في أمرها بحول الله ، واعلمناك لتكون على بال ، والسلام ، في ثاني ربيع الاول عام ثلاثة وثلاثمائة والف » . وقد نص على ورود هذا الامر المولوي في تسريح الابواب من المكس صاحب «الاستقصاء» في الجزء التاسع في « الخبر عن دولة المولى الحسن » .

هذا ويظهر للمتامل الباحث في فترة حياة المترجم الاخيرة بعد قضية المكوس وانفراج ازمتها ، انها كانت مرحلة تكاد تباين اهتماماتها فيما كانت عليه أحواله من قبل ، فقد تاقت نفسه الكبيرة الطموحة للتعرف ببلاد الشرق العربي من جديد ، على ضوء ما يروج فيه من حركات اصلاحية يسعى بها دعاتها للتقدم والرقي كي تواكب اممه ركب الدول الغربية المتمدنة الذي اشتد تكالبها ، وقوى جانب شرها للترامي على الامم المتاخرة، وازداد تطلعه ايضا لزيارة تركيا مركز الخلافة العثمانية ليلتقي مع الخليفة عبد الحميد ، وبطانته ذات النفوذ الديني في العالم الاسلامي — آنذاك — وتقديم نصائح له ولاستكناه نيات رجالاته المقربين وقادته السياسيين ، ولم يساعد البحث — الان — على العثور على نسخة من هذه النصائح ، او ما يدعو لتوضيح محتوياتها ، ونص محمد بن علي دينية على انها « نصائح اسلامية عجيبة!» وليس من البعيد — على ما استفدناه من وقفته المشرفة في قضية المكوس ، وما انطبع عليه امره — دوما — من نصرة الحق ، والعمل لاعلاء كلمة الله والوقوف بالمرصاد امام من يريد هتك حرماتها — ان تكون مرامي هذه النصائح تتعلق بما وقع من تدهور وانحطاط في الامم الاسلامية جمعاء بسبب مخالفتها اوامر الشريعة السمحة ، وتهاونها بما اقرت به تعاليم الاسلام الحق ، والاستكانة للذل والخنوع والاستسلام للاستعباد، الذي جعلها فريسة سهلة تنهش خيراتها بشره الامم الغربية المستعمرة ، وتبتز اطرافها شيئا فشيئا في استغلال فظيع ، واستقر رايه على أن تكون هذه الرحلة الميمونة ثالثة رحلاته لبلاد الشرق ، وفي ضمنها بلاد تركيا — اوائل عام 1304 — 1886 ، لا لاخذ العلم والتلمذة

على المشايخ بها – كما كانت رحلتاه السابقتين – ، بل لدراسة مجتمعاتها وتفهم التطورات الحديثة التي طرات عليها بالاحتكاك مع الاجنبي المباشر ، وتأثير ذلك على الاوضاع والمقومات ، والاجتماع مع الدعاة المصلحين وكبار علماء المسلمين ، قصد الاطلاع والافادة عن عوامل النهضة الاسلامية التي كانت تختمر هناك ، وتبادل الاراء معهم على اساس روابط الاخوة الدافعة لاعادة وحدة العالم الاسلامي وتوثيقها بالتعارف والتساوي بين الجميع ، وخلق التفاهم لايجاد وسائل البحث عن العلاج الناجع لانقاذ الموقف مع المسؤولين على زمام الامر . والقابضين على دفة الحكم ، وكانت – حقا هذه النصائح – التي وصفها ابو عبد الله دينية بانها «اسلامية عجيبة » تجعل لمتتبع سيرته ودارس لون اخلاقه – وما عهد في اطوار حيرته لدى الاستقراء والاستنتاج – من اتصافه بالجد والرجولة الكاملة المترفعة عن سفساف القول ، والثبات باستمرار على العمل النافع والسعي الدائم لخير مصالح العباد ، والاهتمام بحقوق المسلمين بكامل الاخلاص اينما كانوا من وقوع غلبة الظن على ترجيح مبناها من هذا القبيل ، وعلى اساس معناها قد تكون اتيثت وجهة رحلته تطلعا لمدى مبلغ اثرها عن كثب في نفس هذا الخليفة الذي تشرئب اليه الاعناق في اغلبية الاقطار الاسلامية ، وكان – لا محالة – استهداف مقصده الرئيسي للعزم على زيارة هذه البلاد هو ملاقات اولياء امرها المسؤولين لتحقيق مسعاه الحميد ، لا رغبة في الترفيه على النفس ، ولا طلبا للتكرم واغداق النعم ، ولا جولة اراد بها التملي بالمتع الدنيوية ، وكيفما كان الحال فمن البديهي ان هذه النصائح كانت لغاية مشروعة كفعله ضد « المكوس » ، ومن الممكن أن يكون رافقه في هذه الرحلة تلميذه نابغة الرباط واديبها الكبير ابو حامد المكي البطاوري (1355 – 1936) حيث ذكر مترجموه أنه قصد بلاد الحجاز والشرق العربي في نفس هذه السنة ، كما كان قد رافقه – سابقا – في رحلته الثانية تلميذه الانجب المحقق المشارك ابو العباس احمد البناني (1340 – 1922) على ما ذكره ابو جندار في ترجمته ، ولقد كان اقتبال رجالات عاصمة الخلافة العثمانية « الاستانة العظمى » للمترجم ، وعلى رأسهم الخليفة عبد الحميد اقتبالا حارا اعقبته حفاوة كبيرة دلت على تقدير زائد لاعتبار خاص . والى قارئي العزيز ارتسامات مقتضبة طريفة بقلمه مما قام به نحوه خليفتها ووزراؤه من الاكرام والاعتناء الكامل ، نظرا للمكانة العلمية التي كان يحتلها في الاوساط على اختلاف المشارب والمذاهب ، ولشخصيته العظيمة الجذابة لبساطتها ، الثابتة في مبادلها ، التي كان لا يرهبها جلال المواقف ، ولا تدهشها روعة المظاهر ، ولا تغريها الابهة الزائفة ، ولا يلهيها بريق زينة الحياة الدنيا .. فقال : « وقد انزلني السلطان عبد الحميد بقصر قرب قصره، فما رايت اعجب منه خصوصا في تزويق الحيطان بالذهب وفرش الحرير حتى طلبت الخروج منه لغيره ... ! فانزلني في اعجب منه بما لا يكيف تملاه الروائح الطيبة من العنبر والعود وروح العطر ، والفرش الحسان ، وزرابي الاتراك في بساطه العجيب » وزاد فقال :«وكان يرسل لي السلطان عبد الحميد مدة نزولي عنده في كل يوم مائدتين كبيرتين ، كل مائدة مشتملةعلى ضروب من الاطعمة والحلاوي من طعامه الذي كان ياكل منه ، واحدة بكرة ، واخرى بعد العصر .. وكان يرسل الي مره بعد مرة بعض وزرائه الكبار من خاصة خاصته واهل سره الذين لا يذهبون لاحد ابدا ... ؟ ! ويرسل بعض الملازمين له يجلسون معي ويقولون ان السلطان مسرور بقدومك اليه ، حتى قال لي بعض خواصه ان السلطان لا يقدر ان يرسلك ... فصرت اتخوف حصره لي ، واكثرت عليه بالمراسلات ليسرحني وانا اتلوا في كل مرة قوله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق» تارة بلساني وتارة بقلبي عسى ان اخرج من الوعيد ..!

نعم لم تغر المترجم هذه الثمرات التكريمية – التي كانت تعمه بكرمها الحاتمي ، وتحبوه بحفاوتها البالغه ، ولا ادهشته روعة المقامولا فخامته ذات الاشعة البراقة، ولا انساه المحيط السائح في عديد من الوان الترف الزاخر – بكل ما يدعو الى تخدير العقول وتنويمها عن المعقول ، وترمي بمغرياتها المتنوعة الى ارتخاء النفوس واخماد مشاعرها الطيبة واثارة النزعات لايقاظها من مكامنها – المحفوفة به من كل جانب من ذوي السلطة العثمانية ، ووليها الاكبر ، والتي كانت تعلو موجاتها العرمة الدالة على منتهى التقدير والاحترام وسط هذه المعالم التي عاش بينها في هذه المدة – من أن تحول بينه وبين الادلاء برايه الصريح عن مضمون نصائحه ، ومراميها العالية في اصلاح المسلمين بالرجوع الى الهدى المستقيم ، وتبليغها مباشرة لعبد الحميد صاحب النفوذ الديني لدى الشرق العربي – آنذاك – واغلبية العالم الاسلامي وتقديمها له كواجب حتمي منوط به بصفته عالما مسلما غير عابىء بعناء الاسفار ولا مكابدة ركوب البحار ولا مشاق توالي الانتقال في الطور الاخير من سني حياته ، كما لم يشغله – ابدا – ولم يكن شاغلا له كثرة توارد وزراء الدولة عليه مرة بعد مرة في هذه الفترة القصيرة ، التي كان فيها ضيفا لدى الخليفة العثماني وحكومته زيادة على اجتماعاته مع الكبراء خاصة الخاصة – كما قال – الملازمين للخليفة – عن مهامه

العلمية وما تقتضيه تنمية معلومات طلبته الكثر ، وغيرهم بالمغرب ،والنظر فيما يصلح لهم من كتب دراسية مقروءة في تلك البلاد ، والعمل على تقريبها لاذهانهم بما اعتادوا على فهمه لفائدة التحصيل والتخريج، واليك صورة من كلامه تعبر عن جزء قليل من هذا الاهتمام بشؤون هؤلاء الطلبة ، والالتفات الى ما يفيد في مستقبلهم مما ذكره في خاتمة كتابه « الوافية بشرح الكافية » لابن الحاجب فقال : « ابتدانا هذا الشرح على الكافية بالقسطنطينية العظمى المعروفة باصطنبول في اواسط ربيع الاول عام اربعة وثلاثمائة والف لما رايت اعتكاف اهلها وغيرهم كبغداد على قراءتها لحسن جمعها وترتيبها لضبط القواعد النحوية ، ولما رغبت في قراءة المغاربة لها ومطالعتها ، وخفت صعوبتها عليهم لعدم الفهم شرحتها بالخلاصة المالوفة عندهم ، واشتغلت بشرحها كذلك حتى في ركوب البحر . . . ! حين رجعت من المدينة المذكورة الى الرباط » وزاد فقال : « ثم رايت ان اردف هذا الشرح بمختصر جامع الخص فيه ما في كتب العوامل التي تقراها صغار الطلبة ببغداد واصطنبول وغيرها ، وهي كالفذلكة الجامعة لعلم النحو اجمالا لا تغنيهم عن التحصيل » وكانه يشير بعمله هذا من طريق اخرى الى نظرية من يقول بتوحيد برامج التعليم ، وفق منهاج عام بكتب مقروءة في العالم الاسلامي لا اقتصارا على ما نسميه بالعالم العربي فحسب كما يرى عدد من ارباب التعليم المختصين والعاملين لاجل هذا التوحيد ، ويتضح — بداهة — بان هذه النظرية — المشار اليها — قد تكون ادعى للفائدة والتحصيل ، واوفق لتعميم التطبيق المشروع ، واكمل للمقصود في التبليغ ، واجدى في التاثير لنشر اللغة العربية بين الامم المسلمة كما وقع في سالف العهود وادى النتائج المطلوبة في تعريب كثير من الاقطار ، وما دام القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، يتلوه جميع المسلمين على اختلاف الاجناس وتباين لغاتهم ، ومنهم افواج كثيرة تحفظه عن ظهر قلب ، والقصد والغاية المثلى من هذه التلاوة والحفظ هو تاويل آياته ، وفهم معانيها حق الفهم من غير تحريف او تدبر موجه معتمد على ترجمة قد تكون بعيدة عن مغزى كلمه السامي ، وان هذا الفهم لا يتاتى ادراكه ، ولا يمكن الحصول عليه الا باتقان القواعد الضرورية من نحو ولغة، وحفظ منتخبات من كلام العرب ، شعر ونثر طبق متون مقررة في برامج التعليم متفق عليها واخذت الموافقة من الجميع .

هذا ولم تكن هذه الرحلة مقتصرة على تركيا فحسب ، بل اعاد فيها زيارته للحرمين الشريفين ومصر وبلاد الشام ، ويصور لنا المترجم بايجاز عن الاحتفاء ومظاهر التكريم الذي لقيه في هذه البلدان من بعض شخصياتها وولاتها معبرا — بارتسامات طريفة خاطفة — عن فخامة مآدبهم وولائمهم المتسمة بالاسراف والتفاخر والتكاثر — حينذاك — فقال : « وقد استدعاني بعض اشياخنا بمكة المشرفة لوليمة عرس بعض اولاده فدخلت سرايا طويلة جدا مربعة ، وقد حفت من جميع جهاتها الاربع بطباسيل من النحاس لم تقدر على عددها لكثرتها، وقد تقرب من نحو مائتين طبسيلا ليس في بعضها ما يشبه الاخر من ملاذ الاطعمة والحلاوي فجلسنا وسط البيت ، كل فرقة استقلت طائفة من الطباسيل ثم قمنا، وكنت ظننت ان ذلك من ترتيب وضع موائد الهند ، اذ صاحب الوليمة هندي ، وغالب من حضر معنا من اهل الهند ، ويقرب من هذا جل اطعمة الحرمين الشريفين خصوصا ، اذا حل بينهم ضيف يضعون بين يديه مائدة كبيرة جدا من نحاس ونحوه حاوية نحو عشرين لونا من الطعام ، وهم في ذلك في زيادة الى الان ؛ واما اغنياؤهم فغالب ماكلهم كذلك ، وقد استدعاني بعض ولاة الاسكندرية عند الغروب برمضان وقد احضر بعض العلماء فصار يحضر في ذلك الوقت نحو ثلاثين نوعا من الاطعمة ليس واحدها يشبه الاخر ، ولكن واحد بعد واحد ، وكذلك استدعاني بعض امراء مصر ففعل كذلك ولكن احضرها جملة في مائدة واحدة » ، ومما لاحظه — كما ترى — في هذه الرحلة ان الشرقيين يهتمون بكثرة الماكل وتنوعاتها في المآدب والولائم ، ولا يعتنون بذلك في الملابس والفرش كاعتناء المغاربة فقال : « ان اهل المغرب امتازوا خصوصا اهل فاس والرباط منهم بكثرة الملابس والفرش التي لا توجد لاهل المشرق ولا للنصارى وامرهم في ازدياد الى ان يتدارك الله الفقراء بالطافه الخفية . . . ! » .

ويلوح من هذه الفقرة الاخيرة ما يشعر بألم المترجم نحو هذه الطبقة الفقيرة — التي لم يجد لاغاثتها وانقاذها حولا ولا قوة — تلك الطبقة التي كانت تزداد تعاسة وفقرا بازدياد هذا التضخم في الترف والتنافس في انواع الملابس والتغالي في تكثير الفرش بحالة غير متفقة مع المستوى المعيشي لهذه الامة ، ولقد قادته — لهذه الالتفاتة الطيبة نحو جانب الفقراء — نزعة مؤمنة واعية تشير باستنكارها الضمني الى الرجاء في اصلاح هذه الحالة المزرية في تداركها بالكف عن الزيادة قبل الوقوع في الخصاصة المستذلة .

واخيرا يجب علي ان لا اهمل في ترجمة حياة هذه الشخصية العظيمة المغمورة ذات الفعالية الكبيرة المندفعة بكثير من اهتماماتها الى مسلكي التوجيه

والارشاد ـ الذي كان لها أثر بعيد ملموس لا يمكن نكرانه في احياء العلم وازدهاره بمدينة الرباط ـ ذكر اجتماعه التاريخي الهام الذي اجتمع فيه مع المصلح الفذ الشهير الشيخ محمد عبده في مدينة بيروت ـ أثناء هذه الرحلة ـ وما لوحظ عليه في طريقة تدريسه على نمط علماء جامعتي الازهر والقرويين آنذاك .. ؟ انقل مضمون ذلك من مقدمة أمير البيان شكيب ارسلان على كتاب « البينات » لمؤلفه الاستاذ عبد القادر المغربي فقال : « من نحو خمس وثلاثين سنة قدم لاداء فريضة الحج أحد كبار علماء المغرب الاقصى المدعو بالشيخ (ابراهيم التادلي) فذكرت بعض الجرائد البيروتية يومئذ انه من افذاذ الافق المغربي ، لا بل ممن يندر نظيره بين المشرق والمغرب ، وبعد ان قفل من الحجاز زار المسجد الاقصى وقرا فيه درسا ثم قدم الى بيروت ، وكان استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده لا يزال فيها على اثر نفيه بسبب الحادثة العرابية ، فلما بلغه ورود هذا العالم ذهب للسلام عليه ، وكنت معه في هذه الزيارة ، واتذكر انه كان معنا صديقي المبرور الاستاذ الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » فدار بين الشيخين احاديث طويلة لم افهم منها شيئا لحداثة سني ، وقلة الفتى يومئذ للهجة المغربية ، ولكن استاذنا الامام اخبرنا بعد الانصراف بأن هذا الرجل عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر فكأن الازهر وجامع القرويين شيء واحد ، وانما اعجبه منه كلمة لا ازال اتذكرها ، وذلك ان الشيخ سأل (التادلي) من جملة ما سأله عن حالة العلم في المغرب هل يوجد اليوم هناك من اشتهر بالتأليف ؟ فأجابه التادلي : ليس العلم بكثرة التأليف ، وانما بالمدارسة والمثافنة ، ومع هذا فيوجد مؤلفون في الايام الاخيرة ، فأعجب قوله الشيخ محمد عبده ، وهو أن حياة العلم انما هي بالمدارسة ، ثم قيل أن الشيخ التادلي يريد أن يلقي درسا بعد صلاة الجمعة في الجامع العمري الكبير ، فاشرأبت الاعناق ، وفكر الاستاذ الامام انه لما كان (التادلي) من اكابر علماء المغرب مارا بالمشرق ، فلابد من ان يتكلم في موضوع من مواضيع الاجتماع كاتحاد الامة او وجوب العمل بعزائم الشريعة او ما اشبه ذلك فكان موضوع درس (التادلي) الذي قضى فيه أكثر من ساعتين هو البسملة وما فيها من العلوم والفنون ، ومرجع ذلك كله الى الباء وانحصار العلم في الباء مما يعرفه كل من نال شهادة العالمية من الازهر ... ! »

بلى ليس في هذه الملاحظة التي ابداها الاستاذ الامام عبده المصلح الشهير حول المعاهد الاسلامية الكبرى وما آلت اليه مناهج تعليمها في العصور الاخيرة من عقم وسلبية ومدى اثرها المؤسف في متخرجيها ولا في تعاليق داعية الاسلام الامير المكافح عن تأكيده لذلك ما يبعد عن الاقتناع بالنظرة الخاصة الباعثة على ابراز محاسن هذه الشخصية المغمورة ، واظهار محامدها المجهولة ، والبحث على قدر ما تسمح به المراجع التي في متناول يدي ـ عن الجوانب الايجابية فيها ، تلكم الشخصية ذات العبقرية اللماحة ، والذكاء الوقاد ، والفكر المتسع الذي ضاق بنطاقه المحلي ، والمتحلية بأوجه النشاط العديدة وسط بيئتها العلمية ، او في مضمون كلامهما ما يدعو الى التنقيص والحط من قيمته كعالم مفكر واع متوفر الاداة ، قد تميز عن اقرانه ، وتفوق عليهم في كثير من الميادين التي كانوا يخوضونها ، وجلى عنهم فيها بكفاية واقتدار ، ولكن لم تساعده الظروف كي يسابق زمنه ، ولم يكن هناك في وسطه ما يشجعه عن الانسلاخ من مميزاته العتيقة ، والخروج عن جوانها ـ المقحم فيها ـ التي يصاحبها ويماسيها ، كما ساعدت بعض المصلحين في العالم الاسلامي ، وتهيأت لهم الاسباب الدافعة لتحويل نظراتهم عن الوراء الى الامام ، وفاجأتهم الصدف الطيبة ـ على غرة ـ للالتقاء مع من يرشدهم ويوجههم التوجيه اللائق لخدمة الصالح العام ، وفق ما يقتضيه تطور الزمان في مسايرة احداثه ، ويقودهم بحنكة وتجربة سابقة ـ لاستخدام الوسائل المعينة على انطلاق مواهبهم المكبوتة وتجريدها من رواسب بيئية للاسراع بها نحو اهداف سامية ، تتفق مع مفاهيم العصر الحديث فهو ـ حقا ـ دون ريب ولا مرية « عالم من كبار العلماء على نمط علماء الازهر وجامع القرويين » كما قال الامام عبده ، وهل نريد منه ان يكون أكمل من الكبراء على هذا النمط ؟ ! وقد عاش في هذا المحيط الزاخر بالانقال والفهوم المتعارضة الراكدة المثقلة بردود عليها طابع مدرسة عهده ، قد تشرب معلوماتها الكثيرة واختزنتها ذهنيته اللاقطة القوية دهره كله ، كما انه ليست هناك اي مبالغة في حق مكانته الكبرى من بين معاصريه على ما ذكرته بعض الجرائد البيروتية ـ يومئذ ـ « انه من افذاذ الافق المغربي بل ممن يندر نظيره ... » ـ طبعا يعني في اتساع المدارك ، وسعة الاطلاع ، وقوة الملكة ، فلقد كان ذاكرة فريدة واعية مقتدرة على الاكتناز نفاذة ، وذا استعداد كامل متفتح للاندماج في مدارج الاصلاح والتجديد ، والتطلع ـ بنهم وتفوق ـ الى ميادين العرفان على اختلاف مشارب اصحابها ـ دون تزمت او تعصب او جمود ـ او اعتبار ميول خاصة ، مما قد يكتسبه المرء من مجتمعه ، ويلابسه ـ دوما ـ لتأثيرات بيئته ، لا يستطيع الفكاك منه ، الا بعامل خارجي اقوى فعالية واشد تغلبا واغرى جاذبية ، ومن تتبع سيرة حياة

المترجم ـ زيادة على هذا ـ وتأمل ما جريات احوالها ، وما تكن طلائع احداثها ، وسبر غور جنوحه لدواعـي المرح ، رغم الجديات المحاطة به والغريـق في بؤرهـا وامعن النظر في مغازي عزوفه عن المطامح الزائفة وعداوته لحياة « الفراغ » وحبه للدؤوب على العمل ، وشعوره النبيل في الدفاع عن حقوق العباد ـ بما سقته من خلال اقواله وبما استفدته من مترجميه في هذا المقال ، سيرى معي ما يعزز هذه النظرية ، وسيطلع على ما يبرر تاييدي لها وتاكيد ارجحيتها ، وسيعلم ان المترجم كان رجـلا غير عادي في مداركه الفكرية ، او في تصرفاته العاطفية ، ولا مطلق شخص حاطب ليس له مرمى في اختياراتـه اثناء اشتغاله بالمهام العلمية المتباينة ، فهو من الاماثـل الافذاذ الذين لم تستطع ان تجرهـم عوامل البيئـة وتجذبهم لحظيرتها الخاملـة وتحشرهـم في جماعتهـا المتاثرة ، تحت ضغط اثقال نقول المتاخرين ، وتدمجهم في أوساطها المقتنعة بوجاهة هذه الاقوال ، والمعترفـة بقدسية نظراتها عن غيرها ، وسيـدرك ـ لا محالـة ـ بنتيجة واضحة ، ان هذا الرجل العظيم كان قد بلـغ درجة « الاجتهاد » وصار حجة في تحقيقاته وفي ماآخذه ، ووصل لمستوى مكين في المعرفة ، خول له اللحاق بمقام العلماء المجتهدين في العلوم الاسلامية ايام العهود المجيدة، كما اقر بذلك رجالات عصره ، واثبته مؤرخو حياتـه وسيتحقق ـ ايضا ـ قارئي العزيز بتفهم هذه المعلومات عن المترجم ، من انه كان واقفا في مفترق الطريقتيـن : طريقة التقليد ، وطريقة التجديد ، فبقدر ما كان يحفظ من نقول مختلفة لمتقدميه مع اختلافات اوجهها بفيضان زائد ، وتختزن كل ذلك ذاكرته القوية ، كان يستوعب كثيرا ما يسمع او يطلع عليه من آراء جديدة تتسـم بالطرافة والصلاحية ، ويعيها قصد ارواء رغبة كامنـة تكاد ان تنبثق محاولة الظهور ، ولهذا ترى الشيخ محمد عبده في جلسة قصيرة أعجب بأفكاره النيرة المتحـررة والبعيدة من مراسيم حلقة دروسه ، التي تستلزمهـا طبيعة تكوينه على طريقة التقليد ، لما سأله عن اشتغال المغاربة بالتاليف فاجابه بجواب ـ دله على اتجاهاتـه الفكرية غير المرتبطة بقيود ـ وهو قوله له : « ليـس العلم بكثرة التاليف ، وانما بالمدارسة والمثاقفـة » . . . حقيقة أن مجالسة اهل العلم والراي واستدامة المذاكرة معهم ، وكثرة مناقشتهم هي التي تبين على خبيئـة الانسان ، والاطلاع على دخلته ، فيما قد تحمل من افكار ناضجة ، تعلن عن مقدرته العلمية واهتماماته الثقافية العامة ، لا بكثرة التاليف المقتصرة على جمع النقـول ، واحتطاب آراء الغير ، وكان المترجم كثيرا ما يتمثـل قصد تأنيب من يستفرقون اوقاتهم في التاليف دون ان يتركوا مجالا فسيحا من الفراغ يعقدون فيه الندوات لتبادل الافكار ولاثارة المناقشة والمذاكرة فيما يقراون ، بقولة شهيرة طالما ردد محتواها المنتقـدون وهـي : « انقل من هنا الى هنا ، وقل هذا كتابنا . . . ! » نعم فالندوات معرض للاراء على اختلاف اصنافها الجيـد منها والرديء ، وحضورها ضروري لهذا المعنـى ، مـا دامت مداولاتها تنبني على احتكاك الافكار ، واختبـار كفايات اصحابها باتزه معيار ، لمعرفـة صحيحهـا مـن الزائف من غير اشعار ، وهي ادعى باعـث للزيـادة في التحصيل وامثل جو للتمكين ، واكبر عون في ارتفـاع مستوى المتخلف ، ومما يزيد ايضاحا على ان المترجـم كان يميل للتفتح ويجنح لما ينير الفكر ، وتتوق نفسـه الحيرى الوثابة لما يفيدها عن طرق الاصلاح والتجديد والبحث عما يحيطها علما بوسائل تقضي على الخمـول والجمود، الداعيين للاستغلال والاستعباد ، هو اختياره ـ آنذاك ـ لتلخيص كتاب « اقوم المسالك في معرفـة الممالك » لخير الدين التونسي الوزير الشهير الـذي حنكته التجارب والمفاجئات القاسية ، ودربته المناورات السـياسية ، فزادته عرفانا بنيـات الـدول الغربيـة ، وتولى اعلى المناصب ببلده وبالعاصمة العثمانية ، والمرء ـ كما يقال ـ يدل عليه اختياره ، واليك ما قاله في وصف هذا الكتاب الشيخ محمد فاضل ابن عاشور في محاضراته « الحركة الادبية والفكرية في تونس » يعتبر هذا الكتاب العظيم من انفس آثار القلم العربي في القرن الماضي في السياسة والاجتماع ، فقد اشتمل على مادة علميـة هامة جدا ، استوفت وصف النواحي عامة لكل دولـة من الدول الاوربية العشرين التي فصل عليها الكتاب ، وجعل الدولة العثمانيـة من بينها كانـه يقصد بذلـك التنبيه الى المقارنة والمقايسة ، وافتتحه بمقدمة قيمـة في اسباب تاخر العالم الاسلامي ووسائل نهضته ، وان ذلك يكون بالاقتباس من المعارف والنظم ، التي تحققت بها النهضة الاوربية والاتحاد بين اهل العلم والسياسة في تحقيق ذلك ، وبيان ما كان لانتشار المعارف في أوربا وخاصة في فرنسا من اثر في سعادة الامة » .

وبعد فاني ارجو ان اكون قد وفقـت ـ على قدر الامكان ـ في نظر قارئـي العزيـز ـ في عرض هـذه المعلومات التـي استقيتهـا لـه من منابـع شحيحـة واستفدتها لاجله من مراجع قليلة هزيلة ، كما آمل ان أكون قد اثرت في نفس هذا القارىء الكريم ، حميـة البحث والاطلاع ، وبعثت فيه الغيرة اللازمة للتنقيـب والدراسة عن اعلام مجهولـة ، ذات المواهب والكفايـة النادرة والمآثر الخالدة ، وهـم كثيـرون يضيئـون كالماسات في تاريخنا المجيد ، واود ان اكون ايضا قـد

عملت ــ جهد المستطاع ــ فيما يمكن من عمل لايقاظ ضميره ــ لاداء هذا الواجب ، يدعوه لتكريس أوقاته الثمينة فى تجلية اعمالهم الجليلة المغمورة فى بطون الكتب ، التي يعلوها الغبار وتأكلها الارضة ــ بما قدمت من أمثلة بعض الصور ، قد توضح له عن معالم نيرة لهذه الشخصية العظيمة ، التي كن لها الدور الكبير ، والحظ الوفير فى انهاض الحياة العلمية بمدينة الرباط فى عهد ماضينا القريب ، وفى ايجاد نخبة من العلماء اعادوا مجده العلمي التليد ، واحيوا ما كاد ان يندثر من بقاياه لولا فضل جهوده واعتكافه الدائب على طلب العلم وتدريسه ، حتى قضى نحبه فى معتكفه بين الكتب والمحابر ، موصيا دفنه به ، ووقف سائر كتبه على نفع الطلبة ، محبة فى موطن العلم وتقديرا لمكانة اهله ــ وذهب ــ على قدم صدق مستحثا السير ، وهو فى عقود لا تتجاوز حدود السبعين ، ملبيا نداء العودة الى المأمن المحتوم ــ رحمه الله ــ بعد ما استوفى عهده وادى واجبه ، واحسن فى حمل الامانة ، وارضى ربه ، واراح ضميره واستراح على ما خلف وراءه من نخبة طلبته المقتفية اثره ، وترك فى انفس عارفيه والملازمين له والباحثين عن سيرة حياته تساؤلا محيرا واستفهاما يدعو للجواب عن ملازمة بيته كحاله بعد الرجوع من رحلته الاخيرة هذه متزودا بآراء وافكار مشبعة بكثير من الاهتمامات تتعلق بميادين الاصلاح محتاجة لزيادة من التفسير والبيان ، ومتوقفة ــ طبعا ــ على من يقوم بوسائل الايضاح وكيفية التطبيق ، وكان هذه الحالة ــ غير العادية ــ التي عاشها المترجم فى اواخر عمره ، تعني ما حكاه شاعر مل دنياه ويئس من اهلها ونفض كفيه منها ، بما قال :

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها … اليك عني فما فى الناس اغتبن

من كسر بيتي لي روض ومن كتبي … جليس صدق على الاسرار مؤتمن

ادري به ما جرى فى الدهر من خبر … فعنده الحق مسطور ومختزن

وما مصابي سوى موتي ويدفنني … قوم وما لهم علم بما دفنوا

الرباط : مصطفى الغربي

التعايش بالجهالة

قال الشعبي : تعايش الناس زمانا بالدين حتى ذهب الدين ، وتعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، وسيتعايشون بالجهالة زمانا طويلا .

من روائع شكسبير



للأستاذ عبد الله العمراني

مسرحية من روائع الشاعر الانكليزي الطائر الصيت وليم شكسبير . قراتها في الماضي ، وحرصت على مشاهدة احدى الفرق المسرحية المغربية (فرقة المعمورة) وهي تقوم بتمثيلها على خشبة احد مسارح تطوان . وليس هدفي هنا ان اعلق على التمثيل والممثلين الذين ادوا ادوارهم في الغالب على خير ما يرام؛ وانما اريد التعقيب على بعض افراد الجمهور المتفرج الذين بداوا يتسللون لواذا ، بل ان بعضهم ابدى تأففه جهرة ، متعمدا اسماع غيره عدم رضاه عن المسرحية او التمثيل ، فغادر القاعة غير ماسوف عليه .

لقد ذكرني هذا بما حدث منذ سنوات عند ما قامت فرقة مصرية بتمثيل احدى روائع شاعر العروبة احمد شوقي (مجنون ليلى) ؛ فلقد عابها بعض النظارة لا لشيء الا لانها فوق مستواهم الفكري ، او فوق ما كانوا ينتظرون .

ولعل من المؤسف ان كثيرا من النظارة وخاصة العوام منهم ينتظرون من المسرحية ما لا ينتظره الرجل المهذب المثقف ، وانهم لا يكادون يفقهون من التمثيل الا اضحاك الجمهور او انشاد المغنيات ، او ايقاع الرقصات، فاذا اجتمعت هذه العناصر كلها كان ذلك منتهى الجمال والكمال . اما المسرحيات الجدية فليس لها في قاموس لهوهم ومزاحهم مكان .

وارى ان لموقف هؤلاء عوامل اهمها :

1 — عامل داخلي يسال عنه هذا الصنف من النظارة انفسهم ، ويتمثل في نقص التكوين وضحالة التفكير ، وعدم التثقيف اللازم الذي يجعلهم يدركون ويفهمون جيدا مسرحية تلقى عليها بالفصحى شعرا او نثــرا .

2 — عامل داخلي كذلك يرجع الى اقدام هؤلاء على اقتحام عتبة المسارح واحتلال المقاعد الاولى ، دون التثبت من نوع الروايات التي تروقهم .

3 — عامل خارجي راجع للفرق التمثيلية التي عودت الجمهور على مشاهدة لون خاص من المسرحيات؛ مما جعله يعتقد ان التمثيل الجدي (التراجيدي) يكاد لا يدخل في عداد الفن المسرحي .

4 — عامل خارجي ايضا ويتمثل في هذه الموجة الكاسحة التي تغزو شباب العالم من اتباع «الجي-جي» وانصار « الخنافس » .

قد لا يعجب المرء من ان العمل الادبي او الفني تتفاوت فيه الافهام والاذواق ؛ ولكن يأخذ من العجب كل ماخذ اذا علم ان عملا فنيا انعقد الاجماع على روعته (مثل هملت) يتعرض لانتقاض بعض المشاهدين الاغرار ، ولا ينال رضاهم ، فكان مثلهم من انشد الشاعر في حقهـــم :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ان هذا الموقف الشاذ من هؤلاء هو الذي دعاني لتلخيص هذه المسرحية الان ، فلعل من لم يعجب بها وهي تمثل على خشبة المسرح ، يقدرها حق قدرها وهي تنشر على صفحات هذه المجلة الغراء .

كان الامير الدنمركي الصغير « هاملت » واحدا من اولئك الذين يمتازون بالمرح والحيوية والنشاط ؛ فقد كان يمارس جميع انواع الرياضة والصيد ، ويتحدث عنها كأحد ابطالها .

ولكن مصيبة كبيرة حلت به لتعكر عليه صفو حياته : فقد مات والده ـ وهو الملك الطيب الحكيم ـ فجاة ، وبكيفية غامضة تثير الشك والتساؤل . وقد تأثر الامير الشاب المحب لوالده تأثرا بالغا نتيجة لهذا المصاب الاليم .

حيكت للامير قصة مفادها : ان الملك العجوز قد مات ـ وهو نائم في بستانه وقت الظهيرة ـ نتيجة للدغة افعى نفثت فيه سمها الزعاف . . . هكذا وبمجرد ما ورى جثمانه التراب ، تزوج كلوديوس Claudius (اخو الملك المتوفى وعم هاملت) بالملكة والدة الامير هاملت ، فصار كلوديوس ، الملك المتوج الحاكم بامره .

لم يكن هاملت يحب من والدته ان تتزوج بمثل هذه السرعة ، بل لم يكن يريدها ان تتزوج بتاتا ؛ وكان كلما ازداد تفكيرا في هذا الامر ، ازداد حزنا وغما ، حتى صار بائسا كئيبا ، وتخلى عن جميع العابه وتسلياته ، وصار يبدو عليه تماما انه لم يعد يحب حياة اللهو والمرح .

لم يكن هاملت يحب عمه ـ وهو ذلكم المخلوق المنحط الذي لا يستحق الاعتبار ـ مثلما كان يحب والده العادل الشريف . . وصار يفكر في امر والدته التي سمحت لنفسها ان تتزوج رجلا مثل هذا ، مكان الملك الهرم . كان يحب والدته ـ كما هو واجب كل ابن بار ـ ولكن سلوكها هذا لم يعجبه البتة .

ثم خطرت لهاملت فكرة ، بل عرضت له شبهة تتلخص في ان كلوديوس تآمر على والده ، واغتاله ليستولي على العرش ، ويغتصب تاج الملك ؛ وان والدته كانت تعرف المؤامرة ووافقت عليها . ان هذه الفكرة او الشبهة دفعت هاملت الى الاستغراق في التفكير ، وجعلته قاب قوسين أو ادنى من الجنون .

لاحظ الملك الجديد (كلوديوس) ، كما لاحظت الملكة ان الامير كان دائم الاكتئاب ، بادي الشقاء ؛ ولم يخطر ببالهما قط ان سبب كآبته راجع الى انه قد اشتبه في جريمتهما المشتركة الدنيئة ؛ ولذلك عملا جهد طاقتهما لادخال السرور عليه .

لقد كرها ثياب الحداد السوداء التي كان يلبسها هاملت ، والتي كانت تذكرهما بموت الملك العجوز الذي ارادا نسيانه ؛ ولكن هاملت رفض ان يخلع ملابس الحداد ؛ ونصحاه كي يسلك سلوكا اكثر مرحا ، فلم ينتصح ، ولم يترك لهما فرصة لمعرفة السبب الحقيقي لحزنه الذي هو ـ حسب رأيهما ـ نتيجة لوقوعه في حب جديد .

وبعد ذلك طرق مسمع هاملت خبر عجيب ؛ ذلك انه خلال ثلاث ليال متواليات ، راى العسس المكلف بحراسة القصر شبحا من الاشباح ، وراه حتى هوراشيو Horatio اصدق اصدقاء هاملت ، فاتى يخبر الامير بذلك .

ظهر الشبح في منتصف الليل ، وكان لابسا من فرع رأسه الى اخمص قدميه ـ بذلة حربية تشبه تماما بذلة الملك المتوفى ؛ وكان وجه الشبح عظيم الشبه بوجهه ايضا ؛ وكان يبدو على الشبح منظر الحزن والاسى ؛ وعندما طلب الحرس منازلته لم ينبس ببنت شفة . وكان ذات مرة على وشك ان يتكلم لولا ان صاح ديك الصباح فاختفى عن الانظار .

سال هاملت جنود الحراسة الليلة واحداواحدا ، ومن اجاباتهم تأكد ان قصة الشبح كانت حقيقة ؛ ولذا عزم على ان يعس هو في الليلة التالية ، وان يراقب الشبح بنفسه ؛ فان كان شبح ابيه حقيقة ، فمن المؤكد انه يريد ان ينبئه خبرا ما : وبذلك يصير قادرا على توضيح بعض الشكوك ، وتبديد او توكيد المخاوف التي كانت تساور عقله . . . وتنفيذا لذلك العزم ، وفي الليلة التالية تقابل هاملت وهوراشيو واحد الحرس امام الحصن ، وباتوا في حراستهم الليلية يقظين صامتين لا تكاد تسمع لهم ركزا .

كان كل شيء في الخارج هادئا ، اما في الداخل فكان مرح الملك والملكة يتجلى في المآدب الفاخرة ، وفي كؤوس الخمر التي تشرب حتى الثمالة . وكانت اصوات الطرب والانغماس في الملذات تصل الى آذان هؤلاء الحراس اليقظين .

وكان وقوف الحراس الثلاثة منصتين وكان على رؤوسهم الطير ؛ غير ان هوراشيو لمس ـ فجاة ـ كتف هاملت ، وهمس في اذنه قائلا :

ـ « انظر يا سيدي ، انظر ، انه آت » .

لقد اتى الشبح مرة اخرى ، وعلى شكل انسان يشبه الملك المتوفى . وعندما رأى الامير هذا المخلوق الذي يشبه والده ، صاح في عجب ودهشة :

ــ « ايها الذي يشبه والدي ! ماذا يعني قدومك الينا ؟ أانت والدي ؟ أم أنت شخص آخر ؟ ؛ ماذا تريد منا ان تفعل ؟ » .

واجابة عن هذه الاسئلة أشارت « الـروح » على هاملت ان ينتحي معها ناحية بعيـدة عن رفيقـه . . . وهنا تدخل هوراشيو وسأل صديقه الحميم الا يتبـع الشبح حتى لا يحدث له ما لا تحمد عقباه ، وحـــاول هوراشيو والعسكري ان يثنيا هاملت عن عزمه بالقوة ، غير انه ابى ودفعهما جانبا واختفى عن نظريهما .

تبع هاملت الشبح الذي كان في الواقع شبح والده ، وسرعان ما اخبره بالحقيقة ، وهي انه قد مات مقتولا :

ــ « لقد اشيع ان ثعبانا لدغني حينما كنت نائما في البستان ؛ ولكن اعرف أيها الشاب النبيـل ان الثعبان الذي لدغ والدك هو الذي يلبس تاجه الان » . ثم امر هاملت قائلا :

ــ « هذه هي القتلة الدنيئة غير الطبيعية التي عاناها والدك ، فهل لك في ان تنتقم له ؟ »

ولكن هاملت لم يكن ليقتل والدته التي شاركت في الجريمة : فكان عليه ان يتركها لتقاسي آلام الحزن وتوبيخ الضمير من اجل خطاياها . . . ثم اختفت روح الملك المجوز عن الانظار ، بعد ان طلب من ابنه الا ينسى اوامره ، وان يظل وفيا لعهوده .

وبعودة هاملت الى رفيقيه ، طلب منهما ان يحلفا ان لا يقولا اي شيء عما حدث في تلك الليلة . ولم يخبرهما بما جرى بينه وبين الشبح من حديث ؛ ولكنـه تدارك الامر فتكلم فقط مع هوراشيو صديقه المخلص ، اذ لم يستطع كتمان الحديث عنه .

ثم وضع هاملـت خطـة ليعمـل على تنفيذها في المستقبل ، ذلك انه قرر ان يسلك في الظاهر مسلـــك الرجل المجنون ، فبهذه الطريقة ــ كما اعتقد ــ لا يمكن لعمه ان يشتبه في امره ، او ان يحذر جانبه ؛ وبها ايضا سيكون قادرا على اخفاء مشاعره جيدا . وكان هوراشيو الشخص الوحيد الذي اطلعه على تفاصيل خطته .

وهكذا طبقا للتصميم الموضوع اصبح كلام هاملت وسلوكه اغرب مما كانا عليه في الماضي ؛ وخاصة حينما كان يكون في حضرة الملك والملكة ، ومرت الاسابيع تلو الاخرى على موت والده ، ومع ذلك لم يظهر الامير اية علاقات للتحسن ، بل بالعكس ابـدى امـارات ازدياد الحالة سوءا على سوء . حينئذ ازداد عمه والملكة في امره حيرة وارتباكا ؛ غير انهما ظلا على اعتقادهما انه لم يشتبه فيهما ، بل وصل بهما التخمين الى اليقيـن بأن شيئا أكثر من مجرد موت والده كان له التأثير البالغ في عقله . ولم يطل بهما الوقت كثيرا قبل ان يقترح عليهما سبب لجنونه :

فمن بين حاشية الملك كان يوجد رجل مشهور بخبرته وحكمته يدعى بولونيوس Polonius وكانت له ابنة جميلة هي اوفيليا Ophelia التي كان هاملت جد مغرم بها في الماضي . وكان والدها يشجع هـــذه الصداقة في السـر ، لانه كان يأمل من هاملت ان يتزوج ابنته يوما ما فتصبح بذلك اميرة .

لم يكن والدها متأكدا من حب هاملت لها ، لذلك امرها في مكر ودهاء الا تشجع الامير كثيرا ، والا تبادله الحب سريعا ، ذلك ان الحب المتبادل بسرعـة يمـوت بسرعة ، اما اذا اظهـرت ازاءه قلـة اكتراث في بعـض الاحيان ، فلربما كان ذلك داعيا لهيامه بها وحبه اياها حبـــا جمـــا .

كانت اوفيليا ابنة جميلة تثق في حكمة والدهـا ، ولذلك عملت بنصيحته ؛ وبدا كأن النتيجة جاءت وفق ما اراده بولونيوس . فقد اتته واخبرته كيف ان هاملت قد اتاها في ملابس رثة ، وحالة بائسة ، تعلو محياه نظرة حزينـــــة .

وفي الحال ظن بولونيوس ان هاملت اصبـح مــن التعاسة والشقاء بمكان ، لان اوفيليا لم تبادله حبا بحب ؛ واعتقد ان هذا هو السـبب في جنون هاملت . ثـم قال لاوفيليا :

ــ « بدل هذا على انه يحبك بشغف والى درجة العبادة ، وان برودة حبك قد سببت له الجنـون » .

ثم ذهب الى الملك والملكة بهذا التأويل العجيب لسلوك الامير ، مؤملا من وراء ذلك ان يوافقا على عقد قران الامير على اوفيليا ، فيحفظـا لهاملـت سعادتـه وهناءتـــه .

وبينما الامر يجري على هذا النسـق ، كان الامير ما يزال مستغرقا في تأولاته ، وفي امر شبح والده لـه بالانتقام لقتلته القاسية الشنيعة . وصار يفكـر كيف يستطيع ان يضع خطة لانتقامه ، وبالرغم من انه كان يكره عمه كره العمى ، فقد تقزز بطبيعة الحال ، واشمـأزت نفسـه من عملية قتل انسان آخر .

وكان في بعض الاحيان ما يزال تراوده افكار حلوة عن محبوبته اوفيليا ، ولذا اراد ان يسـري عن نفسـه ، فعزم على مداعبة تلك الافكار الحلوة من اجل التسلية ؛

نائما فى بستانه ، وان رجلا تسلل اليه وصب السم في اذنه وهو نائم .

وارتعدت فرائص الملك المذنب لدى المنظر ، وداخله الرعب والفزع ، فالتفت هاملت نحوه وفسر له المشهد قائلا :

ـ « انه يسممه ليستولى على اراضيه ويستخلصها لنفسه . وفى المنظر التالي سنرى كيف انه سيكسب حب زوجة كونزاكو » .

أمام هذا انخلع قلب كلوديوس من الهلع . وعند رؤية جريمته النكراء يعاد تمثيلها امام جميع رجال القصر ، لم يستطع تحمل البقاء لمتابعة المسرحية حتى نهايتها . ثم نهض وصاح :

ـ « هاتوا ضوءا ما !! بعيدا !! »

وفر الملك والملكة من المقصورة وثوب الخزي والعار يجللهما . وظل رجال الحاشية يتساءلون في دهشة عما حدث حتى سبب هذا السلوك الغريب من الملك والملكة . ولكن هاملت وهوراشيو قد شاهدوا ما يكفي للتأكد من ان الشبح كان صادقا فى حديثه ، وان قتل الملك كان فى الحقيقة نتيجة مؤامرة مدبرة ، وحسب خطة موضوعة . ورأى هاملت ان من واجبه الان ان ينتقم لموت ابيه .

فى هذه اللحظة يأتيه رسول من الملكة ـ والدته ـ يعلن رغبتها فى التحدث معه فى الحال ، وعلى انفراد . ان الملك كلوديوس قد حرض الملكة جيرترود Gertrude لكي تبعث وراءه ؛ اراد ان يستنتج مدى معرفة ربيبه بالامر ، فقد ظن ان الصدفة قد تكون عملت عملها ، فطابقت حوادث المسرحية جريمتهما . وكان للمنظر الذي شهده الملك تأثيره ، فقد جلب الى بيت الملك جريمته وامام هذا الخطب الذي الم به ، جثا على ركبتيه فى محاولة للدعاء والاستغفار .

ومر به هاملت فى طريقه الى جناح والدته وهو على هذا الوضع ، ولم يكن يوجد أسهل من ان ينفذ هاملت انتقامه ، ويأخذ بثأر ابيه فى الحال ؛ ولكن جانب الضعف والتردد تغلب على جانب العزيمة فى هاملت فاستبقى بذلك قاتل ابيه وقال :

ـ « من الاحسن ان يقتل حينما يكون سكران او غضبان او حتى يكون فى فراش النوم ، لا استطيع ان اقتله كما هو الان » . وهكذا جعل الفرصة تفلت من يده ؛ وتسلل من الغرفة بهدوء .

وفى غضون انتظار الملكة قدوم ابنها ، اختفت وراء ستائر غرفتها بولونيوس النديم العجوز الماكر ، حتى يكون شاهدا على كل ما يفوه به هاملت . وحينما دخل هذا الاخير غرفتها شرعت توبخه وتعنفه على سلوكه فقالت :

ـ « لقد اسأت الى والدك كثيرا جدا » . وبعد لحظة قضاها هاملت فى التفكير فى والده المحبوب المقتول ، اجاب فى غضب :

ـ « لا يا أماه ! انك انت التي أسأت الى والدي » قالت الملكة :

ـ « ان هذا جواب تافه عديم الجدوى » . ففند ولدها كلامها قائلا :

ـ « انه الجواب الذي يتطلبه سؤالك » .
لم يكن هاملت ينوي قتل والدته ؛ ولكنه كان عازما على ان يجعلها تعترف له بجريمتها ، ولذلك امسك برسغيها ليجعلها تجلس؛ ولكنها ارتعبت وصاحت:

ـ « ماذا ؟ هل تريد قتلي ؟ النجدة ! الغوث ! »
وأمام هذا ، ظن الرجل العجوز المختفى وراء الستائر ان هاملت قصد قتل والدته ، لذلك ولخوفه الشديد ، وبدل ان يسعى لمساعدة الملكة ونجدتها ، صار فقط ينادي مثلها :

ـ « النجدة ! الغوث ! النجدة ! » .

حسب هاملت انه الملك ، ونظرا لانعدام فكرة الابقاء لديه على حياة الملك بعد الذي حصل ، فقد ضرب بسيفه الستائر وجسم بولونيوس معا ، فقتله على الفور . لم ينزعج الامير كثيرا لغلطته ، ولكن الملكة صاحت :

ـ « اوه ! ما هذا العمل الطائش الملطخ بالدم ؟ »
فأجاب هاملت :

ـ « عمل ملطخ بالدم ! عمل رديء يشبه ـ ايتها الام الطيبة ـ قتل الملك والتزوج باخيه ! » .

ثم صار هاملت المحق فى غضبه ، يعنف والدته لما اقترفته من ذنب ، ولم يغفر لها جريرتها . وأراها كيف انها كانت عديمة الفؤاد حينما نسيت هكذا بسرعة زوجها الطيب الميت،وتزوجت اخاه وقاتله بمجرد موته. ثم عقد مقارنة بين زوجها السابق وزوجها الحالي مشيرا الى عدالة الاول وشرفه ، والى انحطاط الثاني ودناءته . وسألها كيف سمحت لنفسها ان تستبدل بالاول الثاني : هل تملكها شيطان رجيم حتى فعلت

ومع ذلك لم يكن ليستطيع أن يحيط محبوبته علما بخطبه ومتاعبه .

وكتب اليها ـ ذات مرة ـ رسالة غرامية عنيفة ، فقرأتها واطلعت عليها والدها الذي سرعان ما قراها ـ بدوره ـ على الملك والملكة ، فظنا حينئذ انهما قد اكتشفا سبب جنون الامير ، واكتشفا علاجه فى الوقت نفسه .

وهكذا انخدع الخادعون . ولكن هاملت المسكين كان لا يزال بائسا شقيا ؛ ولم يستطع ان يقنع نفسه بأن قصة الشبح كانت حقيقية . وعلى فرض انها صحيحة فكيف يستطيع ان يقتل زوج امه ؟

ولام نفسه على جبنه وعدم نشاطه وابطائه فى الانتقام ؛ ومع ذلك تساءل : كيف يعرف ان الشبح الذي رآه وتحدث معه كان روح والده حقيقة ؟ اليس من الممكن ان يكون ذلك شيطانا تمثل فى صورة ابيه لغرض من الاغراض الشريرة ؟ ومهما يكن من أمر فمن الصعب ان تقتل ملكا اعتاد ان يحيط نفسه دائما بحرس شديد، كما اعتادت الملكة الا تفارقه . . . ان افكارا مضادة كهذه اتعبت عقل هاملت وضميره ، وجعلته ـ احيانا ـ يتعجب مما اذا كانت الحياة تستحق كل هذا الاهتمام .

واخيرا عزم عزما اكيدا على ان يبحث وليستنتج ما اذا كان الملك والملكة هما اللذان دبرا خطة اغتيال والده ، وهما اللذان قاما بتنفيذ المؤامرة . وسرعان ما خطرت بباله طريقة للعمل :

كانت فرقة متجولة من الممثلين ، قد أتت الى المدينة ، وارادت ان تقوم بتمثيل احدى الروايات في القصر الملكي . لقد رأى هاملت افراد هذه الفرقة من قبل ، وتذكر ان احدى رواياتها كانت تعالج جريمة قتل مخيفة ، تتعلق بشخص « دوق » وبحزن « الدوقة » ارملته . قال هاملت :

ـ « الان فقد عثرت على اهم طريقة عملية استطيع بها اختبار ما اذا كان الزوجان مجرمين أم لا ؟ »

وهكذا انتحى هاملت ببعض الممثلين ناحية ، وساله عما اذا كان يعرف رواية تدعى : « اغتيال كونزاكو Gonzago » تلك الرواية التي يسمم فيها « دوق » يسمى كونزاكو فى حديقته بواسطة قريب له تزوج ارملته فيما بعد . قال الممثلون : انهم يعرفون الرواية ويمكنهم تمثيلها اذا ما رغب الامير فى ذلك .

قال هاملت :

ـ « فى ليلة الغد تمثلونها امام الملك والملكة ؛ ولكن اريد منكم ان تزيدوا فى اصلاحها وتحسينها بوضع بضعة اسطر من تاليفي » .

وهكذا ادخل هاملت تغييرات على الرواية لتكون مشابهة قدر الاستطاعة للجريمة الحالية ، جريمة اغتيال والده ؛ فقد كان يعرف كيف تستطيع رواية جيدة ان تثير مشاعر السامعين والنظارة ، وتذكر قصة سفاح وكيف اعترف بجريمته النكراء عند ما راى الجريمة تمثل امامه مرة اخرى على خشبة المسرح .

وضمن هاملت قائلا :

ـ « الان وعند ما يرى الملك والملكة هذه الرواية ، ستظهر على وجهيهما امارات الاجرام اذا كانا مجرمين حقا ، وساكون قادرا على مراقبتهما وملاحظة سلوكهما عن كثب » .

ثم دعا هاملت الملك كلوديوس والملكة لمشاهدة الرواية التي ستمثل فى الليلة التالية . وبالطبع لم يخبرهما عن موضوع التمثيلية ، فقبلا الدعوة بسرعة ؛ لانهما ظنا ان هذا السلوك من الامير علامة تبشر اخيرا بتحسن صحته .

وقبل ان يبدا تشخيص الرواية على خشبة المسرح ، ذهب هاملت الى صديقه الثقة هوراشيو وانباه خبر ما قد نظمه ، وساله ان يمد له يد المساعدة ، فيراقب سلوك الملك والملكة اثناء العرض المسرحي ، وقال :

ـ « واذا لم يحركه المنظر حركة غريبة ، فان الشبح ليس روح والدي ، واكون قد ظلمت كلوديوس بالتفكير فى انه مجرم مقتال » .

وعند ما اقتربت ساعة التمثيل ، دخل الملكان ورجال الحاشية ، وجلسوا امام خشبة المسرح ؛ وجلس هاملت وهوراشيو فى جانب مظلل حيث يمكنهما ملاحظة الملك دون ان يظهرا ذلك بطريقة مكشوفة .

وفى بداية الرواية ظهر « الدوق » كونزاكو وزوجته وهما يتحدثان ، واعلنت له زوجته فى حديثها انها لن تتزوج ابدا بغيره اذاما مات . ثم قالت :

ـ «ان المراة التي تتزوج زوجا ثانيا ، هي فقط التي تكون قد اسهمت فى قتل زوجها الاول » . وعند سماع هذه الكلمات رأى هاملت والدته وقد شحب لونها ؛ فقد كان لبداية المسرحية تاثيرها الفعال فى الزوجين المجرمين ؛ بيد ان البقية كانت مزعجة لهما اكثر من ذي قبل ؛ذلك لان المنظر التالي كان يري الدوق

وخبأ هاملت وهوراشيو نفسهما وظلا يراقبان ـ غير مرئيين ـ القس وهو يقود مراسم الجنازة . وسرعان ما لاحظا ان القس ابى ان يتم المراسم قائلا : انه لا يستطيع ذلك نظرا لان المرأة الميتة قد قضت نحبها مختارة ، وانتحرت طائعة غير مكرهة : كما سمعا ليرتس يلوم القس على هذا التصرف . وعندما اخذت الملكة تنثر الزهور على القبر ، سمعاها تقول :

ـ « كنت آمل فيك ان تكوني زوجة لابني هاملت ، وكنت اود ان أزينك فى حفلة زفافك ، لا فى أثناء دفنك » .

وبسماع هذا ، فهم هاملت ـ وقد اخذ منه الرعب كل مأخذ ـ ان المرأة المتوفاة هي معشوقته اوفيليا ؛ وانها ـ ولا ريب ـ قد قتلت نفسها ؛ لذلك تملكه الحزن وتوبيخ الضمير ، وبرؤيته ليرتس يقفز هابطا الى قبر اخته ، اسرع هو وقفز الى القبر بجانبه . لقد شقيت اوفيليا بسلوك محبوبها الغريب ؛ وحينما سمعت ان محبوبها هو قاتل ابيها ،تملكها الاسى وفقدت رشدها، ثم اغرقت نفسها . ظن ليرتس ان هاملت كان المسؤول عن كل ما حصل ، وانه يستحق اللوم والتقريع والمقاومة؛ ولذلك حاول ان يقاتله فى قبر اوفيليا المسكينة ؛ ولكن الاتباع فرقوا بينهما ، فذهب هاملت مع هوراشيو معلنا شجنه وحزنه ، ومناديا بانه قد احب اوفيليا لدرجة تفوق حب اي اخ لها .

ما زال الملك الطالح مصمما على التخلص من ابن اخيه . وبما انه رأى هاملت قد نجا من مؤامرته الاولى فانه دبر مؤامرة اخرى ، مقررا ان يستفيد من غضب ليرتس على سافك دم ابيه بولونيوس : فلعلم الملك بأن كلا من هاملت وليرتس لاعب سيف ماهر ، عمل على تنظيم مبارزة بينهما بالسيف . لقد كان ليرتس يتمتع بشهرة كأحسن لاعبي السيف؛ فحضه الملك علىاستعمال سيف حاد مستدق النهاية (وقد كان ذلك ممنوعا في المباريات) وحثه على تسميم نهاية السيف حتى اذا حصل لهاملت اي خدش هلك ومات فى الحين .

ارسلت دعوة للنزال الى هاملت الذي ظن ان ليرتس يريدها مباراة ودية ، ولذا قبل هاملت النزال ، واعتبر الدعوة عربون صداقة وحسن نية .

هذه هي الخطة الخبيثة التي نظمها الملك ، فقد كان يرى ان الامير اذا مات فى هذه المباراة السيفية ، فان موته سيبدو طبيعيا او من قبيل المصادفة ، ومن ثم لا يقع اللوم على اى كان ؛ ولكن مشروعه الواضح المعالم اذا لم ينجح ، فانه قرر الا يترك الفرصة السانحة تفلت من يده ، لذلك وضع قدحين من الخمر فوق مائدة قريبة منه فى الموضع الذي اقيمت فيه المباراة ؛ وفى أحد القدحين وضع سما ناقعا . وقد قدر انه سيشرب نخب نجاح هاملت فى فترة الاستراحة بين الشوطين ، ويفوت اليه القدح المسموم كي يجيب على النخب .

وقبل ان تبدا المباراة اكد هاملت صداقة لليرتس؛ واخذ كل منهما سيفه الكليل وبدآ المبارزة . وكانت المعركة اول الامر فى صالح الامير ، وحينما وقفا للراحة ـ بين الشوطين ـ شرب الملك نخب نجاح هاملت . ولكن هذا لم يشرب ، وقال انه سيفعل عندما ينتهي اللعب .

وفى الشوط الثاني تحمس ليرتس فى اللعب وحمي وطيس المبارزة ، فأصبحت المباراة مثيرة للغاية. وتطلع الملك الى طعنة مميتة تنشب فى جسم هاملت ، وظل يرقبها بشغف عظيم لدرجة انه لم يعد يلاحظ الملكة التي كانت بجانبه . ويبدو انها كانت عطشى فارادت أن تطفىء ظمأها واخذت قدحا من الخمر لتحتسيه . ولم ير الملك انها تشرب من القدح المسموم

فى هذه اللحظة وخز ليرتس جلد هاملت وخزة مفاجئة ، ففقد هذا الاخير مزاجه عندما عرف ان ليرتس كان مستعملا سيفا مدببا حادا ، لا سيفا كليلا كما كان مقررا ؛ واطبق عليه وضيق عليه الخناق . وفى أثناء العراك امسك هاملت سلاح ليرتس (الذي كان هذا قد سمم نهايته المدببة بنفسه) وجرحه به فصرخ الملك : « ان فرقوا بينهما » . وفى الوقت نفسه رئيت الملكة وهي تسقط فجاة ، وتصرخ أنها قد سممت . لقد اثرت جرعة الخمر المميتةاثرها فماتتالملكة فى التو .

رأى هاملت الخيانة والغدر يحيطان به احاطة السوار بالمعصم ، فأمر الاعوان ان يقفلوا الابواب حتى لا يهرب احد ، وصاح قائلا :

ـ « أوه ! دناءة ! خيانة ! فتشوا عن الخونة ! »

وبمجرد ما اتم هذه الكلمات ، خر ليرتس صريعا الى الارض ؛ متأثرا بضربة السيف المسمومة التي كالها له هاملت ، وقال :

ـ « أجل ، انها خيانة بالنسبة الي ، فأنا فريسة القدر يا هاملت ، وانك مقتول لا محالة ؛ ولا يوجد في العالم دواء يشفيك ـ الملك ، الملك هو الملوم . » وهكذا لفظ انفاسه الاخيرة وهو يطلب العفو والمسامحة .

وبعد ان رأى الامير ـ رأى العين ـ مؤامرة الملك الدنسة التي دبرها لقتله ، وبعد ان تيقن ان ليس امامه

ذلك ؛ ان عملها هذا يجعل نفس المستمعين للقصة يحمرون خجلا من العار .

عند سماع هذه الكلمات احست الملكة العار والشنار ، وتحققت الى اية درجة كانت شريرة دنيئة ؛ فسألت هاملت ان يكف عن التقريع والتوبيخ ، ولكن هذا كان لا يزال لديه الكثير من القول . لقد طلب منها ان تهجر زوجها حينما يبدو – وبدون انذار سابق – شبح الملك العجوز مرة اخرى . وبما ان الملكة لم يسبق لها ان رأت ذلك الشبح ، فانها ظنت ولدها قد عاوده الجنون .

بيد ان هاملت رأى الشبح ، والشبح تكلم مع هاملت آمرا اياه ان يترك أمه الان ، وان يتذكر ان الانتقام من الجاني لما تحدد طريقته بعد ؛ وحثه على الرأفة بالملكة التي بدت وكانما قد اثقل كاهلها الحزن وتأنيب الضمير . ثم اختفى الشبح ... وبعد ان طلب هاملت من والدته ان تستغفر لذنبها ، وبعد تحذيرها من الاستمرار في العيش مع كلوديوس ، تركها ظانا انها ستفعل مثل ما امر .

وفي هذه الاثناء كان الملك يضع خطة للتخلص من هاملت ، لانه تحقق من خطورته ، ولانه بدأ يخشاه ؛ ولذا رأى نفيه من البلاد . ولكن الامير كان محبوبا من الشعب ؛ فكان من الصعب على الملك ان يجد مسوغا معقولا لنفيه ، واخيرا اهتدى الى العذر المطلوب ؛ لقد وجده في قتل بولونيوس ؛ ولذا قال لنفسه يحاورها ويحاول اقناعها :

– «سيعتقد الشعب اني ابعدت هاملت محافظة عليه من انتقام عائلة بولونيوس» .

وهكذا وضع كلوديوس الداهية خطة لارسال هاملت الى البلاط الملكي الانكليزي ، ولاغتياله بمجرد وصوله الى انكلترا . وتظاهر امام هاملت بانه مرسله الى هناك في شأن من شؤون الدولة ، وذلك لان انكلترا في هذا العصر كانت تابعة لدنمركة ؛ اما في الباطن والحقيقة ، فكان يريد الاجهاز على حياته ، ولذلك أرسل رسالة مختومة يحملها رجلان من الحاشية مصاحبان للامير . كانت الرسالة موجهة الى ملك انكلترا تأمره ان يقضي القضاء المبرم على حياة هاملت ، بمجرد ان تطأ قدماه التراب الانكليزي .

بهذه الطريقة اجبر هاملت على مغادرة وطنه ومسقط رأسه ؛ ولكن برنامج الملك الاثيم لم يكن لينفذ؛ لان ما كان يعرفه الامير عن شخصية عمه ، جعله يرتاب في امره ، ويتهمه الغدر والخيانة ، وجعله منه على حذر . تظاهر بانه راغب في تنفيذ الامر الملكي ، وابحر الى انكلترا مع الضابطين اللذين عينهما عمه لمرافقته .

وعند ما بدأ الثلاثة رحلتهم البحرية ؛ وفي الليل حيث كان رفيقاه نائمين ، وجد هاملت الطرد المقفل المحتوي على الرسالة المرسلة من كلوديوس الى ملك انكلترا ، وفيها قرأ الامر الذي سيقتل بمقتضاه عندما يحل بأرض الانكليز . وسرعان ما وجد هاملت طريقة لافساد خطة الملك الاجرامية ؛ فقد مسح – بمهارة – اسمه هو من الرسالة وأحل محله اسمي الضابطين المرافقين له ؛ وبعدئذ ختم الرسالة بخاتم أبيه الذي كان معه ، ثم وضعها في المكان الذي وجدها فيه .

و في اليوم التالي كانت سفينة الامير مطاردة من قبل لصوص البحر ، وهنا ابطأت السفينة في سيرها لدرجة ان هؤلاء لحقوا بها . وقد ابدى الامير شجاعة نادرة المثال ، اذ اقتحم سفينة القراصنة بمفرده ، واستطاع ان يجعلهم في شغل شاغل لدرجة ان سفينة الامير وجدت سبيلها الى الفرار فالنجاة .

وبقي هاملت مع القراصنة الذين عاملوه برأفة واحترام حينما علموا انه امير ؛ وكانهم املوا من وراء ذلك في مكافأة يكافئهم بها . وبناء على ذلك ابحروا صوب البر ، وانزلوا الامير على شاطيء اقرب ميناء من موانيء دنمركة . وهكذا نجا الامير من مؤامرة الملك ، وسعى لينجز ما سطر له في لوح القضاء والقدر .

وبمجرد ما وطئت قدمه أرض بلاده ، حرر رسالة الى عمه يخبره فيها انه قد عاد الى دنمركة ، وانه سيشرح له كل شيء عند ما يراه في اليوم التالي ... ولم يقل شيئا عن المؤامرة الدنيئة لانه عزم على التظاهر بانه لم يعرف شيئا عنها اطلاقا .

وفي الوقت نفسه ارسل خطابا الى صديقه هوراشيو ، مخبرا اياه بكل ما حصل له ، وراجيا منه ان يقدم عليه بكل سرعة ممكنة . وحينما تقابلا اخبر هاملت صديقه بمغامرته وبخيانة الملك ايضا . وبينما كانا متجهين شطر المنزل رأيا منظرا عجيبا ! فقد رأيا حفارين للقبور وهما يحفران قبرا جديدا ؛ وعلما منهما ان القبر لامرأة توفيت منذ قليل . وبينما هم في حديثهم هذا كانت الجنازة تقترب منهم شيئا فشيئا .

وقد اعترتهم الدهشة حينما رأوا موكب الجنازة يتألف من الملك والملكة ومن شخصيات اخرى بارزة في البلاط الملكي ؛ وحينما رأوا جماعة النائحين تضم فيما بينها ليرتس Laertes اخا الحسناء اوفيليا



الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف الأستاذ عبدالرحمن التكريتي
تعليق أبوسعد

زارنا صباح يوم 28 – 2 – 66 العميد عبد الرحمن التكريتي ليطلعني على مشروعه حول اصدار كتابه المذكور الذي يتناول الامثال العراقية مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا وكان تقدم الي قبل هذا يطلب مؤلفات عن « الامثال المغربية » ، وقد لمست فيه منذ اللقاء الاول عزما ماضيا نحو تحقيق هذه الرغبة برهن لي عنها ذلك الحرص الشديد منه على ان يقدم للقراء العرب ما يزيد فى ايمانهم بأن مشاعرنا واحاسيسنا واحدة ليس عن طريق ارسال الكلام على عواهنه ، ولكن عن طريق هذا الذي نسميه « مثلا » ، وعن هذا القول الذي نردده بيننا كلما طرا حادث او عنت سانحة ، فلقد عرف الناس جميعا ان هناك طائفة مهمة من الامثال العربية تتحد سواء على اطراف المحيط او على اطراف الخليج ، وهذا يعني ان الحاسة العربية واحدة وان الشعور واحد . لقد جمع فى هذا الكتاب حوالي اربعة آلاف مثل من عيون القول وصائب الكلام ، وبصرف النظر عما تحتوي عليه من فوائد لغوية ونوازع انسانية فانها تعطي صورة صادقة عن المحيط الذي نعيشه وعن البيئة التي تؤوينا هنا او هناك . ولما كنت اعرف عن طائفة مهمة من اخواننا الاساتذة فى المغرب ممن عنوا بأمر الامثال من امثال الاساتذة عبد السلام بن سودة وعبد القادر زمامة والشيخ محمد داود والاستاذ محمد الفاسي ، هذا الى ما عرف لصاحب الوسيط عن امثال شنجيط ، وعرف لويستير مارك واحمد الصبيحي الخ .. اقول لما كنت اعرف ذلك توسلت الى الخزانة العامة بالرباط التي زودته هي الاخرى بما هو فى حاجة اليه تقديرا لعلمه واكبارا لطموحه ، فان من المعروف لدى الكثير قيام الناس بالتاليف فى الامثال المحلية التي تروج بين ظهرانيها ، لكن المؤلف هذا قام – كما فعل بعض الاساتذة امثال محمد الفاسي والشيخ داود – بالمقارنات والمفارقات بين الامثال فى مختلف البلاد العربية ، وهذا كان يستحق ان يسدى اليه العون اللازم وكان يستحق أن ترضى استشاراته اتم ارضاء .

والعميد التكريتي ينتسب الى تكريت مسقط راس البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين الايوبي ، بل مسقط رأس كثير من الابطال الذين انجبتهم ارض الرافدين فى الماضي والحاضر . تكريت التي تحتفظ لها بذكرى لاتبليها الايام بما تضمه من رجال افذاذ، وما تمتاز به من شمم واباء ... وقد تدرج عبدالرحمن فى المناصب العسكرية حتى امسى عميدا ، وقد انصرف اخيرا الى خدمة العلم وهذه احدى طلائعه الادبية تصل الينا فى المغرب ولاجل ان ناخذ صورة عن المجهود الذي يبذله الاستاذ التكريتي نقدم بين ايديكم ما استدعاه منه مثل عراقي واحد من تحقيق لنعرف الداب والصبر الذي تحلى به الرجل من اجل ان يقدم لقراء العربية هذا التراث

هذا مثل عراقي يقول : آني امير وانت امير مينو يسوك الحمير » ، آني بالعراقية معناه انا ، وميتو : معناها من . والمثل يضرب كما لا يخفى لمن

من الحياة الا دقائق معدودة تركت له كي ينفذ خطة اخذ الثار ، التفت الى الملك ، وطعنه بالسيف المسموم فقتله في الحال .

وعند ما راى هاملت مصيره المحزن المحتوم ، نادى صديقه المخلص هوراشيو الى جنبه ، وساله ان يعرف الناس بالقصة الحقيقية لاغتيال ابيه ، وان يروي لهم خبر انتقامه له . كان هوراشيو قد قام بحركة يفهم منها انه كان يريد ان يشرب الخمر المسموم وبذلك يرافق صديقه الى الدار الاخرة؛ ولكن حينما طلب منه هاملت ذلك ، وعده ان يبقى على قيد الحياة ليقص على العالم قصة هذه المأساة كلها .

وكان ما يزال لهاملت من نسم الحياة ما يكفي لسماع وعد هوراشيو ، وبعد ان همس بهذه الكلمات :

— « الراحة هي السكون . » فاضت روحه وخر صريعا .

وهكذا كانت نهاية امير دنمركة النبيل الشجاع ، حزن عليه الشعب حزنا شديدا كما لو كان ملكا عظيما ؛ ثم حمل الى مقره الاخير على انغام موسيقى الجنود الحزينة ، ووسط عويل الشعب ونواحه المتزايد (1) .

تطوان : عبد الله العمراني

(1 عن : H. G. Wyatt: Stories from Shakespeare - Oxford University Press, 1938



في أجواء التربية

للأستاذ مبارك ربيع

الامة برجالها . ولكن الرجال الذين تقوم بهم الامة لا ينبتون كالفقاع ، بالرغم من ان ولادتهم فى غالب الاحيان ، تخضع لقريب من ظروف الفقاع . الرجال الذين تقوم بهم الامة ، ثمرة تربية حية ، ترسم اهدافا، وتسعى لتحقيقها . ولن استعرض هنا نظريات تربوية ، ففي بلدنا نهضة متجهة نحو « استيعاب » تاريخ النظريات التربوية ، وقد يبلغ الامر ببعض الافراد ، خاصة ممن يحيون فى خضم حياة التدريس، ان يحفظوا تلك النظريات وتاريخها ، عن ظهر قلب ! وفى معاهدنا التربوية ، ومناهجها ، لاتزال الاهمية تعطى للنظري فى الميدان التربوي اكثر مما تعطى للجانب العملي . فالطالب النجيب فى معهد تربوي ، والمعلم والاستاذ الناجحان فى عملهما ؛ هم الافراد « المثقفون » فى ميدان النظريات التربوي ، والذين يستطيعون ان يكتبوا عدة ساعات مقالات ، يقتبسون فيها من اقوال المربين ويلائمون بينها ، ويستنتجون فى احسن الاحوال ، وليس من النادر ان تكون عمليات الملاءمة تلك ، والاستنتاجات ، بعامل المهارة اللغوية ، والذكاء المنظم ، منطقية مقبولة ومستساغة ، ولكن ليس من النادر ان ذلك الرواء الزائف ، اذا ما عرض على العمل ، والتجربة ، لايبقى منه سوى تناقض واستحالة، ولعمري باي منطق تنقلب « عملية » التربية الى ثقافة نظرية لفظية ؟ واين الاصالة والابتكار فى التربية ، اذا اعتمدنا دائما الفصل بين النظري والعملي . ان اكبر المتحمسين للجانب العملي فى التربية ، قد يعطونه مرتبة مساوية للجانب النظري . ولكن ، فيما يبدو ، ليس هناك من نظري فى « عملية » هي التربية . وماذا لو تصفحنا وثائق بعض المربين المعاصرين ، ومن مذكراتهم على الخصوص ؟ فذلك كفيل بان يزيد في توضيح هذا الجانب الهام فى التربية وهو الجانب العملي ، وكفيل بان يدفعنا ، وحتى من هم على احتكاك دائم بميدان التربية ، الى ان نعيد النظر فى مناهجنا ، ونأخذ عملية التربية بمزيد من الجد ، لخلق اجيال فى مستوى القرن العشرين ونتجنب ما يقع في مدارسنا باستمرار من قبر المواهب ، وقتل للعبقريات، والمبدا الذي يجب ان نعتنقه ، والكفيل باعطاء احسن النتائج ، هو فتح المجال للتجارب التربوية ، وترك هذا التقيد المتطرف بشكليات ، لا اثر لها ولا خطر . واقدم هنا تلخيصا لمقال مطول بعنوان « ثورة فى التربية » (1) ويتناول بالحديث الطريقة التربوية التي اتبعها فى مدارسه Célestin Freinet الذي توفي اخيرا عن 75 سنة . وقد ظل « فريني » يسير المدرسة التي اشتهرت باسمه منذ 1935 وقد اعتمد المقال على احاديث هذا المعلم المسجلة . وليس من احد يحسن الكلام عن طريقة او نظرية كصاحبها ، خصوصا وان طريقة هذا المربي ، وما تعتمده من مبادىء قد اثرت فى مدارس قرننا الحالية الى حد كبير ، ومما جاء فى احاديث « فريني » هذه : « بعد الحرب العالمية

1) نشرته : Les nouvelles littéraires بتاريخ 1 يونيو 1967

يتقاعس تكبرا عن عمل مكلف به وهو من صميم واجبه، فالجزائر تقول : « اذا انا امير وانت امير اشكون يسوق هاذوا الحمير » والسودان تقول : « ابوك امير وابوي امير مين يسوق الحمير » وفلسطين تقول: « انت شيخ وانا شيخ ومين بيوقد النار » ، والكويت تقول : انا مير وانت مير من يسوق الحمير » والمغرب (تطوان) يقول : انا مير وانت مير شكون يتداه هاذ الحمير » ، وفاس تقول : « انا امير وانت امير واشكون يسوق هذا الحمير » وقبائل نجد تقول : « الى صرت امير وانت امير من يسرح بالحمير » .

وهذا مثل عراقي آخر : « اواعدك بالوعد واسكيك يا كمون » يضرب لكل ما لا يصح من المواعيد. تقول تونس : « عيش بالمنى ياكمون » والسودان : « ابشر يا كمون بالروى » وسورية : « بتوعدني وبتبعدني بسقيك باكمون » وفلسطين : « بالوعد تسقيك ياكمون » ، ومصر : » سأسقيك بالوعد باكمون » ولبنان « بسقيك بالوعد ياكمون » والمغرب « دبا نسقيك الكمون » او « غدا نسقيك الكمون » ، ونجد تقول : « فلان كمونة تعيش على الظل » ، ومثل نجد هذا يوضح سر المثل ، فان مما عرف لدى الفلاحين انه يكفي لنمو الكمون ان تشمله قطرات الندى في الليل او يشابه وانه ليس بحاجة الى سقي حقيقي. .

وهذا مثل عراقي ثالث : « البيت بيت ابونا والناس يعاركونا » يضرب لمانع صاحب الحق من التصرف في حقه ، تقول الجزائر : « الدار دار بونا والكلاب طردونا » وسورية تقول : « البيت بيت ابونا والكلاب صاحونا » ، وفلسطين تقول : « البيت بيت ابونا واجوا الغرب يطحونا » ، والكويت : « البيت بيت ابونا والقوم خانقونا » ، ولبنان : « البيت بيت ابونا والغرب بيقاتلونا » ، ومصر : « البيت بيت ابونا والغرب بيطردونا » ، والمغرب : « الدار دار بونا والكلاب بيطاردونا » ونجد : « الدار دار ابونا والقوم قردونا » (هيسبريس 1947 — 1955) .

وهكذا سار الاستاذ عبد الرحمن التكريتي في كتابه « الامثال البغدادية المقارنة » مرتبا لها على الحروف الهجائية ، ونحن في انتظار المجلد الثاني نزف للمجمع العلمي العراقي تقديرنا لمساعدته على نشر مثل هذه الكتب التي تظل الرباط القوي الذي يجمع بين التفكير العربي في الشرق والغرب متمنين للعميد التكريتي المزيد من العون والتوفيق .

الرباط — أبو سعد

فارغ ومشغول

قال عبد الله بن سليمان لابي العيناء : اعذرني فاني مشغول ، قال : اذا فرغت لم احتج اليك ، وما اصنع بك فارغا ، وانشد :

ولا تعتذر بالشغل عنا فانما ... تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

« ليون » .. الخ .. وهكذا يقومون بالعمل بانفسهم، بما بين ايديهم من الوثائق . فلا نسالهم ، ولا نعطيهم ملخصات . وعندما ينتهي الاطفال على هذا النحو من دراسة « الرون » يقوم كل منهم بالقاء عرض حول الموضوع ... » وبهذه الطريقة يهيأ الاطفال رغم العمل الحر ، الى الامتحان المطلوب منهم ، وبهذا تكون مدرسة فريني قد حققت هدفها المزدوج ، وهو تربية الاطفال على البحث وعلى الاعتماد على انفسهم من جهة ، وتثقيفهم من جهة اخرى .

ومن جملة ما يقوم به الاطفال فى مدرسة فريني ان عروضهم او المحاضرات التي يلقونها ، لا تقف عند حدود مدرستهم ، وعلى اترابهم من تلاميذ الفصل بل انهم يقومون بالقاء محاضرات فى مدارس اخرى ، فيتجولون كأي محاضر من الكبار . ومما يذكره فريني فى احاديثه هذه ، ان رئيس اكاديمية فرسوفيا قد زار مدرسته ، واقام بضعة ايام ، فطلب منه فريني ان يختبر احد الاطفال ، وكان رئيس الاكاديمية ، مختصا فى التاريخ ، وقد حدث ذلك سنة 1960 . ويذكر فريني ان هذا المختص الكبير ، لم يخف دهشته من تصور صمود طفل ، لاسئلته . وبما ان الطفل كان قد القى عرضا حول مصر ، فقد رجا فريني من الرئيس ان تكون اسئلته فى هذا الموضوع بالذات . وكانت النتيجة أن المناقشة بين الطفل ورئيس الاكاديمية دارت كما تدور بين ندين ، وكان هذا الطفل قد توجه الى « نيس » حيث القى عدة محاضرات فى المدرسة العادية ، وقد تحدث مدة ساعة ، وأمامه عدد ضخم من الوثائق ، كما اجاب على عدة اسئلة ، وقد اقترح ان يستمر بعد ذلك فى حديثه عن مصر ، اذا كان المستمعون ما يزالون على استعداد لذلك . اما عمر هذا الطفل فهو 13 سنة ، وكان قد نجح لتوه فى الشهادة الابتدائية .. وقد ادرك ابواه اهمية تعليمنا ، ولم يريدا ان ان يضعوه فى ثانوية للتعليم العام ، فى « فانس » ، لانهم عرفوا ما يحدث فى تلك الثانوية ، فسيشترون خمسة عشر دفترا ، وكتبا ، ويجب عليه ان ينسخ ما فى تلك الكتب ... فعمد ابواه الى ان جعلاه يتلقى دروسا بالمراسلة ، وبدا الطفل ياتي الى مدرستنا بين الحين والحين ، ولم يكن هذا أحسن ما يمكن ، ولكنه كان افضل من ترك الطفل يضيع وقته .

ويضيف فريني « فى مدرستنا ، اذا ما امكنك ان تسأل الاطفال فلن يكون لديهم ما يجيبون به كلمة كلمة ، عن ظهر قلب ، بل انهم يجيبونك بطريقة تدل على الذكاء ، لانهم يفكرون . » والتساؤل الكبير هو:

ما مصير هؤلاء الاطفال الذين يتكونون فى مدرسة فريني، انهم يغادرون هذه المدرسة فى سن 14 ، وهو سن ما زال خطيرا عليهم ، بالرغم مما يكونون قد اكتسبوه، من دراستهم الاولى ، فهم قد اطلعوا على كثير من مشاكل الحياة ، وتعلموا الاعتماد على انفسهم ، وتمرنوا على جهود البحث ، ومع ذلك فلا ندري كيف يمكنهم ان يتلاءموا مع المدارس (الثانويات) ، التي سيدخلونها ، وهي تتبع الطرق التقليدية ، العقيمة فى غالب الاحيان بالرغم من جهود المخلصين من المعلمين والمعلمات ، ولكن فريني يرى أن مسؤولية العقم فى هذه المدارس لا تقع على المعلمين والمعلمات بالذات ، « بل انهم ضحايا » ذلك ان مناهج التعليم عندما تجعل من مهمة المعلمين والمعلمات ، أن يدرسوا الاطفال ، أشياء لايرغبون فيها ، وفي ظروف غير مساعدة ، تعتمد الالزام والقهر ، انما يعرضونهم لاخطر عمل ، ولاعوص دور .

❊ ❊ ❊

دراساتنا العليا

توجت السنة الدراسية هذا العام بكلية الآداب بالرباط بظاهرة طيبة ، لا يسمع كل غيور على الثقافة فى هذا البلد ، الا أن يطرب لها ، ويطلب المزيد منها . تلك هي مناقشة رسالتين لنيل دبلوم الدراسات العليا .

تقدم بالرسالة الاولى ، الاستاذ عابد الجابري، حول موضوع : التاريخ والتاريخ فى المغرب (منذ الاستقلال) على ضوء منهج ابن خلدون . وموضوع الرسالة بهذا الاعتبار يتضمن جانبين احدهما فلسفي والآخر تاريخي . فالجانب التاريخي هو الذي يتناول فيه صاحب الرسالة المؤلفات التاريخية (التاريخ والتاريخ) ، التي ظهرت فى المغرب منذ استقلاله ، ويحاول ان يقوم بدراسة نقدية عنها ، وهذه العملية النقدية التي يمارسها المؤلف هي التي تدفعنا الى الجانب الثاني ، من الرسالة أعني الجانب الفلسفي . فالمؤلف يصطنع منهج ابن خلدون ، او هو يسير على « ضوء المنهج » . ومنهج ابن خلدون منهج نقدي ، وهو منهج فيلسوف قبل كل شيء ، كما ان صاحب الرسالة متخرج من قسم الفلسفة بالكلية ، وقد قدم الاستاذ الجابري عرضا موجزا ، لما جاء فى رسالته ، بين فيه محاولته ، وشرح بعض الجوانب المنهجية فى دراسته ، ثم بدات المناقشة . وقد شارك فيها كل من الدكاترة : العميد محمد عزيز الحبابي (المشرف على الرسالة) ، والاستاذ نجيب بلدي ، والاستاذ البير نصري نادر . وانتهت المناقشة بقبول دراسة الاستاذ الجابري بميزة مستحسن .

الاولى ، كنت معلما ، وقد اصبت في الجبهة ، واصبح من الصعب علي ان اتكلم طويلا . والمعلمون الذين يستطيعون ان يتكلموا طويلا ، في العادة ، يسيطرون بأصواتهم على الاطفال ، ولكنهم يتعبون بسرعة . اما انا فلم يكن ذلك باستطاعتي حتى كان علي ان اختار: اما ان اترك هذه الحرفة ، واما ان ابحث عن وسائل تقنية ، لا اكون بحاجة معها الى ان اصرخ . وحينئذ تخيلت بعض الطرق ، ففكرت مثلا بان لا دروس بعد الآن ، ولم اعط بعدها درسا قط . »

هذه بداية القصة ، التي اختتمت منذ شهور بوفاة فريني ، وكان ختامها النجاح الكبير ، نجاحا جعل المعلم البسيط ، الذي انتصر على عجزه ، وخرج منه بطريقة فذة في التربية ، يترك العالم راضيا عن نفسه وعن مهنته . لقد بدأ « فريني » صراعه وجهاده ، لاكتشاف طرق جديدة ، حوالي 1920 ، ولكن الجهود المضنية للعثور على هذه الطرق ، لم تكن الا احدى العراقيل ، اما العراقيل الاخرى ، فهي التي تقف في وجه كل جديد ، وفي وجه كل اكتشاف . انها القوى المتمسكة بالطرق التقليدية في التربية ، وما كان اكثر هؤلاء ، من رجال التعليم ، والكنيسة ، والهيئات المجتمعية ، لا سيما حوالي 1932 في فرنسا ، وبعد ان شق « فريني » بمساعدة زوجته التي كانت معلمة بجانبه ، اشواطا في طرقه التربوية ، فقد قامت في وجهه ، قوى مختلفة تضم كبار الشخصيات ، في ذلك الوقت ، وهو يقول عما لاقاه في تلك الفترة :

« ... لقد انتقدوا طرقنا ، وانتقدوا القطع التي كنا نقدمها للاطفال ، وكان لكل ذلك ضجة كبيرة ... »

ولم يستطع « فريني » امام الضغط المتزايد ، والضجة العارمة ، الا ان يقدم استقالته ، من التعليم (الحكومي) ، واسس مدرسته الخاصة ، وقد بناها وبجانبه زوجته ، شيئا فشيئا ، بيتا بيتا مدة ثلاث سنوات . وبذلك امكن للمدرسة ان تحوز الاعتراف الرسمي ، وتصبح من اكبر المؤسسات التعليمية في فرنسا ، كما انضم الى المدرسة اعضاء ظل عددهم يتزايد باستمرار ، يقصدون المدرسة ويتأملون طرقها وموادها ، ليعودوا الى « مدارسهم العادية » يطبقون ما رأوا .

ويتحدث « فريني » عن عيوب الطرق التي كانت متبعة — ولا تزال في البلاد المتخلفة — فيقول :

« ... اننا نجعل الطفل يجلس ، ويشبك يديه طوال الفترة التي نلقي عليه اثناءها خطابا ، ونقصد من ذلك ان نجعله يحصل شيئا ، والحقيقة ان الطفل لا يحصل من ذلك شيئا ، ولكنه يقرأ كل يوم كتبا ، وينسخ ما في هذه الكتب ، ونظل نأمل النتيجة . اننا بهذا العمل ، نعلمه كيف يكتب ، بدون اخطاء تقريبا ، وكيف يقرأ تقريبا بدون اخطاء ، وكيف يحسب ، اما في نطاق الثقافة الحقة ، فهو صفر أو أقل من صفر ! »

ومقابل هذه الطرق التقليدية العقيمة ، تبدو مبادىء طريقة « فريني » ، انها تهدف لا الى « التحصيل » وحشو الدماغ ، بل الى التثقيف ، ولا تعتنق النظري ، بل تعتمد التجربة . ويقول « فريني » « في يوم من الايام ، خطر لي ان اضع المطبعة بين ايدي الاطفال ، ولم اكن على علم سابق بما قد ينتج عن هذا ، اذا ما اثار اهتمامهم . لكن ، بدلا من ان نطبع قطعا للبالغين ، قمنا بطبع قطع اتى بها الاطفال انفسهم . وكانت النتائج باهرة . وبعد ذلك قمنا بتنظيم المراسلات مع مدارس اخرى ، وكانت النتائج افضل . وقد انطلقت من هذه النقطة ، كل تقنياتنا الحالية . »

ولا شك في ان هذا يستدعي تغييرا جذريا في المدرسة التقليدية ، وخاصة ما يعرف بالنظام . فبدلا من ان يأتي المعلم الى الفصل ويأمر الاطفال ، بفتح كتاب ، واجراء تمرين او عدة تمارين ، فان مدرسة فريني تقوم بحديث خاص مع الاطفال ، ثم يقوم هؤلاء بالاشتغال في القطع الحرة ، التي هيأوها بأنفسهم . وهذه الطريقة تتطلب اعدادا خاصا للمعلمين ، يجعلهم يقضون فترة تدريب من شهر الى شهرين ، قبل اخذ الفصل . وبالرغم من ان الدراسة عند فريني ، تعتمد على هذه الطريقة الحرة ، فان الاطفال يتابعون برنامجا محددا ، ويؤدون امتحانا كغيرهم من اطفال المدارس الاخرى . ويعطي فريني بعض الامثلة ، لزيادة ايضاح الفارق بين مدرسته والمدارس التقليدية . فيأخذ مثلا درسا في الجغرافيا « حسب الطريقة التقليدية ، هناك الكتاب المدرسي الذي يقدم لنا ان : الجزيرة هي جزء من الارض محاط بالماء من جميع الجهات ... » ويرى فريني ان هذا لا فائدة منه ، ويعرض طريقته الخاصة في مثل هذه الحال : « فقبل التعريف ، ننطلق من القاعدة : فعندنا اقياس جيدة ، تجمع الوثائق اللازمة . ولدى كل طفل مخطط للعمل . فاذا كنا ندرس « الرون » مثلا ، فان الاطفال لايرددون جميعا نفس الدرس على هذا النهر ، بل اننا نقتسم العمل . فواحد يدرس الرون الى بحيرة « ليمان » . (ولدينا ايضا كراسة ، مأخوذة من مكتبتنا التي تضم اكثر من 600 جزء تتعلق بالبحيرة) . ويقوم طفل آخر بدراسة

(الجمالية) ، لتعم سائر مجالات النشاط البشري . والسريالية بدورها لم تقتصر على التأثير في طريقة التفكير ، بل تعدته الى التأثير المباشر ، في طريقة الحياة اليومية . ونقدم هنا عرضا موجزا ، لمقال (1) « جان روسلو Jean Rousselot » حول ملف السريالية في نصف قرن .

واذا كانت الرومانسية يمكن ان تظهر كمثالية متطرفة لا أكثر فان السريالية ما كانت لتكون أكثر من مثالية جديدة ايضا لو انها لم تعمل بطريقة عملية على حل الثنائية اللازمة ، التي تتضمنها كل مثالية . وهذا الراي الذي يقدمه روسلو يجد مصداقه ، في اعتبار السريالية أن الانسان انما هو حقيقة واحدة وحيدة . وان ما يعرض في كل الايديولوجيات ، من رد الانسان الى عالمين احدهما ظاهري ، والآخر باطني ، انما هو تقسيم لما يجب الا ينقسم ، لما هو وحدة في اصله . فالانسان هو التحام حقيقته الباطنية والخارجية . هذه هي الوحدة التي ردتها السريالية الى الانسان وخرجت بذلك عن ثنائية محرجة .

واذا كان عمر السريالية الى الآن ، نصف قرن ، فان هذا الاسم ذاته بالرغم من انه مقارن للحركة ، لا يعرف على وجه التحقيق واضعه الاول . وان كانت دائرة الاختلاف لاتتعدى ثلة من رواد السريالية او ممن عرفوا بشدة الاتصال بها . ويعرض « موريس نادو » في تاريخه عن السريالية رسالة صادرة في شهر مارس 1917 ويبدو من صيغتها انها جواب عن خاطرة او ايحاء من المرسل اليه (بول ديرمي) جاء فيها :

« ... اعتقد ان المستحسن هو اتخاذ لفظ السريالية بدلا من Surnaturalisme (الفوق ـ طبيعية) ، الذي سبق ان استعملته . والسريالية لا توجد الى الآن في القواميس ، بينما سبق استعمال (الفوق ـ طبيعية) عند الفلاسفة . » على ان هذا اللفظ قد ينسب الى آخرين (البير بيرو مثلا) . وقد بدات الارهاصات الممهدة لظهور الحركة السريالية في جل بلاد أوربا : في فرنسا وايطاليا وروسيا ... واعمال الفترة ما بين 1910 ـ 1916 ، سواء في الشعر او في النثر امتازت جلها بطابع من القلق ، والعمل على الانفلات من قبضة الواقع ، والانغمار في التجريد . بيد ان الخطوة المباشرة ، كانت في قيام حركة « الدادية Dadaïsme » التي اسسها في زوريخ عام 1916 الشاعر الروماني « ترتسيان تزارا » والذي جعل وضع بعض اهدافها بقوله : « لقد ادركنا اننا لا نستطيع ايقاف الحرب ، الا باستئصال جذورها ... » وجذور الحرب في الحقيقة هي جذور الحضارة والمدنية ، ومن هنا امتلات نفوس الداديين بالمقت لكل حضارة او على الاصح الحضارة أو المدنية الحديثة ، ومن الاسس الحضارية التي كان ينبغي القضاء عليها كما يذكر تزارا : المنطق واللغة ... وكان هذا الانقلاب ، الذي دعي اليه في الشعر أولا ، يعني تغيرا اساسيا في النظرة الجمالية كلها ، اي تغييرا للعالم من اساسه . وفي فرنسا اذ ذاك كانت النظرة التي ما تزال سائدة رغم كل شيء ، هي نظرة « ابولنير » ، الذي كان ما يزال « الراس المفكر » . ووجدت الدادية معارضة من بعض الهيئات والمجلات ، ومع ذلك امكنها ان تتسرب ، فانضم اليها بعد ذلك اندري بروطن و ايلوار . ونشر كل منهما تباعا اعمال الفترة الجديدة التي تشكل انقلابا في حياتهما الادبية ، وتقلب رؤياهما المعهودة راسا على عقب . وبينما ساهم بروطن باعمال نثرية ، فان ايلوار نشر باقات شعرية ، وكل ذلك يتميز بروح الثورة الادبية الجديدة ، وان كانت معالمها لم تحدد بعد . وانضم الى الجماعة فيليب سوبو وهو متأثر الى حد بعيد باتجاه ابولنير ، وكان هذا الاخير ، هو الذي قام بتقديمه الى الداديين اذ ذاك : اراجون وايلوار .

وانضم آخرون الى هذه المجموعة من كبار السرياليين ، واسسوا في سنة 1919 مجلة Littérature واصبحت المجلة ، ميدان الانتاج السريالي من شعر ونثر . وكان من اهم ما نشر بها في النثر Les champs magnétiques التي حررها بروطن مع بعض من رفاقه ، وكانت ضربا جديدا من الكتابة النثرية ، يعتمد على الكتابة التلقائية، التي لا يراقبها عقل أو منطق . ولم يلبث تزارا ان قدم الى باريس ، حاملا معه ضجته المعهودة ، فساهم مع الآخرين في الطريق الذي سلكته السريالية الى الآن ، والذي اتضحت مبادئه واهدافه في « البيانات السريالية » . وعمت هذه الحركة كما هو معروف ميادين النحت والتصوير ، بل كما جاء في مقدمة هذا الحديث ، عمت سائر مرافق الحياة ، ولم يكن يشبهها في ذلك الا حركة الرومانسية عند ظهورها .

الرباط ـ مبارك ربيع

(1 Les nouvelles littéraires 22 يونيو 1967 .

اما الرسالة الجامعية الثانية ، فهي التي تقدم بها الاستاذ احمد اليابوري حول « فـن القصة في المغرب » . وقد تبين من عرض الاستاذ اليابوري ، ومن مناقشة الاساتذة ، ان الرسالة تتعرض للقصة المغربية منذ سنة 1914 . وبعد ان تقدم ، بعض المفاهيم المتعلقة بالفن القصصي ، تقسم القصة المغربية الى انواع: كالقصة المقامية ، والقصة (الاجتماعية) ، والقصة القومية ، والقصة الفلسفية ، والاقصوصة ... وقد اعتمد صاحب الرسالة كلا من المنهجين النقدي والتاريخي ، ولكنه كما جاء في عرضه ، اهتم بالمنهج النقدي اكثر مما اهتم بالمنهج التاريخي . ويفهم من هذا ان الاستاذ اليابوري يركز على الروابط والعلاقات التي يظهرها النقد بين نماذجه ، اكثر مما يركز على تسلسلها التاريخي . وقد شارك في مناقشة هذه الرسالة الدكاترة : العميد محمد عزيز الحبابي (المشرف) والاستاذ امجد الطرابلسي ، والاستاذ البهبيتي ، والاستاذ صالح الاشتر ، وانتهت المناقشة بقبول الرسالة بميزة حسن .

اننا بهذه المناسبة نهنيء الاستاذين الجابري واليابوري ، كما نهنيء الكلية والجامعة وكل غيور على الثقافة في هذا البلد ، ونغتنم هذه الفرصة لنهمس بكلمة ، في اذن كل من يتحمل مسؤولية ما في ميدان الجامعة او التعليم او الثقافة : ان ما تقدم حتى الآن من رسائل في حياتنا الادبية قليل جدا ، بل زهيد . لا يتناسب بتاتا ، مع النقص الذي يعانيه بلد متخلف في مضمار الاطر العالية . وان من السهل ان يقال ان حياة جامعتنا وكلياتنا قصيرة ، وان الامكانيات محدودة . نعم اننا نعرف هذا ونردده جميعا . ولكن الامكانيات تخلق سواء كانت معنوية تتعلق بجهود الطلبة والدارسين المرشحين لتقديم رسائل جامعية ، او كانت مادية تتعلق برجال الجامعة . وهنا نشير الى ما اعلن في مقدمة مناقشة الرسالتين السابقتين ، من رسائل لا تزال تحت الدرس ، ومنها من طال بالمتتبعين لحياة الجامعة ، انتظاره . ان رسالة جامعية واحدة في السنة ، في مادة معينة ليست بالشيء الكثير . بل هي على الاصح اقل القليل . ومع ذلك فلو أن كل قسم من اقسام الدراسات العليا ، من ادب ، وفلسفة ، وتاريخ ، وجغرافيا ... امكنه أن يقدم رسالة واحدة في السنة لامكن لمشكلة الاطر العليا أن تسير في طريق الحل ، لان رسالة الدبلوم ليست الا عتبة ، لتحضير الشهادات الاعلى ، وهو ما نعاني منه كل النقص .

قد يكون من الصعوبات التي تعترض هذا السبيل ، تهاون او تراخي اصحاب الدراسات (الطلبة) عن انجازها بمجرد ما يتسلمون موضوع رسائلهم . اذا كان هذا فان واجب الفيورين ، أن يقيدوا زمنيا مدة انجاز الرسالة . وهنا قد يقوم اعتراض ، وطالما قام هذا الاعتراض في امثال هذه المواقف . المعترض يقول : اننا نريد الجودة ، ونريد رفع المستوى الثقافي . ويقول ايضا : ان المستوى العام للتعليم قد انحط كثيرا . نعم هذا صحيح ، وكلنا نردده علنا وفي سرنا. ولكن علاج الموقف ، وفي التعليم العالي خاصة ، لن يكون ابدا ، باطالة سنوات الدراسة ، لان كل سنة تمضي ، تفوت على بلدنا طاقات ، أولى به أن يشرع في استغلالها . ليس علاج المستوى في التعليم العالي باطالة سنوات الدراسة ، ونحن جميعا نعرف ، من تجارب بعض الامم (الصغيرة في مظهرها ، والتي اعطت مثالا واضحا ، في العزم على نشر التراث وتكوين الاطر الصحيحة) ، ان المنخرط في التعليم العالي ، بمجرد دخول الكلية يسجل في قسمين للدراسة كالادب واللغات الحية مثلا ، وبذلك يهيء اجازتين بدلا من اجازة واحدة ، أو على الاقل يتعين عليه عند انتهاء اجازة ، أن يحصل على شهادات معينة في الاجازة الاخرى . ان كل الدول الناهضة تعاني من انخفاض المستوى ، وحتى الراقية نسبيا . لكن العلاج بالنسبة لنا هو في تركيز الدراسة ، لا في تمديد السنوات . وحري بالقسم اذا كان يشتغل عشر ساعات مثلا ويكلفه ذلك اضافة سنة ان يشتغل ضعف ذلك! بالاضافة الى الدراسات المركزة ، والتوجيه الصحيح ، طيلة السنة .

ان ما نرجوه لجامعتنا هو الازدهار ، وان تكون السنة الدراسية القادمة سنة الرسائل الجامعية ، لا سنة رسالة او رسالتين . وان ما نقترحه لهو الاختيار بين ساعات مضاعفة في اليوم وجهد متواصل من جانب الطلبة والاساتذة ، وربح سنوات تستغل فيها الطاقات ، لخدمة البلاد ، أو العكس الذي يؤدي الى العجز سنوات ، وترك كثير من الحرية للاستاذ والطالب على السواء . وان هذا السير المتريث لا يسد حاجتنا الى الاطر العليا .

السريالية في نصف قرن

باكتمال سنة 1967 يكون نصف قرن بالضبط قد مضى منذ ظهرت الى الوجود الحركة السريالية . وبهذه المناسبة ظهرت ، عدة دراسات ومقالات عن هذه الحركة التي اثرت في القرن العشرين ابلغ التاثير ، وطبعته بطابعها في كل مجالاته . ولا تقارن بالسريالية في هذا المضمار ، الا الحركة الرومانسية ، عند ظهورها، والتي كانت قد تجاوزت في عصرها الميادين الاستيتيقية

حضور معالي وزير الاوقاف في الموسم الديني لـــدار زهيـــرو بطنجـــة

تراس معالي وزير عموم الاوقـــاف والشؤون الاسلاميـــة الاستاذ الحاج احمد بركـــاش يـــوم 15 ـ 9 ـ 67 حفلة دينية كبرى بمناسبة موسم دار زهيرو الذي يقام كل سنة في فحص طنجة .

وقد حضر هذا الحفل الديني الكبير الى جانب السيد الوزير عامل الاقليم مولاي الطاهر العلـــوي ، ورؤساء المجالس القروية والعلماء والاشراف والطلبة، وجمهور غفير من المواطنين الذين احيوا هذا الموسم الديني بتلاوة الذكر الحكيم ، والترحم على روح فقيد العروبة والاسلام محمد الخامس طيب الله بالرحمـة ثراه ، والدعاء لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بالنصر والتأييد .

وقد كانت دار زهيرو بهذه المناسبة عبارة عـن مجتمع ديني حافل عظيم اقيم لاحياء هذا الموســم القـــرآنـــي .

ومعلوم انه توجـد بدار زهيرو مدرســة ولـي العهد سيدي محمد التي تخرج منها مجموعة من الطلبة يرتلون الذكر الحكيم بالقراآت السبع .

وقـــد القى بهذه المناسبة السيد الوزير الحاج احمد بركاش كلمة تحدث فيها الى الطلبة وبلغهم عطف صاحب الجلالة الملك المعظم ، كما سلم اليهم منحة مولوية كريمـــة .

وقد جاء في خطاب الوزير :

الحمـــد للـــه وحـــده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واصحابه
حضرات السادة المحترمين

ان خير ما يفتتح به هذا الحفل الكريم في هـــذه الدار التي اسست على تقوى من الله ورضوانه هـــو قبس من ذلكم النور الذي اختارها الله لتكون مشرقا له ومركز اشعاع لتعاليمه ، ذلك القبس هو قوله تعالى: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وبعد فان ازكى ساعة من عمر المومن ، واسعـد لحظة في حياته لهي اللحظة التي يعيش فيها مع كتـاب الله عز وجل يتلوه بلسانه ، ويتدبره بعقله ، ويفتح له صدره ، وتسمو به روحه ، ذلكم ان هـذا القـــرآن الذي اعجز الثقلين ان ياتوا بمثله ولو كـان بعضهـم لبعض ظهيرا ، جعلــه الله نبراسا يضيء لنا الحياة ، وكوكبا دريا يبين لنا سواء السبيل ، ونورا يوضح لنا البر والخير والرشاد ، ويدلنا على طريـــق الفـــوز والسعادة في معاشنا ومعادنا ، وصدق الله العظيـــم اذ يقول : «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيـــرا وان الذين لا يومنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما » .

وان من حمل هذا النور الى الناس كافة ، وارسله الله به رحمة للعالمين هو الذي عرف هذا القـــرآن اصدق تعريف عندما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم : (فيه نبـأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكـــم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهـــو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يصله الاتقياء ، ولا يخلـق على كثـرة الـرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علـــم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم بـــه عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن دعا اليه هـــدي الى صراط مستقيـــم) .

هذا ايها الاخوة المومنون هو كتاب الله عز وجل، الذي نحتفي في هذا اليوم المبارك بحامليه من معلميـــن وطلبة ، فنحمد فيكم ايها الابرار هذا الخير الجزيـــل، والفضل العظيم الذي خصكم الله بـــه عندما يسركم لحفظ القرآن افضل كتاب على الاطلاق ، فكنتم بذلك صفوة الناس ، تنطبـــق عليكم وعلى امثالكـم بشارة رسول الله ص القائل : خيركم من تعلم القرآن وعلمه. والقائـــل في الحديث الشريف الذي اخرجه الامـــام عن انس بن مالك رضي الله عنـــه : ان لله اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله ؟ قال اهل القـــرآن هم اهل الله وخاصته .

وان من جميل عناية الله سبحانه بهذا الوطن ان شرح الله صدور ابنائه لحفظ كتابه المقـدس منـــذ اشرقت شمس هداية الاسلام على ربوعه الطيبـــة ، فعرفوا على مر العصور والاحقاب بتفانيهم في القرآن الكريم ، يحفظونه حفظا متقنا ، ويتدارسون قراءاته ، ويعتنون بتجويده ، ويلقنونه لابنائهم منـــذ نعومـــة اظفارهم ، وريعان شبابهم .



صاحب الجلالة يضع الحجر الاساسي لبنـاء مسجـد الحسن الثانـي بتطـوان

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله فوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد جديد بمدينة تطوان، وذلك يوم الجمعة 21 شتنبر اثناء الرحلة الملكية الميمونة للشمال المغربي في الصيف الماضي .

وقد حضر هذا الحفل التدشيني الساده الوزراء، وعلماء المدينة واعيانها الذين تقدموا للسلام على جلالة الملك نصره الله، بينما كانت الجماهير الغفيرة تهتف بالدعاء، وتصفق بالاكف، وتحيي مشاريع صاحب الجلالة الانمائية والعمرانية .

وقد قدم بهذه المناسبة الدينية احد المهندسين شروحا مفصلة لجلالة الملك عن تصاميم هذا المسجد الذي تبلغ مساحته 530 3 مترا مربعا، واثر ذلك غادر جلالته المكان الذي يشيد فيه المسجد عائدا الى قصره العامر، في رعاية الله وحفظه، وسط هتافات الجماهير الشعبية الغفيرة التي كانت تدعو لسيدنا ولولي العهد سيدي محمد بالبقاء وطول العمر .

صاحب الجلالة يامر بتنظيـم دروس حديثيـة بالضـريـح الحسنـي

في نطاق الاستعداد للدروس المولوية التي سيحيها سيدنا المنصور بالله بمناسبة شهر رمضان المعظم استدعى معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش اجلة العلماء والشخصيات المرموقة الى الحضور للضريح الحسني بالمشور السعيد للاستماع الى سلسلة من الدروس الدينية التي سيلقيها ثلة من طلبة دار الحديث الحسنية خلال شهري رجب وشعبان مساء كل خميس ابتداء من الساعة الخامسة .

وكان يوم الخميس 19 — 10 — 67 اول موعد لالقاء اول درس بالضريح الحسني القاه الفقيه السيد محمد التائب خريج دار الحديث الحسنية في موضوع الحديث الشريف :

من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ... الحديث.

وهذه الدروس تعتبر سنة حميدة سنها ملوكنا العلويون الذين كادوا ان ينفردوا بها بين ملوك الاسلام حيث يدعون اليها كبار العلماء من عموم المملكة فيفدون عليهم مزودين مكرمين .

فكان اذا اظلتهم الشهور الثلاثة صدرت المكتوبات السلطانية الى قضاة المملكة وعمال الاقاليم ليختاروا العلماء الاجلاء ويوجهوهم معززين الى الحضرة الشريفة محفوفين بكل عناية في الذهاب والاياب، فاذا وصلوا الى الحضرة عينت لهم الدور التي ينزلون فيها، والمراكب التي يستعملونها وتجرى عليهم النفقات الكافية .

وكانت المناقشة تجري اثناء تلك الدروس، ولا سيما في العهد الحفيظي ... حيث كان النقاش يحتدم بين العلماء المحافظين والعلماء المجددين وكان السلطان يتدخل كثيرا لحسم الخلاف او لتوجيه المناقشة نحو الوجهة الصالحة .

ومولانا الحسن الثاني حفظه الله حريص كل الحرص على طبع دروسه المولوية بطابع المناقشة واضفاء روح البحث ومبادلة الآراء حولها ... وهذه الدروس ان دلت على شيء فانما تدل على الاهتمام البالغ، والعناية الخاصة التي يوليها صاحب الجلالة اعزه الله لشؤون الدين، وحرصه الاكيد على ان تستمر رسالة الاسلام وثقافته بهذه البلاد كأكبر ضامن لحفظ كيانها، وتحقيق فلاحها .

وتجدر الاشارة الى ان الاذاعة تباشر الان تسجيل هذه الدروس الدينية لتقدمها للمستمعين طيلة شهر رمضان المعظم .

بالدعاء الى الله في ان يحفظ مولانا الامام ويقر عينه بولي عهده ، ويصون امته من كل مكروه

وكانت كلمات سعادته تقاطع بالتصفيقات الحارة والدعاء لمولانا الامام .

وقد عقد مع رجال السلطة وفضيلة القاضي والناظر اجتماعا تناول فيه اهم الاعمال التي تضمن سير المدرسة ونجاحها ، وقد وجد من المسؤولين بهذا الاقليم كل تفهم واستعداد وعناية .

ثم طاف سعادته بمرافق المدرسة التي تضم عدة اقسام ومطبخا وقاعة للاكل ، وقاعتين للنوم صحبة مدير المدرسة والسلطة المحلية .

تدشين مسجد جديد بناحية بولمان

كما توجه السيد مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية بالرباط نيابة عن معالي الوزير الى آيت حمزة بدائرة بولمان لتدشين المسجد الجديد الذي بناه جماعة من المحسنين من سكان هذا الاقليم .

وقد رافق مدير دار الحديث في حفلة التدشين السيد مصطفى قميحة الكاتب العام للعمالة ورئيس الدائرة وناظر احباس صفرو وبعض الشخصيات ...

والقى في جموع المومنين خطابا ضمنه آيات واحاديث عن اثر المسجد وفعاليته في تربية النفوس ، كما اوضح لهم الدور الذي قام به في العصور الاسلامية ثم بلغهم عناية حكومة صاحب الجلالة ورعايتها لشؤون الدين .

وقد اختتم هذا الحفل الديني بالدعاء لمولانا امير المومنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره .

تدشين مسجد بقرية الكارة
في اقليم مدينة الدار البيضاء

انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد لينوب عنه في تدشين المسجد الذي شيده المرحوم القائد محمد المذكوري وابناؤه بقرية الكارة بقبيلة المذاكرة باقليم الدار البيضاء .

وقام بالقاء خطبة الجمعة السيد محمد الطنجي بحضور رجال القضاء والسلطة المحلية والسيد ناظر الاوقاف لمدينة الدار البيضاء وجمهور غفير من المواطنين .

وقد ابلغ السيد الطنجي ابناء المرحوم السيد محمد المذكوري تقدير وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لعملهم الجليل ، وشكرهم على اريحيتهم وغيرتهم الدينية .

وختم الحفل الديني بالدعاء لصاحب الجلالة مولانا امير المومنين بالنصر والتأييد وطول العمر .

بمناسبة الاسراء والمعراج

وزعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على خطباء المساجد في جميع اقاليم المملكة المغربية خطبا في موضوع الاسراء والمعراج بمناسبة يوم السابع والعشرين من رجب الفرد الذي حلت فيه هذه الذكرى العظيمة التي سجلها سبحانه وتعالى في محكم كتابه فقال :

« سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير »

ولقد تضمنت الخطبة التي القيت بالمساجد الجامعة في جميع انحاء المملكة ابراز معاني هذه الذكرى العظيمة ، ولا سيما في الظروف التي تجتازها البلاد الاسلامية ، التي يجب على المسلمين ان يستوحوا منها قوة العزيمة ، وتطهير النفس لخوض الغمرات في سبيل الحق ، ونيل الفضائل ، وتوحيد الكلمة ، والتئام الشمل .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد الديني
لشهر رمضان المعظم

قررت الوزارة تنظيم حملة وعظ وارشاد في مختلف مساجد العمالات واقاليم المملكة خلال شهر رمضان المعظم تنفيذا للرغبة المولوية السامية ..

وقد استعانت الوزارة على تنظيم هذه الحملة بالسادة العلماء والسلطات المحلية والقضاة الشرعيين، ونظار الاوقاف

كما وجهت الوزارة منشورا الى جميع السادة النظار قصد الاتصال في الموضوع ، بالسيد عامل الاقليم او المدينة لدراسة الترتيبات اللازمة لتعيين لجنة محلية تضم ممثلين عن رجال السلطة ، والقاضي الشرعي ، وعالمين يسند اليهما اختيار الوعاظ لاداء مهمة الوعظ والارشاد طيلة شهر رمضان المقبل في مختلف مساجد المملكة .

وان هذه الفطرة التي فطر الله عليها ابناء هـذا الشعب ، قد بلور معالمها ، واذكاها في نفوسهم ملوكنا العلويون قدس الله ارواحهم في عرصات النعيم ، فكانوا يولون عناية خاصة لهذا الجانب الديني العظيم .

ويرعون حملة القرآن بجميل رعايتهم ، وفائق عنايتهم ، ويحضون رعيتهم على تعلم القرآن وتعليمه والعمل بارشاده وتعاليمه ، مما تزخر به كتب التاريخ ، ويسجله لهم بمداد الفخار والاعتزاز .

وها هو وارث سرهم ، وواسطة عقدهم ، امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده يسير على نهج اسلافه المنعمين ، ويضيف الى امجادهم امجادا ستعطر ذكره الشريف على مر الاعوام والسنين وتبقى نوره ساطعا الى يوم الدين ، بما يؤثل من امجاد لهذه البلاد ، لصالح دينها ودنياها ، وعاجلها وآجلها ، وما هذه المدرسة التي تحمل اسم ولي عهده المحبوب سيدي محمد الا حسنة من حسناته الغر ، ويد من اياديه البيض التي يثبت بها اركان الدين بهذه الديار ، ويعلي لكتابه الكريم المنار ، وكأن قدرة الله عز وجل قد اختارته نصره الله ليتولى على القرآن الذي ضمن الله حفظه عندما قال عز من قائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ايها الاخوة المومنون ، في ساعة الخير هذه ، وفي هذا الجمع الحافل الذي لا نشك ان الرحمة قد غشيته ، وملائكة الرحمان قد حفت به وذكره الله فيمن عنده ، نرفع اكف الضراعة والابتهال الى المولى الكبير المتعال بان يحفظ امير المومنين مولانا الحسن الثاني بما حفظ به كتابه المبين ، وان يبقيه سندا للاسلام والمسلمين ويجعله في كنف السبع المثاني والقرآن العظيم ، ويمطر شآبيب رحمته وغفرانه على الملك الصالح مولانا محمد الخامس رضي الله عنه ، وان يحرس بعين رعايته ولطيف عنايته صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب وسائر الاسرة الملكية الكريمة ويمن على المسلمين بنصر من عنده يعيد اليهم عزهم وصولتهم ان ربي سميع الدعاء .

وقبل الختام اتوجه اليكم معشر الاساتذة والطلبة لا حضكم على الجد والاجتهاد والمواظبة الكاملة حتى تكونوا عند حسن ظن امير المومنين بكم ، وتؤدوا الامانة الملقاة على عاتقكم خير اداء ، والرسالة الخالدة التي يجب ان يورثها الآباء للابناء حتى تبقى كلمة الله عالية مدوية بهذا الوطن العزيز .

وفقكم الله واعانكم وسدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

« وفد من العلماء بوزارة الاوقاف »

زار وفد من السادة العلماء يتقدمهم فضيلة العميد السيد جواد الصقلي رئيس المجلس العلمي لجامعة القرويين العامرة وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وقد استقبلهم معالي الوزير السيد الحاج احمد بركاش بمكتبه حيث دارت المذاكرة خلال هذه الزيارة في شؤون دينية غايتها تنشيط حركة التوجيه الاسلامي ، والبعث الروحي للقيم الاخلاقية .

وقد ختمت هذه الزيارة بالدعاء وطول البقاء والنصر والتأييد لمولانا الامام امير المومنين الحسن الثاني نصره الله الحارس الامين على مقدسات هذه الامة .

تدشين مدرسة قرآنية علمية بارفود

توجه سعادة الكاتب العام للشؤون الاسلامية بوزارة عموم الاوقاف الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي نيابة عن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى اقليم تافيلالت لتدشين مدرسة قرآنية علمية بارفود .

وقد وجد في استقباله عامل الاقليم ورئيس الدائرة وفضيلة القاضي وناظر الاحباس . ثم توجه سيادته الى المدرسة حيث وجد بباب المدرسة جمهورا غفيرا من المواطنين الذي اظهر فرحا وابتهاجا بتدشين هذه المدرسة العلمية القرآنية التي حملت اسم والدة سيدنا المنصور بالله .

وتقدم الشريف مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية الذي رافق سعادة الكاتب العام في هذه الرحلة الى اقليم تافيلالت فالقى كلمة قصيرة قدم فيها الى الحاضرين الاستاذ السيد عبد الرحمان الدكالي منوها بوطنيته ونشاطه العلمي ، وعمله في ميدان الشؤون الاسلامية ، ثم تقدم الاستاذ عبد الرحمان الدكالي فالقى خطابا قيما استغرق حوالي نصف ساعة اشاد فيه بالروح الوطنية والعلمية التي يمتاز بهما سكان الاقليم ، كما ذكرهم بفضيلة العلم وتعاطيه وعناية صاحب الجلالة الملك المعظم نصره الله بنشره وفتح ابواب المدارس على اختلاف انواعها ومستوياتها في وجه عموم المواطنين لا فرق بين غني وفقير ، وساكن المدينة وساكن البادية ، ثم توجه

في كل سنة من السنوات الخمس المقبلة بعد الحصول كتابة على موافقة الوزارة وابرام عقود في هذا المضمار.

واثناء هذا الطواف وقع الاختيار على الاراضي المجاورة للطريق الرئيسية المارة من الصويرة الى الدار البيضاء حيث سيقع الشروع في غرسها ابتداء من السنة المقبلة وهي الفترة الاولى من التصميم الخماسي ثم يلي هذا المشروع تشجير الاراضي المنحدرة والتي لا ترد نفعا لا على الاحباس ولا على الفلاحين القاطنين بهـا .

2) مـراكـش

اولا :

لقد اسفر الاجتماع الذي انعقد في 29 ـ 9 ـ 67 مع مدير ادارة المياه والغابات بمراكش على النتائج الآتيـة :

1 ـ يقـع تشجير عدة اراضي حبسية في نطاق التصميم الخماسي وسيشمل هذا المشروع في البداية تشجير مساحة 90 هكتـارا من الارض الحبسيـة الشاسعة المسماة السفياني والتي تبلغ مساحتها 250 هكتـارا .

2 ـ بعد الطواف الذي سيقوم به سيادة المديـر المذكور صحبة الناظر عبر الاراضي الحبسية الاخـرى التابعة لضواحي مراكش سيقع تعيين القطع التـي ستغرس في السنوات المقبلة .

3 ـ وفيما يخص انواع الاشجار التي سيقع عليها الاختيار فان هذا الامر مرتبط بنوع التربة وامكانيات السقي وجودة الدخل عند بيع الغلـة .

ثـانيـا :

وقع الشروع منذ شهر سبتمبر 67 في بناء بئـر جديدة وصهريج وسواقي عديدة في جنان امصنجـي التابع لنظارة صغرى مراكش ، هذا الجنـان الـذي يحتوي على 150 هكتارا والذي تم تشجيره باشجـار الزيتون والمشمش والكلبتوس على غرار ما يشاهد في جنان اكدال الشهيرة .

ثـالثـا :

كلف الخبير الفلاحـي التابـع لنظارتي كبـرى وصغرى مراكش بتهييء 12 000 نقلة من الزيتـون المخصصة لنظارة العرائش حيث ستغرسهـا هـذه الاخيرة في مستهل سنة 1968 .

رابعـا :

نظرا لتوفير جنان السفياني على كمية هامة مـن المـاء ، فان نظارة كبرى مراكش ستتابـع غـرس اشجار الزيتون والمشمش في السنة المقبلة حيث مـن المقرر ان تغرس على الاقل في كل سنـة الفين مـن الاشجـار .

3) الجـديـدة :

وقع الطواف على ارض شاسعة مشتملـة على 360 هكتار تنوي الوزارة شراءها لاجـل تشجيرها ابتداء من هذه السنة باشجار الكلبتوس .

كما وقع الطواف على ارض الرافعي المشتملـة على 500 هكتار المغروسة منها مساحـة 150 هكتارا والتي تنوي الوزارة الشروع في غرس ما بقي منهـا بدون تشجير ابتداء من هذه السنة وذلك بوسائـل النظارة الخاصة من جهـة ، وبمعونـة ادارة المياه والغابات من جهة اخـرى .

فـي ميـدان التنميـة

مشـروع التجزئـة بمولاي بو سلهام

بعـد الوقوف على عين المكـان يوم الاثنين 11 شتنبر 1967 صحبة المهندس المعماري السيد احمد قبول وبحظور ناظر احباس وزان وشيخ القبيلة تقـرر القيام بالاعمال الآتيـة :

اولا : وضع علامات حجرية على القطع التي وقـع تخطيطها منذ سنة ، واكريت بواسطة السمسـرة العلنية بينما بقي الاداء معلقا في انتظار تطبيق هذه العمليـة والجدير بالملاحظة ان المبلغ الذي ارست به السمسرة يقـدر بـ 6 000 درهم .

ثانيـا : الشروع في تجزئة بقيـة الاراضي حسب قطع تتراوح مساحاتها ما بين 200 مترا و 500 مترا مربع ستخصص لبناء دور للاصطياف ، قصد اكرائها عن طريق السمسرة العلنية قبل حلول موسم الصيف المقبـل .

ثالثـا : انشاء سوق عصري ودور للسكنى نوقه بالتعاون مع ممثلي التعاونيات التابعة لقرية للا ميمونة خصوصا وان البناء سوف لا يتطلب صوائر باهظـة فعلى سبيل المثال سيكلف بناء متجـر (4 م + 5 م) مبلغ 2000 درهما يقدر ثمن كرائه بـ 30 درهما في الشهر

وقـد خصصت الوزارة مكافاة نقدية لكـل واعـظ مقتـرح .

وفيما يلي جدول توزيع الوعـاظ في اقاليم المملكـة :

اسم العمالة أو الاقليم	عـدد الوعاظ المقترحيـن في كل عمالـة
عمالـة مدينتي الرباط وسلا	28
عمالـة اقليـم القنيطـرة	38
عمالـة مدينة الدار البيضاء	48
عمالـة اقليم الدار البيضاء	58
عمالـة آسفـي	28
عمالـة اكاديـر	58
عمالـة طـرفـايـة	18
عمالـة مـراكـش	58
عمالـة اقليـم ورزازات	18
عمالـة قصـر السوق	48
عمالـة بنـي مـلال	28
عمالـة مكنـاس	38
عمالـة فـاس	48
عمالـة تـازا	28
عمالـة اقليـم وجـدة	38
عمالـة الناضور ومليلية	38
عمالـة اقليـم الحسيمة	38
عمالـة مدينـة طنجـة	18
عمالـة تطـوان	62

مقاومـة حملات التضليل والتبشيـر

تشن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذه الايام حملة واسعة النطاق بوسائلها الخاصة ضد بعض الفوضويين الذين يبثون الشكوك ضد معتقدات الناس زاعمين بانهم ينتسبون للمسيحية ، وهي منهم براء . .

والواقع ان اغلب هؤلاء خارج ومتمرد عن كـل الكنائس المعروفة في العالم ، وان معتقداتهم تخالـف ما جاء في التوراة والانجيل من تعاليم ، وان مبادئهـم عدم الاعتراف بالاوضاع القائمة في العالم .

فهؤلاء المغرضون الفوضويون يضمرون العـداء لكل الحكومات ، ويوصون مريديهم بعدم الانخراط في الجيوش ، اذ ان عقيدتهم ترتكز على انتظار ثورة عارمة يهلك فيها ثلثـا سكان المعمور ، ولا ينجو فيها الا من اتبع معتقداتهم الى غير ذلك من الترهات والاباطيـل التي من شانها ان تزعزع الناس عن عقائدهم .

وان بلادا يحرسها صاحب الجلالة الملك المعظـم الحسن الثاني ايده الله ونصره ، لا يمكن ابدا ان تصبح مسرحا لبث هذه الدعايات المغرضة للنيل من ديننـا الحنيف خصوصا وان البلاد الاسلامية الاخرى قـد قضت نهائيا على هذه الهيـآت التبشيرية ، وطهرت منها البلاد ، وازالت اخطارها عن المسلمين . . .

القسـم الفلاحـي

نتائج الجولة التفقدية التي اجريت من طرف رئيـس قسمي الفلاحـة والمنازعات بوزارة عموم الاوقـاف والشؤون الاسلاميـة من 27 الى 29 سبتمبر 1967 بناحيتي الصويرة ومراكش ومن 23 اكتوبر الى 24 منه فـي ناحيـة الجـديـدة

1) الصـويـرة

اولا :

وقـع اجتماع بممثلي الزاويـة الكراتية حيث درست خلاله عدة قضايا تتعلق بالخصوص :

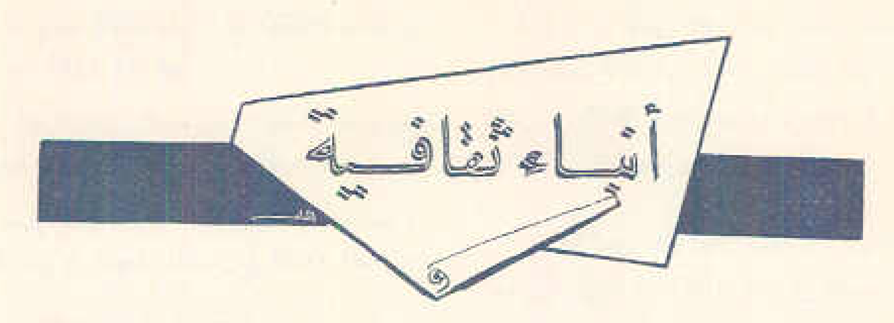
1 ـ بكيفية انجاز عملية تحفيظ الاراضي الشاسعة المحبسة على حفدة الولي الصالح سيدي علي الكراتي وخطط برنامج لهذه الغاية بمحضر ممثلي الزاويـة الكراتية ، والناظر والنائب المحلي

2 ـ بدراسة قضية الديون الفلاحية المتخلدة في ذمة بعض المكترين ، فتعهد ممثلو الزاوية الكراتية بمد يد المساعدة للاحباس فيما يخص استخلاص هـذه الديـون .

3 ـ بقضية تشجير بقية اراضي الزاوية الكراتية التي لم يشملها لحد الآن هذا المشروع ، فالح المجتمعون على ضرورة استئناف هذه العمليـة .

ثـانيـا :

وقع الطواف صحبة مدير ادارة المياه والغابـات على الاراضي الجبسية التي سيشملها التشجير ابتداء من سنة 1968 ، وذلك في نطاق التصميم الخماسـي ، والشـيء الذي يبعث على الارتياح هو ان المدير المذكور ابدى رغبته واستعداده الكامل لتشجير مائتي هكتار



❊ مثل الاستاذ الكبير عبد الله كنون المغرب ، في مؤتمر المستشرقين الاسبان الذي عقد بعاصمة الامويين الاندلسية ، لازاحة الستار عن النصب التذكاري ، للفيلسوف ابن رشد . وقد القى الاستاذ كنون دراسة قيمة عن الجانب الفقهي من تراث ابن رشد الفكري ، هذا الجانب الذي اهمل ، ولم يتناول بالدرس، حيث ان جميع الدراسات حول هذا الفيلسوف انصبت على تراثه الفلسفي . وقد افتتح المؤتمر بحضور عدد كبير من المفكرين والباحثين العرب ، الى جانب عدد من المستشرقين الغربيين . وقد كان لمحاضرة الاستاذ كنون وقع كبير في نفوس المؤتمرين ، وفي الصحافة الاسبانية ، واذاعاتها . حيث اعتبرت محاضراته كشفا جديدا قيما لجانب مهم من تفكير ابن رشد .

❊ يستعد الاستاذ الكبير السيد علال الفاسي لطبع كتاب ، يضم تدخلاته في مداولات البرلمان .

❊ بمناسبة الذكرى العاشرة لتاسيس جامعة محمد الخامس ، نظم مهرجان كبير ، شاركت فيه وفود جامعية من الخارج ، وقد كان تاسيس هذه الجامعة بتاريخ 11 نوفمبر سنة 1957 . وبهذه المناسبة احتفل كذلك بتاسيس منظمة الجامعات الافريقية التي يراسها رئيس جامعة محمد الخامس ، الاستاذ محمد الفاسي . وذلك بالرباط .

❊ بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيت ، قام الاستاذ عبد الكريم غلاب ، بزيارة الى روسيا .

❊ صدرت حلقة جديدة من كتاب « العلم » بعنوان : « معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية » ؛ وهو يعرض بتفصيل معركة 5 يونيه لانتزاع الارض السليبة ، واصداء هذه المعركة في الشرق والغرب .

❊ زار المغرب عدد من الصحفيين الالمان يمثلون مختلف الصحف الالمانية الغربية .

❊ تحدثت الصحافة الادبية في فرنسا عن رواية جديدة للكاتب المغربي محمد خير الدين ، وهو من مواليد مدينة تافراوت باقليم سوس ، وعمره 26 سنة . وقد ذهب الى فرنسا منذ سنتين ، وهناك اصدر روايته بعنوان « اكادير » التي قامت بطبعها دار النشر « لوسوي » .

❊ سيؤسس في مدينة تطوان نادي ثقافي الذي امر بتاسيسه جلالة الملك ، بمناسبة زيارته الى تطوان، وباقي مدن الشمال .

❊ بمناسبة افتتاح السنة الدراسية الحالية اقام معالي وزير التربية الوطنية ، والفنون الجميلة ، ندوة صحفية ، عرض فيها سير التعليم في السنة الماضية ، عرضا طويلا ، كما قدم الخطوط العريضة لسياسة التعليم في هذه السنة . وقد كان لندوته صدى محمود في الاوساط التعليمية .

❊ زار المغرب السيد بول مارك هنري ، مدير عمليات برنامج الامم المتحدة للتنمية الاقتصادية .

❊ اصدر الكاتب الانجليزي روم لاندو ، كتابا جديدا عن المغرب ، ومن المعلوم ان هذا الكاتب ، الف عديدا من الكتب عن بلادنا .

❊ صدر عن وزارة الانباء كتاب « الترجمانة الكبرى ، في أخبار المعمور بحرا وبرا » لمؤرخ الدولة العلوية وكاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله وسفيره ابى القاسم الزياني .

وقد قام بتحقيق الكتاب والتعليق عليه الاستاذ السيد عبد الكريم الفيلالي .

اما بناء دار فسوف لايتجاوز مبلغ 6000 درهم وان كراءها يقدر بـ 100 دراهم .

رابعا : تنفق المصاريف المخصصة لهذا المشروع من المداخيل الواردة من تطبيق مشروع التجزئة .

خامسا : ان تعاونية لالة ميمونة مستعدة للمساهمة مع الاحباس في انجاز المشاريع الانفة الذكر.

مشروع التجزئة والبناء بقرية لالة ميمونة

بعد طواف اللجنة المشار اليها آنفا على جميع اركان العرصة الحبسية الموجودة في وسط قرية لالة ميمونة ووقوفها على المسجد والدكاكين المجاورة له وبعد تجولها على سائر مرافق القرية المذكورة وبعد المذاكرة مع رئيس التعاونيات السيد المعيزة قرر ماياتي:

اولا : تقع تجزئة العرصة بكاملها ثم يشرع في بيع او كراء القطع الناتجةعن هذه العمليةبواسطة السمسرة العلنية .

ثانيا : تبنى حوانيت ودور للسكنى من مدخول هذه التجزئة وعلى سبيل المثال فان بناء متجر لا يتطلب اكثر من 500 1 درهم وان مبلغ كرائه يقدر بـ 20 درهما في الشهر .

اما ثمن بناء دار فيقدر بـ 000 5 درهم بينما يقدر كراؤها بـ 80 درهما في الشهر .

ثالثا : يشيد مسجد فسيح داخل القطعة المذكورة حيث ان المسجد الحالي العتيق اصبح غير كاف لايواء سائر المصلين .

رابعا : يقع هدم الحوانيت المحاطة بالمسجد نظرا لبشاعة منظرها حيث تظهر عبارة عن اكواخ خصوصا وان موقعها يوجد في مدخل القرية النموذجية .

خامسا : ان هيئة التعاونيات مستعدة للمساهمة مع الاحباس في انجاز المشاريع المشار اليها اعلاه .

« دراسة تاريخية واثرية لشواهد القبور العربية المحفوظة فى المعهد النابولي » ، و « ملحق لشعر الراعي النميري » و « اسماء الاسماك فى البلاد العربية ، وحوض البحر الابيض المتوسط » و « ابحاث عن ملكية الارض عند السومريين » .

※ سيصدر عن كمبردج فى انجلترا ، الكتابين : « كتاب تدبير الامراض الحادة » لبقراط ، للمستشرق ليونس ، و « كتاب يشتمل على فصول من كتاب « الحيوان لارسطو » .

※ احتفل بالذكرى السادسة بعد المائة لميلاد الشاعر الهندي رابندرانات طاغور .

※ فى لندن صدر كتاب عن حياة اميل البستاني ، وقام بتقديمه وزير الخارجية البريطانية جورج براون.

※ على اثر العدوان الصهيوني ، قررت مؤسسة « اخبار اليوم » توقيف مجلة « المختار » التي تصدرها بالعربية .

※ سيصدر قريبا ديوان « الفلسطنيات » الذي يحتوي على مجموعة من القصائد لمختلف الشعراء العرب ، حول العدوان الصهيوني .

※ « فى مواجهة اسرائيل » كتاب جديد صدر لسامي منصور يشرح فيه اهداف اسرائيل الخارجية، ويلقي الاضواء على الاسلحة التي تستخدمها لمحاربة السياسة العربية ، ويوضح علاقة اسرائيل بامريكا ، وانجلترا ، والمانيا .

※ يصدر مجلس الفنون والاداب بالعربية المتحدة قاموسا اقتصاديا بالعربية ، يفسر العبارات الاقتصادية

※ فرغ الاستاذ احمد حسن الزيات من كتاب عن « عبقرية الاسلام » ، كما ستصدر له طبعة جديدة من ترجمة « آلام فرتر » ، والطبعة الثانية من كتابه : « دفاع عن البلاغة » .

※ يصدر قريبا فى بغداد للدكتور يحيى الجبوري « ديوان النعمان بن بشير الانصاري » من تحقيق على مخطوطة بابا صوفيا ، وفيه اضافات على النسخة المطبوعة فى الهند من قبل المستشرق كرنكو .

※ اصدر الاديب الاردني عيسى الناعوري رواية عن فلسطين بعنوان : « جراح جديدة » .

※ « القضاة والولاة » عنوان كتاب اصدره الشيخ ممدوح القطب ، قاض عمان .

※ نشرت دائرة الثقافة والفنون الاردنية مذكرات المس نيوتس ، وعنوانها : « خمسون عاما فى فلسطين»

※ « طفل يغني » عنوان مجموعة شعرية تصدر مع ديوانين آخرين للشاعر اللبناني سعيد عقل .

※ « رحلة الى الله » عنوان مجموعة قصصية ، صدرت فى بيروت للاستاذ رياض شرارة .

※ « فى الادب الصهيوني » عنوان كتاب استغرق خمس سنوات فى البحث والعمل ، الفه غسان كنفاني ، ويصدر عن مركز الابحاث فى منظمة التحرير الفلسطنية. وهذه اول مرة تنشر فيها مثل هذه الدراسة عن الادب الصهيوني باللغة العربية .

※ « الموت على الطاولة » عنوان لمجموعة قصائد تصدر قريبا عن دار المكشوف ، لنقولا قربان .

※ الاديب اللبناني ميخائيل صوايا دفع الى المطبعة ببيروت مجموعتين من قصصه القصيرة .

※ الاديب فوزي سبا ، بدا يعمل على تاليف معجم ادبي ، يجمع فيه اسماء الادباء والشعراء اللبنانيين .

※ يصدر عن دار الحياة فى لبنان ديوان شعر لرئيس وزراء السودان ، محمد احمد محجوب .

※ « سجع الحمام فى حكم الامام » كتاب يشتمل على 1183 كلمة ماثورة للامام علي بن ابى طالب ، ضبطه وشرحه وقدم له ، علي الجندي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ومحمد يوسف المحجوب ، وسيصدر قريبا .

※ تستعد بنت الشاطيء لاصدار كتاب عن « الابعاد التاريخية لمعركتنا مع اسرائيل » .

✻ « القراءة العربية لاقسام الشهادة الابتدائية » ذلكم هو الكتاب المدرسي الذي قررته وزارة التربية الوطنية استعماله في مدارسها، وهو من تاليف الاساتذة: محمد محي الدين المشرفي ومحمد بن زبان، وبمشاركة محمد بن عمرو الطمار، والجيلاني فاضلا.

وقد عمل المؤلفون ما وسعهم العمل بفضل الطبعة الجديدة للكتاب على صيانة شاملة من حيث لغته وشكله ومضمونه من كل العثرات والاخطاء.

والكتاب يحمل طابعا مغربيا صرفا وله صلة وثيقة بالبيئة المغربية، ويساير واقع الحياة الحضارية التي يحيها الاطفال المغاربة باعتبارهم ينتمون الى بلد متحضـــــر.

✻ الكاتبة الالمانية المعروفة الدكتورة ليكريست هونكة، قامت بزيارة للمغرب، واتصلت بمفكريه وكتابه، والقت عدة محاضرات. ويعد كتابها « شمس الله تسطع من الغرب » اهم كتبها، الذي اضفى عليها شهرة كبيرة في الاوساط العربية وغير العربية. وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية.

✻ اقام الشاعر المغربي كمال الزبدي معرضا لرسومه بقاعة العرض بفندق حسان.

✻ قدمت الى المغرب بعثة من الخبراء السوفييت في علم الجيولوجيا، برئاسة الدكتور دياكوف، وقامت بسلسلة من الدراسات المتعلقة بالتنقيب عن البترول في المغرب. كما ستقدم الى بلادنا بعثة اخرى من خبراء طبقات الارض التشكيين، حيث سيقومون بدراسة جيولوجية بمنطقة ورزازات.

✻ اصدرت المطابع الفرنسية اخيرا ترجمة لكتاب انجليزي بقلم المستر مارتن لينغ من كبار موظفي المتحف البريطاني، وموضوع الكتاب هو الشيخ احمد العلوي، من الجزائر. وقد اطلق المؤلف الانجليزي على كتابه اسم: « مسلم من اولياء الله ».

✻ نظم مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية لجامعة تونس، منذ خامس اكتوبر مناظرة حول جغرافية المغرب العربي، حيث شارك فيه علماء جغرافيون من المغرب، والجزائر، وتونس، وكذا علماء الجغرافيا الاجانب المختصين في هذا الموضوع. وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ اسماعيل العلوي.

✻ فجعت الاوساط الثقافية والادبية في تونس بوفاة الاستاذ احمد خير الدين، الشاعر الذي واكب النهضة الفكرية والادبية.

✻ صدرت عن « نادي القصة لابي القاسم الشابي» بتونس، الحلقة الرابعة من دوريتها القصصية.

✻ ستصدر مجموعة كبيرة من قصص الاطفال، عن الدار التونسية للنشر.

✻ فاز القاص التونسي محمد الصالح الجابري بجائزة علي البلهوان لبلدية العاصمة على قصته « يوم من ايام زمرا ».

✻ نعت مدينة صفاقس بتونس، المرحوم عبد العزيز عشيش، مدير اذاعة صفاقس، ورئيس نخبتها الثقافية. وقد ابنه وزير الثقافة، وتحدث عن حياته وجهاده الفكري.

✻ تقرر احداث نخبة قومية للفنون الشعبية في تونس، تضم مختلف القطاعات التي يهمها الامر.

✻ قام الدكتور سيد حفني احمد بتحقيق ديوان الشاعر المخضرم حسان بن ثابت. وقدمه للنشر في مشروع المكتبة العربية بالقاهرة.

✻ يصدر قريبا عن « دار المعارف »، بالقاهرة كتاب عن الشيخ حسن العطار، اول رائد للاصلاح في مصر، في العهد الحديث.

✻ « آه، يا ليل، ياقمر » اسم المسرحية التي افتتح بها مسرح الحكيم بالقاهرة موسمه المسرحي.

✻ قررت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار تنظيم مسابقة في التمثيل بين الفرق والجمعيات المسرحية الهاوية في كافة انحاء الجمهورية التونسية.

✻ « ابن غلبون ــ مؤرخ ليبيا » عنوان كتاب صدر حديثا في ليبيا، وهو يتناول بالدراسة مؤرخا عاش في النصف الاول من القرن الثاني عشر.

✻ عن المعهد الجامعي الشرقي بنابلي، صدرت الكتب الاتية :

※ صدر عن دار الرسالة الاسلامية فى الكوفة بالعراق مجلة اسلامية جامعة باسم (الموعظة) والتي يرأس تحريرها الاستاذ الاديب كامل سلمان الجبوري وهي حافلة بالابحاث والموضوعات والقصائد بأقلام نخبة من الكتاب فى اخراج جيد ، وقد انتهت المجلة سنتها الاولى وسيصدر قريبا العدد الاول السنة الثانية .

※ سيصدر من منشورات دار الرسالة الاسلامية فى الكوفة بالعراق كتاب « فضائل الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه » تأليف الكاتب العراقي كامل سلمان الجبوري معتمد الدار .

※ اثار كتاب صدر مؤخرا فى امريكا ، ضجة بسبب صورة على الغلاف ، تمثل شرطيا ابيض ، يقوم بجلد جماعة من الزنوج ، عنوان الكتاب « شيكاغو السوداء »، وفيه صورة قاتمة عن الاحداث الدامية فى سلسلة الصراع العنصري الامريكي .

※ كتاب « مذكرات مالكوم ايكس » ، وهو زعيم الزنوج المسلمين فى امريكا سيصدر فى هذه الايام ، كما سيصدر للجنرال الفيتنامي نقوين فون كتاب باسم « حرب المقاومة الشعبية » .

※ صدر عدد خاص من مجلة « البيدر » عن المؤرخ اللبناني عيسى اسكندر المعلوف ، بمناسبة مرور 98 عاما على ولادته ، واحدى وعشرين سنة على وفاته .

※ صدر للدكتور يحيى الجبوري كتاب بعنوان « الجاهلية » ، وهو يتناول بالدراسة حياة العرب قبل الاسلام .

※ صدر مؤخرا الجزء الرابع من كتاب « رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية » الذي قام بتحقيقه السيدان محمد صادق بحر العلوم ، وحسين بحر العلوم .

※ مسرحية جديدة باسم « الارنب الاسود » صدرت حديثا لمؤلفها الاستاذ عبد الله الطوخي .

※ احتفل فى القاهرة بالذكرى الثانية لوفاة الناقد الكبير المرحوم الدكتور محمد مندور ، تكلم فيه الدكتور طه حسين .

※ وقع الاختيار مؤخرا على الاستاذ بول كودريك، وهو من الشخصيات الفرنسية المعروفة فى ميدان علم الفلك ، ينال جائزة كالينغا الخامسة عشرة ، الخاصة بتعميم العلوم .

※ اصدر مؤخرا مكتب آداب شرق افريقيا فى نيروبي ، وثيقة باللغة السواحلية بعنوان : « محو الامية فى خدمة التنمية » .

※ كما اصدرت اليونيسكو فى هذه الايام مطبوعا بعنوان « التربية المهنية والتقنية » .

صدر العدد الخامس من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي .

وقد اشتمل هذا العدد الحافل على دراسات وابحاث لغوية ، وعلى نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية وفعاليتها ، وموسوعة المغرب العربي زيادة على الابحاث المختلفة . كما تضمن العدد نشاط المكتب الدائم للتعريب، وعلى المعاجم التي تشتمل على المصطلحات الفكرية ، والرياضية، وموسوعة الفقه الاسلامي ، ومعجم الفقه والقانون .

والحقيقة ان العدد ضخم حافل اشتمل على ابحاث لغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي .

وقد طبع من هذا العدد،الذي اشتمل على 363 صفحة ، اربعة آلاف نسخة وزعت مجانا .

* احتفل فى لبنان بذكرى وفاة الناقد اللبنانـــي المفكر مارون عبود ، كما احتفل بالذكرى السادســـة لمبايعة الاخطل الصغير ــ بشارة الخوري بامارة الشعر في العالم العربي .

* « ثورة فى عالم الانسان » عنوان كتاب جديـد صدر فى بيروت للمفكـر ، والسياســي اللبناني كمـال جنبـــلاط .

* استولت اسرائيل على مخطوطات البحر الميت الاثريـــــة .

* توفيت القاصة الفلسطينية المعروفة السيـدة سميرة عزام .

* صدرت عـن دار الآداب فى بيـروت روايـــة « الشـوارع العارية » للروائي الايطالي فاسكو براتوليني، الذي قام بترجمته الى العربية ادوار الخراط .

* « الظامئون » رواية من تاليـف عبد الـرزاق المطلبي . قدم لها الدكتور ماهر حسـن فهمي ، وصدرت عن مديرية الثقافة العامة ببغداد .

* صدرت فى منشورات عويدات ببيروت روايـة « الفزة » للاديب الفرنسـي اندريه مالرو ، ويصـدر عن نفس الدار كتاب « الحياة والشباب » ، تاليف الدكتور اريك تريمر وترجمة محمد اديب العامري .

* صدر عن مركز المطبوعات فى بيروت روايـــة « ضائعة فى المدينة » ، وهي من تاليف سلوى هرمـز ، ومظهر الملوحـي .

* وجهت نقابة الصحفيين العراقية ، مذكرة الى رئيس الوزراء ، تطالبه فيها بعودة الشاعر محمد مهدي الجواهري الى بلاده ، ولقيت المذكرة استجابة تامة من لدن الرئيس المذكور .

* شعر ابي زبيد الطائي ، المتوفى حوالي سـنة 41 هجرية ، جمعه وحققه الباحث العراقي الدكتور نورى حمودى القيسي .

* « القزويني وشرح التلخيص » هـي عنـوان الاطروحة التي نال بها وزير الثقافة العراقي الدكتـور احمد مطلوب درجة الدكتوراه ، بمرتبة الشـرف الاولى من جامعة القاهرة . وصدرت حديثا عـن منشـورات مكتبة النهضة ببغداد .

* صدرت عن مديرية الثقافـة العامـة ببغـداد مجموعة قصص بعنوان « رماد الليل » ، وهي من تاليف الاستاذ عامر رشيد السامرائي ، وتقديم عبد الله نيازي

* يعد الاستاذ كمال ابراهيم دراسة عـن المؤرخ العراقي الكبير احمد عزت الاعظمي ، وذلك بمناسبـــة مرور احدى وثلاثين سنة على وفاته .

* صدرت عن دار المكتبة العصريـة فى بيـروت الكتب التالية : « الغريب والبحر » ، شعر لمؤيـد عبـد عبد الواحد . ومسـرحيـة « الكراكـي » لنور الديـن فارس . و « الجزء الثاني من المثنوى » للشاعر الايراني الشهير جلال الدين الرومـي ، الـذي قام بترجمتـه وتحقيقه الدكتور محمد كفافي .

* للدكتور قسطنطين زريق ، صدر كتاب باسم « معنى النكبة مجددا » يعالـج فيه اسـباب النكبـة ، مستخلصا العبرة من احداثها .

* « غرباء عن فلسطين » مجموعة شعرية صدرت منذ اسبوع للشاعر فؤاد خوري ، فى لبنان .

* الشاعر السوري اسعد علي ، اصدر مجموعة شعرية عنوانها : « عاصفة » .

* كتاب « رسائل لصديق » لسفتلانا ستالين ، ابنة ستالين ، الذي نشرته فى امريكا ، احدث ضجـة عنيفة فى الصحافة العالمية .

* يحتفل الاتحاد السوفييتي احتفـالا كبيـرا ، بذكرى صدور كتاب « راس المال » لكارل ماركـس . بعد قيام الثورة السوفياتية ، الى اليوم طبع 165 مرة ب 18 لغة ، داخل الاتحاد السوفياتي ،ويبلغ عدد النسخ المتداولة فى العالم خمسة ملايين نسخة .

* « واقع استعماري » كتاب جديد لمستشـرق فرنسي يهودي الاصل ، سيصـدر هذا الشهر .

* صدر للشاعر السوري نزار قباني كتاب جديد يضم قصيدته « هوامش على دفتر النكسة » .